سلسلة «الحقيقة الصعبة» (٥)

Series "The Truth Hard" (5)

العلويون النّصيريون

بحث في العقيدة والتاريخ

THE NUSAYRIAN ALAWITES
STUDY ON BELIEF AND HISTORY

أبو موسى الحريري

ABÛ MÛSÂ AL-HARÎRÎ

www.muhammadanism.org
November 16, 2005
Arabic
Fonts: Simplified Arabic

سلسلة «الحقيقة الصعبة» (٥)

أبو موسى الحريري

العلويون النّصيريون

بيروت

١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

العلويون النّصيريون

المقدمة

تستطيع البحثَ عن المعرفة دون تحدي الحقيقة، وتستطيع الكشفَ عن الحقيقـة دون النيل من كرامة أهلها؛ ولكنك لن تستطيع الولوج في أي سر دون انتهاكِ حرمته. قـد يبقـى السرث سراً عند دقّ بابه، لكن قدسيته قد تنهار في ملامستك لها. السر هنا هو سر العلـويين النصيريين، سر عقيدتهم المجهولة، وسر تاريخهم المقهور أبداً، وسـر مجـتمعهم وتقاليـدهم وعاداتهم وتطلّعاتهم في المستقبل المجهول.

لن أحملَ وحدي عبء انهيار سر العلويين النصيريين، بل هم أيضاً يتحملونه معـي اليوم، بعد أن قضوا عليه بأنفسهم، عندما تركوا عصمة جبالهم الوعرة، وانتشروا في المـدن والسهول، وتطاولوا على الحكم والمسؤولية على رأس الدولة السورية. لقـد كـان قصـدهم الخروج من الوعر والقهر، ولكنّهم ملأوا الدنيا ظلماً وقهراً، وأوغروا الصدور حقداً. فإلى أي منقلب ينقلبون! ليت بليتهم تقف عند قول ا : « لنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات »! [1].

ليس قصدي التنبؤ بما سيكون ـ وأرجو ألاّ يكون ـ بل قصدي معرفة

----
(١) سورة البقرة ٢/ ٥٥.

ما كان وما ينتج عما كان. أن أعرف هو حظّي في هذا العالم، وأن أنقل إلى سواي ما أعرف هو واجب علي. بهذا أسهم، ولو قليلاً، في طلب المعرفة والبحث عن الحقيقة منشودي على الدوام. ومن حقّي أن أعرف، ومن حق سواي أن يعرف، لئلا نطمئن على ما نحن عليه من جهل ورخاء. ويتقلني قلقي، هذه المرة، إلى معرفة ما عند العلويين النصيريين من حقّ.

ولي غطبة أن أرى ما للنصيريين من عقائد وتقاليد وعادات، ومن تنظيم وتدبير لمسح القهر عن كيانِهم المنكود عبر التاريخ. ولي غبطة أيضاً أن أرى ما لهم من آمال وتمنيات في بناء مجتمع خاص بهم، وإقامة دولة تصون وجودهم وتحمي عقيدتهم التي لا تنسجم بحال من الأحوال مع عقيدة سواهم. وهذا السعي الدائب كان لهم هماً كبيراً واهتماماً بالغاً طالبوا في تحقيقه كل صاحبٍ سلطان. وكان لهم ذلك السعي على دروب كثيرة المخاطر، عديدة المحاذير. ولكنّهم، بفضل ثباتهم، كان لهم ما يرجون. وهم إليه يسعون بتؤدة لا مثيل لها في العالم، لأنهم وحدهم يعرفون مدى القهر الذي أصابهم في تاريخهم الطويل.

بهذا الأمل العظيم استطاعت الأقلية النصيرية أن تفرض، اليوم، عنفوانها على الأكثرية السنّية. بهذا الأمل حقّقت لها صداقات مع دول وجماعات في العالم تظنّها في الظاهر أعداء؛ وهي، في الواقع، تنصر حقّها المقهور طوال دهور. بهذا الأمل سيطرت، لا على جبالها الوعرة وحسب، بل أيضاً على السهول الخصبة، وعلى مدن الساحل والداخل، كما على قرى الجبل وضياعه. وسيطرت على الغارقين في البداوة كما على أرباب الحضارات العريقة... لقد حان لهذه الأمة المقهورة أن تدير عجلات القهر على قاهريها، وأن تستمد من تاريخها التعيس نجدةً ونصراً.

من أجل تحقيق هذا الأمل استنجدتْ حيناً بالعروبة، وحيناً بالاشتراكية والتقدمية، وآخر بالبعث. وتوسلت إليه تارة بشعارات الحرية، وطوراً بـالأخوة العربيـة، وآخـر بالإسـلام. ونشطتْ تدافع عن الحقوق الفلسطينية المغتصبة، وتلتزم قضيتهم، وتتصدى للمتاجرين بهـا. وراحت تدور في محورين متناقضين: في محور السلم والحرب، وفي سياسة الشرق والغرب، وفي نصرة اللبنانيين والفلسطينيين وضربهما معاً. واستقطبتْ عواطف أهل السـنّة والشـيعة على السواء. واعتمدت على طمأنينة الأكثرية كما على قوة الأقلّيات.

ومن أجل ذلك أيضاً فازتْ بعلاقاتٍ طيبة مع الأردن والعراق وكادت تؤلّـف وحـدة سياسية خطيرة لولا الكشف عن سوء النوايا ولو بعد حين..... ومع هـذا كانـت المحاولـةُ ضروريةً لتوازنٍ ماهرٍ بين العداوة الصداقة. وفازت أيضاً بخطوط دفاعية لها واقية واسـعة، من الناقورة إلى الجولان والعقبة وبغداد والموصل، حفاظاً على حدود « الدولـة العلويـة » الممكنة. وفي هذا كلّه لم تكن إسرائيل مغمضةَ العينين عما يجري حولها، ولم تسمح للعلويين النصيريين الذهاب والإياب ولو لم يكن كل ذلك أمراً مدبراً!!!

وأصوب وسيلة لتحقيق هذا الأمل كانت في نزع وصمات الكفر عن عقيدتها. لهذا بنَتِ الجوامع والمساجد يوم لم يكن لها جوامع ومساجد، وتلت من على المآذن آياتِ القرآن الكريم، ومارستْ فرائض الإسلام، في الوقت الذي كان ابن بطوطة يخبرنا عنهم بقولـه: « وهـم لا يصلّون ولا يتطهرون ولا يصومون. وكان الملك الظاهر ألزمهم بناء المساجد بقراهم، فبنـوا بكلّ قرية مسجداً بعيداً عن العمارة ولا يدخلونه ولا يعمرونه، وربمـا أوتْ إليـه مواشـيهم ودوابهم، وربما وصل الغريب إليهم، فينزل بالمسجدِ ويؤذّن

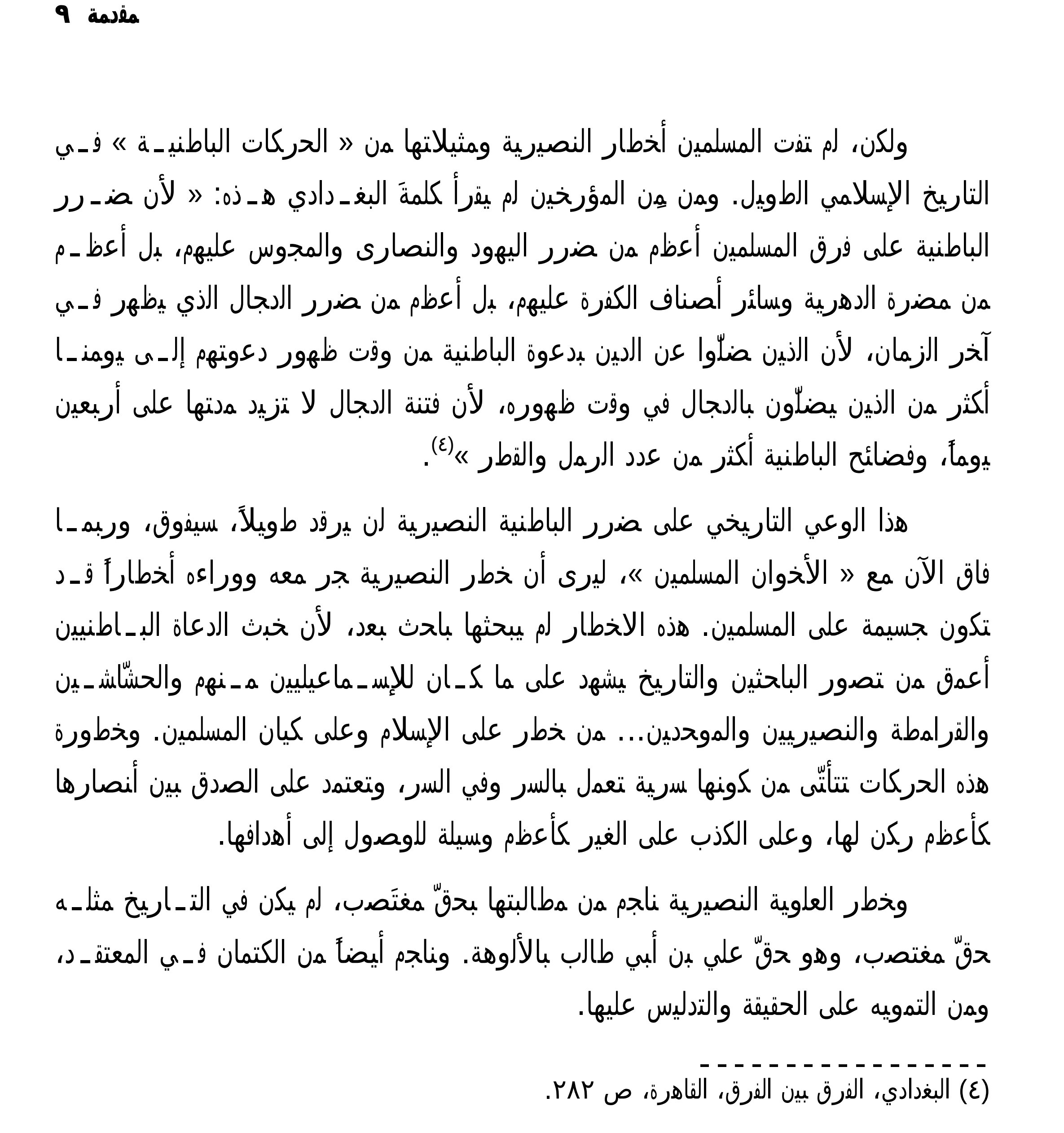
للصلاة، فيقولون له: لا تنهق! علفك يأتيك. وعددهم كثير »[٢]. ومع هذا يفتخر الرفيق حـافظ الأسد بإسلامه منذ ثلاثين سنة، ولو كان ذلك بمنّة منه.

وسترى، بالنهاية، من وثائق تاريخية، أن هذه الفئة من سـكان سـوريا فـازت بمـا قصدت. وهي تعد العدة، رغم كل صعوبة، ليتجسد أملها في كيان مستقلّ، أصبحت فيه جميع مقومات الدولة موجودة. ومن ينظر يرى « أن مشاريع كبرى أنجزت في بلاد العلـويين ولا سيما في حقل الري واستصلاح الأراضي وشبكات الطرق. ويضاف إلى هذا توسيع وتنميـة مرافئ اللاذقية وجبلة وطرطوس. كما أن حمص لم تفلت من تغلغلهم الكثيف بحيث أن هـذه المدينة التي بات العلويون فيه أكثرية، باتت مرشحة لأن تصبح عاصمة الدولة العلوية العتيدة إذا ما قامت... ثم إن هذا التغلغل الصامت قد نما كذلك واتّسع على طول الشاطئ، ولا سـيما حول اللاذقية التي تلقت هجرة علوية هامة وعميقة. ولا ريب في أن أهـالي هـذه المنـاطق العلوية أو « المعلونة » باتت أكثر ثقة بالمستقبل مما كانت عليه في الماضي »[٣].

لنترك ذلك الآن، ولنبدأ بلمحة عن أصل النصيريين ونشأتهم، وعن عقيدتهم ومراتبهم، وعن تاريخهم وفروضهم الدينية، مبينين بذلك استقلاليتهم عن الإسـلام والمسـلمين وسـائر الفرق. وهم يستغلّون الإسلام ويرفضونه في آن معاً، بدهاء لا بعده دهاء، وبسرية يعجز عن كتمانها اثنان. وذلك لأجل الهدف الأكبر المنشود أبداً عبر قهر التاريخ.

---

(٢) رحلة ابن بطوطة، دار صادر بيروت ١٩٦٤، ص ٧٩ ـ ٨٠.
(٣) كمال جنبلاط، هذه وصيتي، ترجمة « الوطن العربي » ١٩٧٨، ص ١١٥.



ولكن، لم تفت المسلمين أخطار النصيرية ومثيلاتها من « الحركات الباطنية » في التاريخ الإسلامي الطويل. ومن مِن المؤرخين لم يقرأ كلمةَ البغدادي هذه: « لأن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان، لأن الذين ضلّوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلّون بالدجال في وقت ظهوره، لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً، وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر »[٤].

هذا الوعي التاريخي على ضرر الباطنية النصيرية لن يرقد طويلاً، سيفوق، وربما فاق الآن مع « الأخوان المسلمين »، ليرى أن خطر النصيرية جر معه ووراءه أخطاراً قد تكون جسيمة على المسلمين. هذه الاخطار لم يبحثها باحث بعد، لأن خبث الدعاة الباطنيين أعمق من تصور الباحثين والتاريخ يشهد على ما كان للإسماعيليين منهم والحشّاشين والقرامطة والنصيريين والموحدين... من خطر على الإسلام وعلى كيان المسلمين. وخطورة هذه الحركات تتأتّى من كونها سرية تعمل بالسر وفي السر، وتعتمد على الصدق بين أنصارها كأعظم ركن لها، وعلى الكذب على الغير كأعظم وسيلة للوصول إلى أهدافها.

وخطر العلوية النصيرية ناجم من مطالبتها بحقّ مغتَصب، لم يكن في التاريخ مثله حقّ مغتصب، وهو حقّ علي بن أبي طالب بالألوهة. وناجم أيضاً من الكتمان في المعتقد، ومن التمويه على الحقيقة والتدليس عليها.

----

(٤) البغدادي، الفرق بين الفرق، القاهرة، ص ٢٨٢.

بـ« التقية » حافظ النصيريون على وجودهم، وبالقول بـ« ألوهية » علي استمروا متضامنين في التاريخ. وبسبب هذه الألوهية تحملوا أعظم نكبات الدهر، وصبروا على أقسى المحن، وتكبدوا القهر والاضطهاد... ولم تتعرض أمة إلى مثل ما تعرضت إليه الأمة النصيرية. السبب هو ا . وليس أعنف من موقف يكون في سبيل ا . لكأن النصيري بتحديده هو المدافع عن كرامة ا وحقّه. وقد كلّفه الدفاع ثمناً باهظاً جداً، أي ثلاثين مليون ضحية في الشرق، وخمسة ملايين في الغرب[5]. لا بأس، فا لن يعجزه خلق العوض، شرط أن يفرض حقّه على رقاب الآخرين.

*****

بهمة الدفاع عن حقوق ا سنسير معاً، ومع أخواننا النصيريين، عبر تاريخهم، في جبالهم وسهولهم، ومدنهم وقراهم، في قهرهم ونكباتهم، في عقيدتهم وتعاليمهم، بين مخطوطاتهم النادرة، وفيما كتب عنهم وحولهم، في ماضيهم وتطلّعاتهم إلى المستقبل حيث أملهم العظيم ببناء مجتمع خاص بهم، يحفظ كيانهم ووجودهم وعقيدتهم... سنسير معاً، كهم، ومن حيث هم، بتؤدة، وعلى حذر، وبكثير من اليقظة والحيطة، لئلا يغدر بنا الغادرون، فتفشل المساعي حيث كل شيء معد للنجاح اعداداً تاماً.

---

(٥) محمد أمين غالب الطويل، تاريخ العلويين، ص ١٣١.

الفصل الأول:

نشأة النصيرية

أولاً : اختلاف المسلمين في الإمامة

ثانياً : سلسلة الأئمة

ثالثاً : نظرية « الباب »

رابعاً : محمد بن نصير النميري

خامساً : الحسين بن حمدان الخصيبي

سادساً : الميمون الطبراني

أولاً: اختلاف المسلمين في الإمامة

يقول الشهرستاني (+ ٥٤٨ هـ) في الاختلافات التي حدثت في الإسلام منذ نشأته بأن « أعظـم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سلّ سيف في الإسلام مثل مـا سـلّ علـى الإمامة »[١].

ويقول البغدادي (+ ٤٢٩ هـ) في المسلمين الأولين أنّهم « اختلفـوا فـي الإمامـة، وأذعنت الأنصار إلى البيعة لسعد بن عبادة الخزرجي، وقالت قريش: إن الإمامة لا تكون إلاّ في قريش، ثم أذعنت الأنصار لقريش... وهذا الخلاف باقٍ إلى اليوم »[٢].

ويبدأ النوبختي (+ ٣٠٠ هـ؟) كتابه بما يلي: « أما بعد، فإن فـرق الأمـة كلّهـا، المتشيعة وغيرها، اختلفت في الأمة في كل عصر ووقت كلّ إمام بعد وفاته، وفـي عصـر حياته منذ قبض الله محمداً ». وأكمل قوله: « قبض رسول الله ... فافترقت الأمة ثلاث فـرق: فرقة منها سميت الشيعة، وهم شيعة علي بن أبي طالب، ومنهم افترقت صنوف الشيعة كلها، وفرقة منهم ادعت الامرة والسلطان وهم الأنصار، ودعوا إلى عقد الأمر لسـعد بـن عبـادة الخزرجي، وفرقة مالت إلى أبي بكر... »[٣].

----

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ص ١ / ٢٤.
(٢) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٥ عدد ١٧.
(٣) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٢ و٣.

ويبدأ الأشعري (+ ٣٣٠ هـ) كتابه بهذه الحقيقة: « اختلف الناس بعد نبيهم في أشياء كثيرة ضلّل بعضهم بعضاً، وبرئ بعضهم من بعض، فصاروا فرقاً متباينة، وأحزاباً مشتّتين؛ إلاّ أن الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم ». ويكمل قائلاً: « وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين، بعد نبيهم، اختلافهم في الإمامة »[٤].

والاختلاف في الإمامة أصبح خلافاً في الذي تكون به الخلافة: أهو نص من النبي، أم اختيار من المسلمين؟ ولشدة الخلاف وعنفه، راحت فرق تتساءل بقولها: « هل يجب على المسلمين أن يكون لهم خليفة يقيم الحدود ويسد الثغور ويجهز الجيوش للجهاد ويولي القضاة والحكام ويحمي بيضة المسلمين، أم لا يجب عليهم ذلك مطلقاً! أم يجب عليهم في حال دون حال؟! »[٥].

إن الذين يقولون بأن الإمامة معينة بنص من النبي هم أصحاب علي بن أبي طالب، المسمون « شيعة »، المطالبون بحقّ علي في خلافة الرسول. ويستندون إلى أحاديث نبوية وآيات قرآنية، هي بنظرهم، واضحة صريحة. منها:

١ً ـ قول النبي لأصحابه: « إني أوشك أن أدعى فأجيب. وإنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب ا ربنا وعترتي أهل بيتي. فانظروا كيف تحفظوني فيهما ».

٢ً ـ وقوله: « علي منّي، وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن ».

- - - - - - - - - - - - - - - - -
(٤) الأشعري، مقالات الاسلاميين، ص ٣٤ عد ١ وص ٣٩ عد ١.
(٥) تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد على مقالات الاسلاميين ص ٤٥.

٣ ـ وقوله: « علي بن أبي طالب باب الـدين. من دخله كان مؤمناً ومن خرج منـه كـان كافراً ».

٤ ـ وقوله : « القرآن مع علي وعلي مع القرآن لا يفترقان ».

٥ ـ وقوله: « من سب علياً فقد سبني. ومن سبني فقد سب ا ».

٦ ـ وقوله: « من آذى علياً فقد آذني ».

٧ ـ وقوله: « علي بمنزلة رأسي من بدني ».

٨ ـ وقوله: « يا علي من أحبك فقـد أحبني. ومن أبغضك فقـد أبغضني. وبغيضك بغيض ا ».

٩ ـ وقوله: « يا علي لولا أنّي خاتم الأنبياء لكنتَ شريكاً في النبوة. فإن لم تكن نبياً فأنـت وصي نبي ووارثه. بل أنت سيد الأوصياء ».

١٠ ـ وقوله: « كنت أنا وعلي نوراً عن يمين العرش بين يدي ا عز وجلّ. يسبح ا ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق آدم. فلم نزل أنا وعلي شيئاً واحداً حتى افترقنا في صلب عبد المطلب. فجزء أنا وجزء علي ».

وأحاديث أخرى كثيرة وردت على لسان النبي، يأخذ بها الشـيعة ويعتمـدون عليهـا لإظهار أولوية علي في الخلافة والإمامة. وبعض هذه الأحاديث يشير إلى تفوق علـي علـى محمد، بإقرار من محمد نفسه، كالحديث الوارد: « علي بمنزلة رأسي من بدني ».

أما الآيات القرآنية التي تشير إلى أهمية علي ودوره فهي أيضاً كثيرة:

١ ـ « وكل شيء أحصيناه في إمام مبين » (يس ٣٦ / ١٢).

٢ ـ « وعد ا الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفكم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم »، وهي في الخلافة (سورة النور ٢٤ / ٥٥).

٣ ـ « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » (الانفال ٨ / ٧٥). يعني أن علياً أولى بمحمـد من جميع الناس، وكذلك محمد أولى بعلي من سواه.

٤ ـ « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » (الشـورى ٤٢ / ٢٣). أي لا أجـر على الذين يحفظون القرآن قدر أجر الذين يودون أقرباء النبي، وأقـربهم وأخصـهم علي بن أبي طالب.

٥ ـ « وأنذر عشيرتك الأقربين » (الشعراء ٢٦ / ٢١٤).

وغيرها من آيات القرآن الواضحة في أولوية علي.

أما أكمل الدلائل على إمامة علي وتعيينه بإرادة إلهية خلفـاً للنبي فهي بيعة « غدير خم ». ومناسبة هذه البيعة كانت عندما رجع النبي من مكة إلى المدينة في « حجة الـوداع » ختاماً لدعوته السماوية، بلغ مكاناً يقال له « غدير خم ». وفيما هو جالس على الغدير وقـف ينزل آية تقول: « يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، وا يعصمك من الناس » (المائدة ٥ / ٦٧). وأضاف النبي على هذه الآية قوله: « إن هـذه الآية لاتمام البيعة إلى علي ». ثم صعد النبي مكاناً مرتفعاً وخاطب المسلمين:

« ألست أولى بكم من أنفسكم؟

فقالوا: بلى.

ثم كرر قوله: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

فأجابوه ثانية: بلى.

ثم قال: « من كنت أنا مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه، وعـادِ مـن عـاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وَأَدِر الحق معه

كيفما دار ».

وكرر كلامه هذا ثلاثاً. وأمر أصحابه بمبايعة علي. فبادروا إليه وبايعوه.

والعلويون ينظرون إلى بيعة غدير خم كأعظم حادثة تاريخية.

وبعد أن تمت هذه البيعة نادى النبي أصحابه وتلا عليهم هذه الآية: « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » (المائـدة ٥ / ٣). ثـم تـلا علـيهم الحديث: « الحمـد على كمال الدين وتمـام النعمة، ورضي ا برسالتي وبولايـة علـي بعدي ».

ثم بارك الحاضرون لعلي.

ونزلت الآية: « يعرفون نعمة ا ثم ينكرونها » (النحل ١٦ / ٨٣). وفسـر النبـي معناها بقوله: « يعرفون نعمة ا يوم الغدير، وينكرونها يوم السقيفة »، المكان الذي اجتمـع فيه المسلمون بعد محمد ليختاروا لهم خليفة.

كانت هذه البيعة في السنة العاشرة للهجرة، في الثامن عشر من شهر ذي الحجة. وهو أعظم يوم لدى العلويين.

أما مؤهلات علي التي يتّصف بها ليكون خليفة رسول ا فهي، بنظر العلويين، تفوق مؤهلات كل إنسان وجد على الأرض. لقد كان علي أول المسلمين إيماناً بالـدعوة الجديـدة، وأجودهم عطاء وتضحية، وأكثرهم تقوى، وأشدهم قوة وبطشاً. من ذلك أيضـاً نسـبته إلـى الرسول: فهو ابن عمه، وربيبه، وصهره زوج ابنته فاطمة التي قال فيها: « لو لم يخلق

علي ما كان لفاطمة كفؤ ». وعلي أيضاً هو أعظم من عقد لواء وحمل رايةً فـي الإسـلام، وجاهد لأجله، وافتدى محمداً في نومه على فراشه يوم هجرته إلى المدينة، وهو أكثر من قام بقيادة الحملات العسكرية ضد الكفّار والمشركين...

لأجل هذه كلّها يستحقّ علي بن أبي طالب وأبناؤه وأحفـاده أن يخلفـوا النبـي. ولا يستحقّ ذلك غيرهم. وبسبب ذلك اختلف المسلمون حتى أصبح الإسلام إسلامين: سنّة وشيعة. وتفرق الإسلامان إلى فرق وأحزاب تنبأ النبي على كثرتها يوم قال: « افترقت اليهـود علـى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ». بسبب علي افترقت الشيعة أيضاً إلى فِرقٍ: منها من اعتدل برأيه، ومنها من غالى، ومنها من أنكر، ومنها من توقّف، ومنها من أرجأ الأمر ، ومنها من خرج عن هؤلاء وأولئك...

ثم زادت الخلافات وتعددت واشتدت حتى أصبح بعضها يقول بأن عليا بن أبي طالب هو ا ، وا هو علي بن أبي طالب. من هؤلاء فرقة سميت في التاريخ « علويـة » وفـي النسبة « نصيرية » وفي العقيدة « خصيبية ».

*****

ثانياً: سلسلة الأئمة

لكي نستطيع معرفة أصل النصيرية ونشأتهم لا بد من معرفة سلسلة الأئمة بجميع فروعها وتشعباتها. بهذا فقط نستطيع أن نميز بين جميع الفرق المتقاربة أحياناً كثيرة بتعاليمها وعقائدها.

غير أنّنا نذكر ما يهمنا في هذه السلسلة، أي ما له صلة بموضوعنا عن النصيرية، وما له علاقة أيضاً بالنصيرية نفسها. وسبب هذا الاقتصار تشعب الدوحة العلوية ونموها وكثرةُ المنتسبين إليها، بحق وبغير حقّ.

لم تنشأ جميع فرق الشيعة دفعةً واحدة في التاريخ، وبسبب خلاف واحد معين. بل بعض الفرق كانت هي نفسها منقسمة على ذاتها ويتوالد بعضها من بعض. ومعظم الفرق تنتسب إلى شخص، وبعضها يتسمى بأسماء عديدة، بعضها عمل في الظاهر وآخرون عملوا في الخفاء والسر.

يلاحظ أيضاً أن الفرق المنتسبة إلى علي أكبرها اثنتان: الاسماعيلية والاثناعشرية. وكلاهما من فاطمة زوج علي. فيما فرق أخرى تنتسب إلى علي، ولكن دون فاطمة مثل الحنيفية والكيسانية.

بيد أن النصيرية، ثمرة الاثنيعشرية، أتت بعد انتهاء دور الإمامة، أي بعد الإمام الثاني عشر. كالدرزية التي جاءت في الحكم الفاطمي ونتيجة للإسماعيلية. والفرقتان: النصيرية والدرزية تتقاربان في موقفهما من ا .

أما سلسلة الأئمة فهي هذه:

(١) علي بن أبي طالب (+٤٠/ ٦٦١)

(٢) الحسن (+٥٠/٦٧٠)

(٣) الحسين (+٦١/٦٨٠)

(٤) علي زين العابدين (+٩٤/ ٧١٢)

(٥) محمد الباقر (+١١٣/٧٣١)

زيد (+١٢٥) الزيدية

(٦) جعفر الصادق (+١٤٨/٧٦٥)

الأئمة المستورون:

إسمعيل (+١٤٥/٧٦٢)

محمد

......

الخلفاء الفاطميون:

المهدي (+٣٢٢/٩٤٥)

القائم (+٣٣٤/٩٤٥)

المنصور (+٣٤١/٩٥٢)

المعز (+٣٦٥/٩٧٥)

العزيز (+٣٨٦/٩٩١)

الحاكم بأمر ا (+٤١١/١٠٢٠)

...

الأئمة الاثنا عشر:

(٧) موسى الكاظم (+١٨٣/٧٢٩)

(٨) علي الرضا (+٢٠٢/٨١٧)

(٩) محمد الجواد (+٢٢٠/٨٣٥)

(١٠) علي الهادي (+٢٥٤/٨٦٨)

(١١) الحسن العسكري (+٢٦٠/٨٧٣)

(١٢) محمد المهدي (+٢٦٦/٨٧٩)

النّصيرية

أنت ترى في لائحة الأئمة إن السلسلة تنتهي عند جعفر الصادق إلى فرعين: الأئمة الاثنيعشرية والأئمة الإسماعيلية المستورين ثم الخلفاء الفاطميين. وسبب هذا الافتراق هو إن إسمعيل بن جعفر الصادق كان قد عينه والده إماماً بعده، ولكن إسمعيل مات في حياة أبيه. فلا بد والحالة هذه أن ترجع الإمامة إلى الأب حتى ينقلها إلى ابن آخر له.

على هذا اختلاف الناس: فمنهم من قال بأن جعفر سلّم الإمامة، بعد موت اسمعيل، إلى محمد ابن اسمعيل، أو هي انتقلت إليه بطريقة عفوية. والقائلون بذلك هم المسمون بالاسماعيلية أو أيضاً بالسبعية. وهؤلاء أيضاً يختلفون فيما إذا كان اسمعيل يحسب إماماً سابعاً أو ابنه محمد هو الإمام السابع. لكنّهم في كلا الحالين يسمون باسماعيلية أو باطنية أيضاً.

أما الذين قالوا بأن الإمامة رجعت، بموت اسمعيل، إلى جعفر، الذي نقلها إلى ابنه الثاني موسى الكاظم، فهم المسمون: الاثناعشرية، أو الموسوية، أو أيضاً الإمامية. وسموا بالاثنيعشرية لأنهم يذهبون بالإمامة إلى الإمام الثاني عشر محمد المهدي الذي « غاب » و « اختفى » سنة ٢٦٦ هـ في سرداب في مدينة سامراء، وأمه تنظر إليه، وتنتظر رجعته. كان لمحمد من العمل حوالي العشر سنين، ولم يكن له بالطبع أولاد حتى تنتقل الإمامة إليهم. فانقطعت به الإمامة، ولذلك سمي أتباعه أيضاً بـ « القطعية ».

الإمام الثاني عشر، محمد المهدي المنتظر، هو الملقّب بالحجة وبصاحب الزمان وخاتم الأئمة والأوصياء. سيعود بعد غيبته هذه إلى الأرض ليرد إليها العدل والإنصاف. وغيابه لا يضر الإيمان في شيء، لأنه ما يزال موجوداً بين شيعته، يهتم بأمورهم، ويرسل إليهم النذر.

غير أن قسماً من المنتظرين عودة الإمام الغائب ملّوا الانتظار، وعظم عليهم أن يبقوا بدون إمام مرجع حي يرجعون إليه في صعوبات الحياة ومحن الإيمان. إن ا ، برأي هؤلاء، لن يترك عبيده « هملاً » بدون حجة في الدين، أو بدون دليل علـى ا ، أو قـدوة ملموسـة يتشبهون بها، أو مثال حي يسعون إليه... لذلك قالوا بأن « من الأمور الطبيعية أن لا يبقـى العلويون (النصيريون) بدون مرجع يقتدون به، إذ مهما تعالى البشر وتمسكوا بالمعنويـات لا غنى لهم عن الأخذ بالماديات »[١].

هذا الموقف أوجب على فريق من الشيعة الاثنيعشرية الاستعاضة عن الأئمة بـوكلاء الأئمة، المسمين « أبواباً ».

أما أقوال النصيريين في الأئمة فبمستوى التأليه. خلقوا قبل الخلق أجمعين، يعلمـون أسرار الكون وما بعد الكون، معصومون من كل خطأ، موجودون إلى الأبـد. بهـم يكـون القضاء، وإليهم المرجع في معرفة ا .

قال الصادق في خلقهم: « إن ا عز وجلّ خلقنا قبل الخلق، وقبل آدم بألف عام، وكنّا أرواح حول العرش نسبح ا ، ويسبح الكل السماء بتسبيحنا، فهبطنا إلـى الأرض والأبـدان، فسبحناه عز وجلّ، وسبح أهل الأرض بتسبيحنا، وفي لساننا نطق كل إنسـان. وذلـك قولـه تعالى: « وإنّا لنحن الصافون. وإنّا لنحن المسبحون »[٢].

والإمام « لا يحجب ا ُ عنه شيئاً، لا أرضاً ولا سماء، ولا جبلاً

----

(١) محمد الطويل، تاريخ العلويين، ص ٢٠٠.
(٢) سورة الصافات ٣٧ / ١٦٥ ـ ١٦٦، كتاب الهفت والاظلّة، ص ٧٧.

ولا براً، ولا بحراً، حيث ما كان يراه، ولا يجهل أمر ا عز وجلّ. وذلك أن الجهل منقصة، وليس في الإمام منقصة، والجهل ضلالة، وليس عند الإمام ضـلالة، وإنمـا عنـده الهدايـة جميعها... »[٣].

وورد على لسان الإمام محمد الباقر قوله: « نحن الأئمة، أولياء ا ، لا يفتر علينا من علمه شيء، لا في الأرض ولا في السماء. نحن يد ا وجنبه، ونحن وجه ا وعينه، وأين ما ينظر المؤمن يرانا. إن شئنا شاء ا ، ولا تلقه إلا إلى أهله. والحمد الذي اصطفانا من طينة نور قدرته، ووهبنا سر علم مشيئته، وأمرنا بأن نعرف شيعتنا حق معرفة أمانتـه، ونخلّـص نفوسهم من كدر العذاب بولايته، ونختم لهم في إيمان الهداية بالنداء إلى دار السلام وخيراتـه في جوار الرحيم الرحمان وجنّاته، ونغمس أرواحهم في عين الهنية الزكية الراضية المرضية برحمته »[٤].

وقال الصادق الإمام السادس: « نحن منار ا في بلاده وأرضه، ثـم أمنـاؤه علـى خليفته »[5] وأضاف أيضاً « ما عرف ا أحداً غاية فضلنا إلاّ مقدار شعرة بيضاء في ثـور أسود. وما مقدار فضلنا وعلمنا في علم ا وفضله إلاّ بمقدار ما حمل الطائر بمنقـاره مـن البحر... »[٦].

وفي معركة كربلاء يوم اصطفت الخيول والعساكر لتحارب الحسين، « دعا مولانـا الحسين جبريل وقال له: يا أخي، من أنا؟ قال: أنت ا الذي لا إلـه إلاّ هـو الحـي القيـوم والمميت والمحيي. أنت الذي تأمر السماء فتطيعك والأرض فتنتهي لأمرك والجبال فتجيبـك والبحار فتسارع إلى طاعتك. وأنت الذي لا يصل إليك كيد كائد ولا ضرر ضار »[٧].

---

(٣) كتاب الهفت، ص 55.
(٤) نفس المرجع، ص ١٩٤.
(5) نفس المرجع ص ١٧٤.
(٦) نفس المرجع ص ١٧٤.
(٧) ص ١٠٠.

ثالثاً: نظرية « الباب »

تأتي ضرورة « الباب » في الدين من حاجة الناس الملحة إليه بعد غياب الأئمة، ومن تعاليم النبي وأقواله حيث قال عن نسبة علي إليه كنسبة الباب إلى المدينة: « أنا مدينة العلـم وعلي بابها ». وعلّم أيضاً بأن « من طلب العلم فعليه بالباب ». وفي القرآن أيضـاً إن مـن ابتغى مغفرةً عليه بالباب ليكسب الجنّة ويتنعم بخيراتها: « ادخلوا الباب سـجداً نُغفـر لكـم خطاياكم »[1]، و « ادخلوا عليهم الباب. فإذا دخلتموه فإنكم غالبون »[2]. والباب أيضاً، بحسب منطوق الآية، هو الذي يذكّر بآيات ا . وإذا ما نسي الناس حظّهم فما عليهم إلا بالباب: « فلما نسوا ما ذُكّروا به، فتحنا عليهم أبواب كل شيء »[3].

فالباب إذن هو المدخل إلى الدين؛ والمدخل الحقيقي إلى الدين هو الإمام، أو من قـام مقام الإمام. والباب هو وكيل الإمام، ووصية، ووريثه. بهذا يلعب نفس دور الإمام. فهو مثله يتمتّع بالعصمة، وبالعلم الإلهي، وبحقّ تأويل آيات الكتاب، وبالتمييز بين الظاهر والباطن.

ولشدة الحاجة إليه، كان لكل إمام « باب ». وإليك أسماءهم معاً:

- - - - - - - - - - - - - - - - -
(١) البقرة ٢ / ٥٨، انظر الأعراف ٧ / ١٦١.
(٢) المائدة ٥ / ٢٣.
(٣) الأنعام ٦ / ٤٤.

١) الإمام علي بن أبي طالب بابه سلمان الفارسي.

٢) الإمام الحسن المجتبى بابه قيس بن ورقة المعروف بالسفينة.

٣) الإمام الحسين الشهيد بابه رشيد الهجري.

٤) الإمام علي زين العابدين بابه عبد ا الغالب الكابلي، كنكر.

٥) الإمام محمد الباقر بابه يحيى بن معمر بن أم الطويل الشمالي.

٦) الإمام جعفر الصادق بابه جابر بن يزيد الجعفي.

٧) الإمام موسى الكاظم بابه محمد بن أبي زينب الكاهلي.

٨) الإمام علي الرضا بابه المفضل بن عمر الجعفي.

٩) الإمام محمد الجواد بابه محمد بن مفضل بن عمر.

١٠) الإمام علي الهادي بابه عمر بن الفرات المعروف بالكاتب.

١١) الإمام الحسن العسكري بابه أبو شُعيب محمد بن نُصير النُميري[٤].

يهمنا من الأبواب ثلاثة: سلمان الفارسي، الباب الأساسي، منه سائر الأبواب، وإليـه مرجعها، وهو يدخل في نطاق الثالوث الإلهي: علي ومحمد وسلمان؛ والمفضـل بـن عمـر الجعفي تلميذ الإمام جعفر الصادق وقد نَقل عنه أقواله وأخباره ووضـع كتـاب « الهفـت والاظلّة » الذي نعتمد عليه كمصدر أساسي في البحث؛ وأبو شعيب بن نُصير النميري بـاب الإمام الحادي عشر، الذي أناب في الدين بعد غياب الإمام الثاني عشر.

من الملاحظ أيضاً أنه لم يكن للإمام الثاني عشر محمد المهدي باب يكون له وكيلاً في غيابه، كما لم يكن له ولد ينقل إليه الإمامة، لذلك اعتبرت فئة من النـاس، وهـم المسـمون بالنصيريين، أن أبا شعيب محمد

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(٤) كتاب تعليم الديانة النصيرية، مخطوط باريس رقم ٦١٨٢ ص ١٠ ب.

ابن نصير البصري النميري، باب الحسن العسكري، هو وريث الإمام الثاني عشـر، وهـو حجته والبرهان عليه، ووكيله والدليل إليه.

والباب، بنظر هؤلاء الناس، هو من جملة التشكيلات الدينية الأساسية. ولـه مهمـة كمهمة الإمام في تدبير شؤون الناس. بواسطة الباب يدخل المؤمنون إلى الإيمان، وبه ينـال الطالبون الدين.

قال الصادق في الباب وأهميته: « درجة الباب أن يدري الإمام حيث يشاء؛ لا يحجب عنه شيء، لا جبل شاهق، ولا طَود متين، ولا بحر عميق، ولا حائط محيط، إلاّ يكون نصب عينيه حيث شاء وأراد »(5).

- - - - - - - - - - - - - - - - -
(5) كتاب الهفت والاظلة، ص 55.

رابعاً: محمد بن نصير النميري

عرف بـ « أبي شعيب محمد بن نصير البصري البكري النميري العبدي. رغم نسبته العربية اختُلِف في أصله. فهو قد يكون من مواليد البصرة، على ما نرى في نسبته إليها، وإلى بعض قبائلها العربية، وقد يكون أيضاً من الكوفة في العراق، على حد قول ابن العبري، في تاريخه السرياني، ثم يعود ابن العبري، في التاريخ العربي، ليعتبره من خوزستان من بلاد فارس، علماً بأن ابن العبري ينسب إلى ابن نصير كلّما يعود إلى الخصيبي، كما يخلط بين القرامطة والنصيريين. وقد يكون أيضاً، على حسب شهادة الشهرستاني[1]، من بلاد فارس، وذلك لاعتباره له من غلاة الشيعة الذين ألّهوا علياً وخلفاءه، ولقوله بالتناسخ والحلولية والثنائية، وكره الخلفاء الثلاثة الأول، وتمجيد الشخصيات التي لها علاقة بفارس مثل أزدشير وسابور اللذين يعتبران تجسيداً للألوهة[2]، والأخذ ببعض الأعياد الفارسية، كالنوروز والمهرجان، والاعتماد على المتحمسين من أهل فارس، « لأن أهل العجم يعتقدون بألوهية علي بن أبي طالب »[3]. أما نسبته « البكري » فتعود إلى كونه حصلّها فيما بعد، فيكون بالتالي من الموالي لبعض القبائل العربية.

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ص ١٨٨ ـ ١٨٩، ١٧٣ ـ ١٧٥.
(٢) سليمان الأدني، الباكورة السليمانية، ص ١٧.
(٣) نفس المرجع، ص ٨١ ـ ٨٢.

سكن ابن نصير في سامراء، وكان باباً للإمام الحادي عشر الحسن العسكري. اشتهر بمرتبته « البابية » في الدين. بعد اختفاء الإمام الثاني عشر، وقع عبء الدعوة على أكتافـه، فعمد إلى تنظيمها وتولية أمرها، وهو ينعي فيها غياب الأئمة إلى الأبد. إلاّ أن تطرفه في حب آل البيت عوض عن هذا الغياب الفاجع، فغلا في تقديس الأئمة، وأوشك تأليـه الإمـام الأول منهم.

لم يكن لابن نصير تعاليم مدروجة في كتب، سوى ما نعرفه مـن بعـض المصـادر الإسلامية المعادية. يقول فيه النويختي: « محمد بن نصير النميري، وكان يدعي أنّه نبي، بعثه ابو الحسن العسكري. وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن، ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالاباحة للمحارم، ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل، وأنه أحد الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجلّ لم يحرم شيئاً من ذلك... »[٤].

وفي كتاب « المناظرة »، من كتب النصيرية، كلام عن ابن نصير وتعاليمه ونسـبته إلى الحسن العسكري. قال فيه: « إن محمد بن نصير هو باب الله، الذي لا يتّخذ بعـده بـاب غيره. وكان هو الباب إلى غيبة سيدنا أبي محمد (الحسن العسكري). وغاب الباب. وتم الاسم شخصين: الحسن العسكري ومحمد بن نصير. والمعنى (علي بن أبي طالب) جلّ وعلا ظاهر بالذات كمثل صورة علي العسكري منه السلام.

« وطلبته القرون وقصدته فراعنة الأرض وأظهر الغيبة يوم الاثنين

----

(٤) النويختي، فرق الشيعة، ص ٧٨.

بخمس ليالي بقيت من جمادى الآخر سنة أربعة وخمسين ومائتين من أول سنين الهجرة. مدة هذا المقام أربعين سنة، منها مع المولى محمد ستة سنين وخمس أشهر، وبعد غيبة محمد ثلاثة وثلاثين سنة وسبعة أشهر... ولم يظهر في هذه الغيبة قتل ولا سم بل غيـب الاسـم. وهـو الحسن العسكري، وظهر كمثل صورته... وأظهر الاسم وهو مولانا المهدي صاحب الزمـان محمد بن الحسن... طلوع الفجر يوم الجمعة لثماني ليالي خلون من شعبان سنة سبعة وخمسين ومائتين من أول سنين الهجرة. فلم يزل الاسم شخصين: مولانا المهدي صاحب الزمان محمد ابن الحسن، والسيد محمد بن نصير علينا سلامه »[٥].

*****

إلى ابن نصير هذا تنسب النصيرية. ولا علاقة لهذه التسمية بـ« النصارى »، حسبما يقول Wolff[٦] الذي يعتبر اسم « نصيرية » من صنع أعدائهم وهـو يعنـي « النصـارى الصغار »، وكما يقول Renan[٧] بأن اسمهم هو « تصغير للفظة نصـارى ». ولا علاقـة أيضاً للنصيرية بـ« نصير مولى علي بن أبي طالب » الذي تولّى علي تحريره حسبما يقول أبو الفداء[٨]. ولا يعني أيضاً « فلاح » على ما يقوله Ritter و M. Hartmann[٩].

---

(٥) المناظرة، مخطوط باريس رقم ١٤٥٠، ص ١١٩ ب ـ ١٢٠ أ.

(٦) Wolff, Catéchisme des Nosairis, Z.D.M.G. III.

(٧) Renan, Mission de Phénicie, p. 114.

(٨) Chronique Arabe, Ed. Beyrouth, p. 232.

(٩) Ritter, Erdkunde, XVII, 979, 993; cité par R. Dussaud dans son "Hist. et Religion des Nosairis", p. 9.

ونسبة النصيريين إلى ابن نصير واضحة في « كتاب المجمـوع »[١٠]، حيـث هـذا القول: « ومن محمد بن نصير أقام النسب والدين »[١١]، وأيضاً في قوله: « أنّـي نُصـيري الدين، جندِبي الرأي، جنْبلاني الطريقة، خُصيبي المذهب، جلي المقال، ميموني الفقـه »[١٢]. وفي السؤال ٩٩ من كتاب تعليم الديانة النصيرية يفتخر النصيريون بانتسابهم إلى الخصـيبي مؤسس العقيدة، ويسمون « بالخصيبية »[١٣]، ويطلقون على أنفسهم اسم: « الطائفة أصـحاب الخصيبية »[١٤]. وهذا دليل على ما لهذا الرجل من دور هام في تاريخهم وعقيدتهم[١٥].

إلاّ أن النصيريين يؤثرون اسم « العلويين » على سواه افتخاراً بنسبتهم إلى علي بـن أبي طالب، كما أنّهم ينتسبون بفخر واعزاز، في عقيدتهم، إلى الخصـيبي، بـاني شـؤونهم، ومنظّر تعاليمهم.

*****

خَلَفَ ابن نُصير في رتبته البابية محمد بن جندب الذي لم يعرف عنه الشيء الكثيـر، ثم محمد الجنان الجنْبلاني « العابد الزاهد الذي هو من بلد فارس »[١٦]. هذا كان عالماً ورعاً عازباً عن أمور الدنيا. وقد كنّي بالزاهد لكثرة تقشّفاته. أقام في إيران في بلدة جنبلا الفارسية، وعرف بنسبته إليها: الجنبلاني أو أيضاً الفارسي.

----

(١٠) كتاب المجموعة، فيه عقيدة النصيرية ودستورهم، مؤلّف من ست عشرة سورة، من وضع الخصـيبي. تراه في آخر هذا البحث.
(١١) كتاب المجموع، السورة الرابعة واسمها النسبة.
(١٢) السورة الحادية عشرة واسمها الشهادة.
(١٣) كتاب تعليم الديانة النصيرية، مخطوط باريس رقم ٦١٨٢.

أنشأ الجنبلاني طريقة خاصة بالتصـوف، سـميت بالطريقـة الجنبلانيـة، ووضـع للنصيريين فقهاً خاصاً بهم، يختلف عن الفقه الجعفري الذي يأخذ به الشيعة والمذاهب الفقهية السنّية الأربعة.

سافر الجنبلاني إلى مصر، وهناك اختار له رجلاً مساعداً يسمى: الخُصيبي، وأدخلـه طريقته، واستصحبه معه عائداً وإياه إلى جنبلا، حيث توفّي الجنان سنة ٢٨٧ هجرية.

ظهر في أيام الجنبلاني المتصوف المشهور أبو القاسم جنيد بـن محمـد القـواريري المعروف بالبغدادي، نسبة إلى مكان مولده بغداد. هذا اشتهر أيضاً بالزهد والتقـوى. تـدرب على الصوفية في بلاد فارس في نهاوند، وتلقّى علومه على الطريقة الشافعية، ثم على الطريقة الجنبلانية. توفّي سنة ٢٩٧ هـ، ودفن في بغداد بجانب خاله الصوفي الذائع الصيت « السـر السقطي » المتوفّي سنة ٢٥٣ هـ.

*****

----

(١٤) كتاب تعليم الديانة النصيرية، السؤال: ١٠٠.

(١٥) H. Lammens, Etudes, 1899, p. 462-463.

(١٦) السورة الرابعة واسمها النسبة من كتاب المجموع.

خامساً: الحسين بن حمدان الخصيبي

بعد وفاة الجنبلاني استلم رئاسة الدعوة السيد الحسين بن حمدان المصري الخُصـيبي الذي استقدمه من مصر إلى جنبلا. وبعد جنبلا انتقل الخصيبي إلى بغداد حيث كانت أعظـم أعماله الدينية. ثم ساح في معظم البلاد الإسلامية: في خراسان والديلم وحلب حيث توطّن عند سيف الدولة أمير بني حمدان، يدير شؤون النصيريين.

يعتبر الخصيبي المؤسس الثاني للنصيرية. وهو الذي انتقل بها من بلاد العراق إلـى بلاد الشام وحلب حيث استقلّت عن الدين الإسلامي استقلالاً تاماً، بعدما كانت في بغداد تحتفظ بعض الاعتدال. وربما سميت النصيرية منذ ذلك الحين بالخصيبية، لما للخصيبي من يد طولى في ترسيخ قواعدها ونشرها في الأقطار الإسلامية.

جاء في كتاب تعليم الديانة النصيرية هذا السؤال: « من هو شيخنا الذي شـرع لنـا الأديان في سائر البلدان؟ الجواب: هو سيدنا أبو عبد ا الحسين بن حمدان عليه وعلى تلاميذه من ا أفضل الصلاة والسلام ». وفي سؤال آخر: « لماذا نُدعى الطائفة الخصيبية؟ الجواب: لأنّنا تابعين تعليم شيخنا ابن عبد ا الحسين بن حمدان الخصيبي قدس ا سره »[1]. وجـاء في الباكورة إن النصيرية تدعى بـ« ديانة الخصيبي »[2].

----

(١) مخطوط رقم ٦١٨٢ سؤال ٩٩ و١٠٠.

يبدو أن دعوة الخصيبي لم تلقَ نجاحاً في بلاد الشام. فهو، في إحدى قصائده يذم الشام لعدم استجابة أهليها دعواه. يقول شعراً:

سأمت المقـام بأرض شام عليهم لعـائن رب الأنـام.

بعد الشام رجع إلى بغداد، وبدأ ينشر فيها تعاليمه بين الناس، فسمع به الوالي، فقبض عليه، وألقاه في السجن. ولما لاحت له فرصة الهرب فر ليلاً. واشتهر بين أتباعه أن السـيد المسيح خلّصه ليلاً، وأنّه محمد، وأبناء بنت محمد الأحد عشر، كما قال في ديوانه:

قـال لي في المنـام أب شفيقٌ أنتَ يا ابن الخصيبِ حر عتـيقُ.

أنت بالحجـب أل أحمـد مـا عشتَ طليقـاً بحبهـم مـرزوق.

أما قصة هربه من السجن وتخليص المسيح لـه فهي كمـا يقصها علينا ابن العبري: « كان للسجان جارية أخذتها الشفقة عليه، وسكر السجان يوماً واستغرق في النـوم، ففتحـتِ السجن، وردتِ المفاتيح إلى مكانها. استيقظ السجان ورأى أن الشيخَ هرب، ولا يوجد علامـة على أن السجن فتح. فزعم أن ملَكاً أطلقه، وأذاع هذا الخبر لينجو من غضـب الـوالي »[٣]. سمع الشيخ بهذه الإذاعة الأعجوبة فازداد عزماً في نشر تعاليمه.

قال سليمان الاذني عن الخصيبي إن « هذا عندهم أعظم من كل من كان بعده. هـو الذي أكمل صلواتهم، وأذاع تعليمه في البلدان »[٤]. ونفخ في أنصاره الروح والنشاط، ورتّب أنظمتهم، ودبر أمورهم. وهم يذكرونه في صلواتهم، ويبجلونه بقولهم: « شيخنا وسيدنا وتـاج رؤوسنا وقدوة ديننا

----

(٢) الباكورة السليمانية، ص ٩٠.
(٣) ابن العبري، مختصر الدول، بيروت ص ٢٥٠ حيث يخلط المؤرخ بين النصيرية والقرامطة.
(٤) الباكورة السليمانية، ص ١٦ تفسير على السورة الرابعة.

وقرة أعيننا السيد أبي عبد ا الحسين بن حمدان الخصيبي، قدس العلي روحـه، لأن مقامـه الصفا ومحلّة محل الصدق والوفا. باسم ا وبا وسر السيد أبي عبد ا ، العارف معرفة ا ، سر تذكاره الصالح سره أسعده ا »[٥]. وأيضاً: « لا رأي إلاّ رأي شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصيبي الذي شرع الأديان في سائر البلدان »[٦].

كان للخصيبي وكلاء في كل مكان. وكان يكاتب الأمراء والملوك من بني بويه وبني حمدان والديلم... وضع كتباً عديدة في المذهب تعتبر مرجعاً في العقيـدة. أهمهـا « كتـاب المجموع » في ست عشرة سورة، ويسمى أيضاً بكتاب الدستور، و « كتاب راست باش » أي « كن مستقيماً »، أهداه إلى تلميذه عضد الدولة الديلمي، وكتاب « الهداية الكبرى »، أهداه إلى سيف الدولة الحمداني أمير حلب... وغيرها[٧].

ترك الخصيبي بغداد بعد أن أسس فيها مركزاً للديانة برئاسة الشيخ علي بن الجسري. وبعد انتقاله إلى حلب واستقراره فيها أسس مركز حلب وسلّمه إلى محمد بن علـي الجلّـي. توفّي الخصيبي سنة ٣٤٦ هـ في حلب، وله قبر في شماليها معروف باسم « مـزار الشـيخ يابراق »، تحج إليه الناس من كل حدب وصوب.

---

(٥) السورة الأولى واسمها الأول من كتاب المجموع.
(٦) الباكورة السليمانية، ص ١٦.
(٧) انظر، في هذا البحث، كتب النصيريين.

سادساً: الميمون الطبراني

عندما اندثر مركز حلب انتقلت الدعوة النصيرية الخصيبية إلى اللاذقية. ورأسها يومذاك رجل عرف بالفقر والتقوى والعلم الواسع، وهو السيد أبو سعيد الميمون سرور بن القاسم الطبراني، الذي أصبح أعظم مرجع للنصيريين الخصيبيين.

ولد الطبراني سنة ٣٥٨ هـ في طبرية، وانتسب إليها. حفظ القرآن منذ صغر سنّه. سافر إلى حلب سنة ٣٧٦ هـ. وفيها ألّف كتباً كثيرة في المذهب. ثم سافر إلى اللاذقية وسكن فيها. وأصبح، لعدة سنوات، رئيسا للنصيرية بعد انتقالها من حلب[١].

كان السيد الطبراني أكبر وأغزر مؤلّف عند النصيريين. ركّز العقيدة، وسن القوانين، ورتّب الأعياد، ودار شؤون الدين. وضع، أحسن ما وضع كتاب « مجموع الأعياد »، و « كتاب الحاوي »، و « كتاب الدلائل في معرفة المسائل »، و « رسالة التوحيد »... وغيرها[٢].

توفّي الطبراني سنة ٤٢٦ هـ في اللاذقية، وله فيها قبر معروف باسم « مزار أبي علي الشيخ محمد الطبراني ». يزوره السنّيون والنصيريون سواء.

---

(١) يقول كتاب الباكورة في خلافة الطبراني للخصيبي: « ثم قام بعد الحسين بن حمدان رجل آخر اسمه ميمون بن قاسم الطبراني »، ص ١٧ ـ ١٨.
(٢) انظر، في هذا البحث، كتب النصيريين.

لم يبق للعلويين النصيريين، بعد الطبراني، سلطة مركزية في أي مكان. لقد اضطهدوا في جميع مراكزهم، وتشتّتوا في البلاد، واستقلّ كل شيخ في قريته يدير شؤون دينه. فتشعبت الديانة بتشعب العشائر والقبائل، وبسبب الاضطهادات الكثيرة التي ضربتهم من كل ناحية.

*****

نشأت النصيرية سياسياً من مطالبتها بحقّ مغتصب، هو حقّ علي بـن أبـي طالـب بالإمامة والخلافة. ونشأت دينياً من ردة فعل عنيفة تجاه بضع عقائد ينكرها عليها أهل السنّة. وازداد الخلاف بين الفريقين وتوسع وتعمقت جذوره، حتى راح النصيريون يعملون من أجل الحفاظ على عقيدتهم سراً. وزاد العمل بالسر شدة الخلافـات. وشدة الخلافـات أدت بهم إلى « اختراع نظرية فريدة حيث النفاق يسمو فيها إلى مرتبة المبدأ »[٣]. فأصبحت المطالبة بحقّ الإمامة المغتصبة مطالبة بحقّ علي بالألوهة، وأصبحت المعتقدات الإسلامية في ظاهرها ديناً لعامة الناس؛ أما حقيقة الدين فهي للنصيريين.

إن العمل في السر وبالسر وبدافع الاضطهاد والقهر المرير كان أجدى الأعمال فـي نشر عقيدة دينية مناوئة لعقائد العامة من الناس. والعمل سراً تحت طي الكتمان و « التقيـة » وبدافع الخوف من الإبادة العامة استحثّ ابطالاً عِناداً في سبيل عقيـدة ودوا ايصـالها إلـى الخاصة المستنيرة.

----

(٣) H. Lammens, Etudes, 1899, p. 476.

الفصل الثاني

عقيدة النصيريين في ا

أولاً : الثالوث الإلهي عند النصيريين

ثانياً : مبادئ التجلّي الإلهي

ثالثاً : التجلّيات الإلهية

رابعاً : ألوهية علي بن أبي طالب

أولاً: الثالوث الإلهي عند النصيريين

يتكون الثالوث الإلهي النصيري من ثلاثة أشخاص، هـم: علـي ومحمـد وسـلمان الفارسي، أي: ع م س. وتجمع: عمس، الثلاثة يؤلّفون الذات الإلهية؛ علي هو المعنى، ومحمد هو الاسم، وسلمان هو الباب. والكل غير متّصل بعضه ببعض اتّصالاً حقيقياً، ولا منفصـلاً عنه. وحقيقة ذلك كما تصوره السورة الخامسة بقولها:

« أشهد بأن مولاي أمير النحل علي اخترع السيد محمد من نور ذاته، وسماه اسـمه ونفسه وعرشه وكرسيه وصفاته، متّصل به ولا منفصل عنه، ولا متّصل به بحقيقة الاتّصال، ولا منفصلاً عنه في مباعدة الانفصال. متّصل به بالنور، منفصل عنه بمشاهدة الظهور. فهو منه كحس النفس من النفس، أو كشعاع الشمس من القرص... وأشهد بأن السيد محمد خلـق السيد سلمان من نور نوره، وجعله بابه وحامل كتابه. فهو سلسل وسلسبيل، وهو بالحقيقة رب العالمين... »[١].

ويشبه سليمان الاذني الثالوث النصيري بالثالوث المسيحي: « فعلي عندهم هو الآب، ومحمد الابن، وسلمان الفارسي هو الروح القدس »[٢]. إن وظيفة كل شخص فـي الثـالوث واضحة: فعلي هو المعنى الإلهي، أو هو

----

(١) السورة الخامسة: سورة الفتح من كتاب المجموع، ص ١٩.
(٢) كتاب الباكورة، تفسير الاذني على سورة الفتح، ص ٢٠.

المعنوية، أي إن عليا بن أبي طالب هو ذات ا ، وهو ا في ذاته. منه يأخذ الوجود معنـاه، وهو يضفي على الكون الوجود من معناه.

أما محمد فهو « الاسم الإلهي، أي إنه هو الذي أظهر المعنى إلى الوجود، كما يظهر نور الشمس قرصها، وكما يظهر البرق علامته في السماء[٣]. وهو « الحجاب » و« المكان » و « المقام » حيث يظهر المعنى ويغيب في آن معاً: « ا هو الباري القديم الأزل الذي كون المكان فجعله اسمه وحجابه »[٤] ؛ قال الصادق: « الحجاب (هو) الاسم بلا معنى. أتعبـدون الاسم بلا معنى؟ »[٥].

أما سلمان الفارسي فهـو « البـاب » الإلهي، أي المدخـل إلى « المعنى » بواسطة « الاسم ». « سلمان فهو الباب الناطق، والشيخ اللاصق، الذي لا يصل إليه (إلى ا) إلاّ به، ولا يدخل إليه إلاّ منه، متّصل غير منفصل »[٦]. وفي السورة الخامسة: « أشـهد أن السـيد محمد خلق السيد سلمان من نور نوره وجعله بابه وحامل كتابه. فهو سلسل وسلسبيل، وهـو جابر وجبرائيل، وهو الهدى واليقين، وهو بالحقيقة رب العالمين »[٧].

الثلاثة إذن يؤلّفون الثالوث الإلهي عند النصيرية: علي (ع)، ومحمـد (م)، وسـلمان (س). وتقرأ: ع م س. أو عمس. وفي كتب النصيرية كلام كثير في « عمس » في وحدانيته. ففي كتاب « المناظرة » مثلاً

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(٣) انظر السورة الخامسة واسمها الفتح من كتاب المجموع.
(٤) المخطوط رقم ٥١٨٨ من المكتبة الوطنية بباريس، ص ١١٠.
(٥) كتاب الهفت والاظلّة، ص ١٥٢.
(٦) المخطوط رقم ١٤٥٠ من المكتبة الوطنية بباريس، ص ٥٥.
(٧) السورة الخامسة واسمها الفتح من كتاب المجموع.

« إن الـذي رأيناه بالصورة المرئية هـو الميم، والميم وعلي وسلمان شيء واحــد ونـور واحد »[٨]. وبتعبير آخر إن ا جعل « لكل صفة اسم يعرف به، ولكل اسم مكان يقصد فيه، ولكل مكان باب يدخل منه إليه »[٩]. والجميع يظهرون من بعضهم بعضاً: « إن المعنى ظهر بحجابه، وظهر حجابه ببابه. وهو تعالى لا يحول ولا يزول »[١٠]. وعن وحدة علي ومحمـد وانبثاق الواحد عن الآخر يقول كتاب « المناظرة »: « والاسم والمعنى ليس بينهما فرق، ولا فاصلة، كنور الشمس من القرص »[١١].

ليس من فرق أو فصل أو خلاف بين الأشخاص الإلهية: « إن ا اسم المعنى، وهـو الاسم الذي ظهر للعالم ليعرفوا به المعنى وينادى به ويوجدونه. المعنى لا ينفصل عن اسمه، واسمه لا ينفصل عن معناه »[١٢] مع أن التفريق بين المعنى والاسم حكمة إلهية بالغة، إذ « إن البارى لما علم من الخلق قبل إظهارهم من العدم إلى الوجود أن لا بد من اسم يـدعون بـه، وأبدى لهم الاسم ليحجبهم به عن عيان نور اللاهوت لئلا يحرقهم النور... »[١٣].

غير أن الإيمان بهم جميعاً بقدر واحد وبمستوى بعضهم بعضاً شيء واجب. فـالكفر والشرك والجهل والإلحاد أن تجعل بينهم فرقاً. ولن يكون المؤمن نصيرياً طيباً إن لم يعـرف العلاقة الحقّة التي تربط بينهم:

----

(٨) المناظرة، ص ١٣٩ ب.
(٩) مخطوط ١٤٥٠، ص ٩٧.
(١٠) رسالة التوحيد، ص ٤٧ أ.
(١١) المناظرة، ص ٨٤ ب.
(١٢) رسالة التوحيد، ص ٤٣ ب.
(١٣) المناظرة، ص ١٢٩ ب.

« من فرق بين الاسم والمعنى فقد كفر »[١٤]، و « من عبد الاسم بالحقيقة فقد عبد المعنى »[١٥]، و « من عبد الاسم من دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بحقيقة الاسم فقد وحد »[١٦]، و « من عرف المعنى من جهة الاسم فقد جهل أكثر مما علم، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن قال إنه لا يرى فقد مال إلى العدم، ومن قال إنه من خلقه فقد أخرجه إلى مكان، ومن قال إنه خارج عنهم فقد نفى وجوده، ومن عرفه بدليله وأشار إليه من حيث ظهرت علاماته وآمن بما شاهد من معجزاته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين »[١٧].

فالمعنى والاسم والباب ثلاثة أقانيم في إله واحد. الاّ إن فرقاً بين الثلاثة من حيث المصدر ومن حيث الفعل. المعنى هو النور الذي « اخترع محمد من نور ذاته، وسماه اسمه ونفسه وعرشه وكرسيه... إن شاء علي بالظهور أظهره وإن شاء بالمغيب غيبه... ومحمد خلق السيد سلمان من نور نوره وجعله بابه وحامل كتابه... والسيد سلمان خلق الخمسة الأيتام الكرام... »[١٨]. الثلاثة إذن يتمتّعون بالألوهة، ولكن كلّ على حسب ما يناط به من أدوار. والمؤمن يقوم بعبادتهم بحسب رتبهم، لِئلا يخشى عليه من الشرك أو من الجهل.

----

(١٤) رسالة التوحيد، ص ٤٦ أ.
(١٥) رسالة ابن هارون الصائغ، ص ١٧٧ ب.
(١٦) مسائل ابن هارون الصائغ، ص ٥٠ ب.
(١٧) كتاب الأصيفر، ص ٧ أ ب.
(١٨) السورة الخامسة واسمها الفتح من كتاب المجموع.

لا يستطيع نصيرى أن يحلف باسم عمس ويكون كاذباً. ولا يمين تصح بدون عمس. وكل حلفان معظّم يستشهد بعمس. جاء في الباكورة السليمانية: « أما اليمـين الثابتـة عنـد النصيرية كافّة فهي أن تضع يدك في يده وتقول: أحلّفك بأمانتك عقد علي أميـر المـؤمنين، وبعقد ع م س. فلا يمكنه بعد هذا اليمين أن يكذب. وأيضاً، بلّ اصبعك بريقك واجعلهـا فـي عنقه، وتقول: تبرئتُ من خطاياي وأوضعتُها في عنقك وأحلّفك أيضاً بأساس دينك بسر عقد ع م س أن تخبرني عن صحة أمر كذا. فلا يمكنه الكذب بعد هذا »[١٢].

كل حياة النصيريين، وتصرفاتهم، ويمينهم، وعلاقاتهم بعضهم ببعض، مشمولة بنعمة عمس، ومرتهنة بالإيمان بعمس.

عادة ما يصور النصيريون ثالوثهم الإلهي كما يلي:
دائرة في وسطها اسم علي، وعلى الأطرف اسم محمد وسلمان.
كيفما درتها تقرأ اسم علي ومحمد وسلمان أربع مرات وفي الاتجاهات الأربعة.



(١٢) الباكورة لسليمان الأذني، ص ٨٣.

ثانياً: مبادئ التجلّي الإلهي

ليس بمقدور الإنسان أن يعرف عن ا شيئاً إن لم يوفّر ا الطريقة الصـالحة لهـذه المعرفة. وكانت الطريقة إلى ذلك تجلّي ا في البشر، أو ظهوره فيما بينهم، علـى شـكلهم وصورتهم، حيث هم، ومن حيث هم. وقد نقل الشهرستاني عن النصيريين مبدأهم في التجلي بقوله: « قالوا: ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل. أما في جانب الخيـر فكظهور جبريل ببعض الأشخاص... وأما في جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة إنسـان حتى يعمل الشر بصورته، وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلّم بلسانه. فكذلك نقول: إن ا تعالى ظهر بصورة أشخاص.

« ولما لم يكن بعد رسول ا شخص أفضل من علي، وبعده أولاده المخصوصـون، وهم خير البرية، فظهر الحق بصورتهم، ونطق بلسانِهم، وأخـذ بأيـديهم... علـي... كـان مخصوصاً بتأييد إلهي من عند ا تعالى فيما يتعلّق بباطن الأسرار... وربما أثبتوا له شركة في الرسالة،.. فعلم التأويل، وقتال المنافقين، ومكالمة الجن، وقلع باب خيبر، لا بقوة جسدانية، من أول الدليل على أن فيه جزءاً إلهياً، وقوة ربانية. ويكون هو الذي ظهر الإله بصـورته، وخلق بيديه، وأمر بلسانه. وعن هذا قالوا: كان موجوداً قبل خلق السماوات والأرض... »[١].

----

(١) الشهرستاني، كتاب الملل والنحل ١ / ١٨٨ ـ ١٩٨.

من شأن ا أن يظهر للعـالم لكي يأنس العالم بوجوده إذا ما رآه من جنسه البشري: « ظهر لتكون لـه الحجة على خلقه، وليأنس إليـه المؤمن إذا رآه من جنسه بالبشرية »[٢]. و « كان ظهوره بالبشرية عدلاً منه وانصافاً، لئلا يكون على ا حجة بعد الرسول؛ فنطقه من البشر، وظهور المعجزات والقدر، دلّهم على ذاته... فكان ظهوره قدرة، ونطقه حكمة، ودلالته على ذاته رحمة، وغيبته عظمة، ليهلك من هلك على بينة ويحيي من يحيي عـن بينـة »[٣]. وفي قول أبي سعد تأكيد لرحمة ا في ظهوره للبشر: « ظهر لخلقه كخلقه مجانساً، وتقـرب إليهم برأفته ورحمته مأنساً، وشاكلهم في الأجناس والصور، وباينهم في الحقيقة والجوهر »[٤].

حجة هذا الظهور تأتي من أن الذي يعبد إلهاً بعيداً لم يظهر نفسه للعالم يخشى عليـه عبادة الغيب والعدم. قال يوسف الحلبي عن ربيعة أحد المضلّين: إن « هذا الرجل يعبد الغيب. والغيب يقع فيه الزيادة والنقصان »[5].

وعرف عن جعفر الصادق فرضيات واضحة تقرر أهمية الظهور الإلهي وضرورته. قال: « من لا يرى فقد عبد مجهولاً غائباً. ومن عبد من يرى فقد عبد محدوداً. ومن قال إنـه غير مشاهد فقد قال على غائب. ومن قال إن الأبصار تدركه فقد يرى مثله. ومن عبد المعنى والاسم جميعاً فقد أشرك به. ومن وصفه بما وقع من فكره فإنّما وصف نفسه. ومن قال إنـه محتجب عن خلقه فإنّما عنى غيره. ومن قال إنه ظاهر لهم يرونه فقد عناه. ومن عرفه مـن جهة

----

(٢) كتاب الأصيفر، ص ٥ أ.
(٣) نفس المرجع، ص ٢٩ أ ب.
(٤) نفس المرجع، ص ١٧ ب ـ ١٨ أ.
(٥) كتاب المناظرة، ص ٧٣ أ.

الاقرار بعلمه من ظهور المعجزات ونفى ما رأى وأثبت ما علـم فأولئـك أصـحاب أميـر المؤمنين »[٦].

وعظمة الحجة تكمن في الوقت الذي جعل ا فيه الناس يرون قدرته في إظهار آياته لهم وجعلهم يعرفون ربوبيته. فهذا من ا ألطف أعماله: « عظمة الحجة حين رأى قدرتـه. فمن ألطف صنعاً، وأبين أمراً، وأثبت قولاً، وأكمل بياناً من رب أظهر قدرته في عبده، حتى يبين أمره. وأظهر آياته وعرفت ربوبيته ومجدت مشيئته ونسبته... »[٧].

والحجة الكبرى للظهور الإلهي قول كتاب الاسوس: « لن يضر المخلوق الخـالق إذا نزل به قدرته، ولن يضر الخالق نزوله بالمخلوق. وذلك إن السـموات والملائكـة والأرواح مخلوقة، وهي ترى الخـالق. فـلو كانت رؤيتها تضره أو تنفعـه لكانـت معرفتهـا إيـاه تضره... »[٨].

وظهور ا واجب حتى يستطيع ا أن يتكلّم مع خلقه، وحتى يفهم كلامـه. « قـال العالم: لا بد من أن يجعل (ا له) هيئة مثل خلقه حتى يكلّمهم منهـا، فيفهمـوا عنـه أمـره ونهيه... ويخلق خلقاً يحتجب به ويتكلّم منه... (لذلك) خلق اثني عشرة صورة بيده، فخاطـب ا خلقه منهم... قال السائل: ثبت إن ا يكلّم خلقه وهو بهيئتهم وهم بهيئتـه فيفهمـوا عنـه ويعلموا أن صورتهم مخلوقة وهو خالق وإنه يفعل ما يشاء »[٩].

---

(٦) كتاب الاصيفر، ص ٧ ب ـ ٨ أ.
(٧) كتاب الاسوس، ص ٢٥ ب ـ ٢٦ أ.
(٨) كتاب الاسوس، ص ١٠ أ.
(٩) كتاب الاسوس، ص ٣٥ ب ـ ٣٦ أ. الاثنتي عشرة صورة هم الائمة الـ ١٢.

ومن مبادئ الظهور الإلهي إن ا وحده يعرف نفسه ويعرف عن نفسه بنفسه. وعرفه الإنسان عندما رآه في داره، قريباً منه، مخاطباً لـه. بهذا ابتدأ كتـاب الاسوس كلامه. قال: « وما توفيقي إلاّ با . والحمد الدالّ على نفسه بنفسه، ولا يدلّ عليه الاّ هو... ولا يـدرى أحد كيف هو إلاّ هو، الذي ظهر بحجته لبريته »[١٠]. وصدق هذا الكلام كتاب نصيري آخر. يقول: « وإنّما يعرف ا با »[١١]، وأيضاً: « لا يدلّ على ا إلاّ من كان منه أو من نـوره الخاصي »[١٢]، وأيضاً: « نعم لا يدل على ا إلاّ من كان منه »[١٣].

غير أن ا لا يشاهد بذاته بل بنوره. لذلك، فهو كالشمس، يغيب عن عـالم ويظهـر لعالم آخر. ولكن، لا ظهوره يكون بذاته، ولا غيبته تكون حقيقية. فالشمس « متـى ارتفعـت على سطح الأفق تكون ظاهرة لجملة أهل ذلك الإقليم، ومتى غربت تحت الافق تكون غائبـة عنهم وظاهرة لغيرهم؛ وكذلك الباري تعالى، عند ظهوره، يظهر لقوم، ويغيب عن قـوم؛ ولا غيبة (حقيقية مطلقة). وقد يعرض للشمس الكسوف، وهو أن يستتر نورها عن الأبصار بجرم القمر... فهي لا تُشاهد في الظلام إلاّ بمشاهدة النور؛ وكذلك الباري تعالى، وهـو الـذات، لا يظهر إلاّ بنوره. إذ لو ظهر بغير نوره لشوهدت الذات كمشاهدة النور، وليس كذلك؛ بل يظهر بنوره ليشاهد به... ويستدلّ به عليه... »[١٤].

----
(١٠) كتاب الاسوس، ص ١.
(١١) كتاب الأصيفر، ص ١٨ ب.
(١٢) كتاب الاصيفر، ص ١١ أ.
(١٣) كتاب الاصيفر، ص ٥ ب.
(١٤) كتاب المناظرة، ص ٩٨ ب ـ ٩٩ أ ب.

يعتمد النصيريون في بيان مبادئ الظهور الإلهي على ما جاء في القرآن. ويفسـرون آيات القرآن بحسب مبادئ التفسير الباطني عندهم. ويدعمون تفسيرهم بالضـرورة المنطقيـة لذلك. فهم لا يدركون ا إلاّ في خلقه متجلّياً منظوراً: « إن ا تعالى ظهر لخلقه بالنورانية، وأظهرهم بها، وأوجدهم نفسه، ودلّهم على ذاته، فناجاهم خطاباً واضحاً، ونطقاً بينـاً عيانـاً، وايجاداً ووجوداً، وعرفهم أنه الخالق لهم. فقال: وقوله الحقّ: « ألست بـربكم؟ »[١٥] قـالوا: بلى... أجابوه بالمعرفة والاقرار له قبل السؤال، وذلك إن ا تبارك وتعالى لم يكن يسأل من لم يعرفه ولا عاينه ولا أقر به. فيقول: ألست بربكم؟ وإنما كان ذلك عن معرفة متقدمة... عند ظهوره بالبشرية لما ظهر لهم الأفعال وأوجدهم أنه كهم وأنّه مولاهم »[١٦].

فا ، إذن، ظهر للبشر، كهم، حيث هم، ومن حيث هم. وعرف عن نفسه بِصـورهم، وأخذ هيئَتَهم، وآنسهم، رأفةً بهم. علماً بأن الصورة التي يظهر بها ا ليست هي ا ، ولكـن أيضاً، ليس ا غير هذه الصورة. يعني: إن الصورة البشرية لا تتضمن كلّية ا ، ولكـن ا يتضمن كل الصورة. قال الخصيبي، قدس ا روحه، عن الصورة (المرئية) إنها ليست كلّيـة الباري، ولا الباري غيرها »[١٧].

هذه هي مبادئ « الظهور والتجلّي »[١٨] وضرورته في النصيرية.

---

(١٥) سورة الأعراف ٧ / ١٧٢.
(١٦) كتاب الصراط، ص ٨٦ أ ب.
(١٧) كتاب المناظرة، ص ١٤٣ ب.
(١٨) كتاب الصراط، ص ١٣٩ ب.

ثالثاً: التجلّيات الإلهية

ظهر ا ، بحسب العقيدة النصيرية، مراراً، بأشكال مختلفة، وصور كثيرة، بأشخاص بشرية؛ « إن ا أظهر نفسه أشخاصاً... بصورة الشيخ الأبيض الرأس واللحيـة... وكهيئـة الشاب راكب على أسد مفتول السبال... وفي صورة الصبي الصغير... واختلفت عليهم (على الملائكة) الصور، ولم تختلف عليهم القدر »[١].

لقد ظهر ا في البشرية في « شيت ويوسف ويوشع وآصف وشمعون وأمير النحل. فهذه أسماء الصورة التي ظهر بها المعنى (علي) في العالم البشري، وسما (هكذا) بهـا هـذه الأشخاص في كل مقام »[٢].

أما كتاب تعليم الديانة النصيرية فيجيب على سؤال: « كم مرة احتجب مولانا وظهـر بالإنسانية؟ يقول: « احتجب سبعة مرات. ففي الأولى احتجب فـي آدم فـي كـوره ودوره، وتسمى هابيلا، وفي الثانية في نوح، وتسمى شيتا، وفي الثالثة في يعقوب، وتسمى يوسفا، وفي الرابعة بموسى، وتسمى يوشعا، وفي الخامسة بسليمان، وتسمى آصفا، وفي السادسة بعيسـى وتسمى شمعونا، وفي السابعة أخيراً بمحمد وتسمى علياً. وهو خالي من الأسماء الذي تسـمى بهم، وهم لا يخلون منه »[٣]، أي يتجرد ا عن الأسماء التي يظهر بها.

---

(١) كتاب الاسوس ص ٩ أ.
(٢) كتاب الصراط ص ١٣٩ أ.
(٣) السؤال الخامس. ص ٤.

وكان ظهور ا في صورة هابيل على الشكل التالي: « أول ظهورات المعنى هابيل؛ فلم يزل قائماً بالوصية والإمامة والفعل والنطق إلى أن شاء أن يظهر الغيبة، فـأورى القتـل على يد قابيل، وبقيت الصورة المقتولة ملقاة بين أيديه. وكان من قصته ما كان.

« ثم ظهر المعنى بشيت. لم يكن بينهما (بين شيت وهابيل) مدة طويلـة مثـل بـاقي المقـامات... فقـام شيت بالوصية والإمامة، وألّف صحف إدريس. وكان من أمـره مـا كان... »(٤). وهكذا إلى آخر التجلّيات والمقامات الإلهية.

والجدير بالذكر أن كل مقام يدلّ على سائر المقامات، لأن الذي يقيم في المقام هو ا الواحد. وهكذا كل مقام يهيئ المقام التالي له، والمقام اللاحق يشير إلى المقام السابق. فالكـل يتعلّق بالكل. قال كتـاب المناظرة في هذا المعنى: « من مقام واحـد يسـتدل علـى سـائر المقامات »(٥).

نستطيع، للدلالة على ذلك، ذكر المقام الإلهي في دور موسى، مثلاً. فـ« إن موسـى كان بيتاً من بيوت ا التي ينزل بها الرب ويرتحل. وقد كلّمه ا ، وأخذ التوراة منه، واهتـز له كل شيء، وأمره بالطهارة من البول وترك أكل لحم الجري والأرنب والخنزير وما أشـبه ذلك، وأمره بالغسل من الجنابة.

« فلما جاء المسيح الابن، وانما هو الآب في صورة الأبنية، فحلّ في المريمية، وغير سنّة موسى، ورحمهم، فقال: كلوا ما شئتم، واطعموا كل شيء يطيب به أنفسكم. ورفع عـنهم الغسل من الجنابة والوضوء.

----

(٤) كتاب المناظرة، ص ١١٠ أ.
(٥) كتاب المناظرة، ص ١١٠ أ.

« فلا ترى، أيها السائل، أنه (عيسى) قد أعتقهم من كثير مما فرض عليهم موسى، وهون عليهم كثيراً مما شدد عليهم من الأغلال والأصار. وقال (عيسى): إن ا مستغن عن أعمالكم، إن شئتم اعملوا، وإن شئتم فلا تعملوا. إذا فهمتم فهمتم حلاوة الحرية »[٦].

وهكذا أيضاً هو الأمر بالنسبة إلى سائر المقامات الإلهية، كلّ مقام يعتمد على الآخر، ويتعلّق بالآخر، يكمل الآخر أو يلغيه، إلى أن كان التجلّي السابع والأخير في علي بن أبي طالب. هذا الأخير عرفنا على ما سبق من مقامات. وهو أهم صورة بشرية ظهر فيها. وعمل في أهم دور جاءت فيه شريعة، وهي شريعة محمد والإسلام.

الاّ أن نورانية مقام علي ساطعة باهرة، لا يقدر إنسان النظر إليها دون حجاب. فكان محمد حجاب علي الذي فيه اختفى ومنه ظهر للعالم. ولا يصل إلى الحجاب إنسان دون مدخل إليه أو باب. فكان سلمان الفارسي باب علي الذي منه نعرف المعنى وبه ندخل إلى المعنى وبواسطته خرج العالم إلى الوجود، لذلك سمي سلمان رب العالمين، وموجد الأيتام على الوجود.

فعلي هو الألوهة، أو هو ذات ا ، أو أيضاً هو المعنى الذي ظهر في دور محمد بهذا الاسم. جاء في تعليم الديانة النصيرية: إن كان مولانا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب هو ا فكيف تجانس مع المتجانسين؟ الجواب: أعلم أن مولانا أمير المؤمنين لا يتجانس مع المتجانسين بل أنه احتجب بمحمد في كوره ودور وتسمى عليا »[٧].

---

(٦) كتاب الاسوس ص ٥٦ ب ـ ٥٧ أ.
(٧) كتاب تعليم الديانة النصيرية، السؤال الرابع ص ٣ ب.

لم يكن علي آخر التجلّيات الإلهية وحسب، بل هو ا الذي ظهر في جميع التجلّيات. فعلي، إذن، هو هابيل وهو شيت... جاء في كتاب التوجيه: « علي أحد فرد، علي هابيل، علي شيت، علي يوسف، علي يوشع، علي آصف، علي شمعون الصفا، علي أمير المؤمنين، لذكره الجلال والتعظيم »[٨].

إن المقامات السبعة التي تجلّى فيها ا هي المسماة بـ« السبعة الذاتية »، ومعنـاها « إن السبعة لا يشار إليها في وقت واحد، ولا تعبد في وقت واحد، فيكون الباري في وقـت واحد ظاهراً بسبعة أشخاص. وهذا هو الكفر بعينه »[٩].

ثم إن ا يظهر بـ« جزء أصم » و « الأصم » يعني كلي لا تقسم فيه، ولا يظهـر بشخصين ولا بثلاثة، وإنمـا يظهر المقام بعد المقام، والظهور بعـد الظهـور، إلـى آخـر ظهوراته »[١٠]. أما « الجزء » فيقال على ا « لمشاكلة ظهوره للعالم المركب من الأجـزاء الستة (أي الجهات الست). معنى ذلك إن ا ، بظهوره للعالم، شاكل العالم، إذ خضع للمكـان والزمان، أي للفوق والتحت وغيرها، أي للجهات الستة »[١١]. ولكن، « بالحقيقة لا يقال لـه ( ) جزء. ولو كان جزء لكان مقسوماً من شيء »[١٢] لهذا قيل له: « الجزء الأصـم »، أي المقام تلو المقام، وكل مقام يتّصف بالكلية.

واختصار ذلك: القول في «السبعة الذاتية الذي هي الجزء الأصم الذي لا ينقسم»[١٣]. هذا هو معنى التجلّي الإلهي عبر الدهور.

---

(٨) كتاب التوجيه ص ٢٤ ب.
(٩) المناظرة ص ١٠٦ ب ـ ١٠٧ أ.
(١٠) المناظرة ص ١٠٧ أ.
(١١) المناظرة، ص ١٠٧ أ.
(١٢) المرجع نفسه.
(١٣) المناظرة ص ١٠١ ـ ١٠٢.

رابعاً: ألوهية علي بن أبي طالب

لا تحتاج ألوهية علي بن أبي طالب إلى برهان، لأنّها، هي، برهان على كل شيء. فهي ركن العقيدة النصيرية، وحولها تدور سائر العقائد، وعليها تبنى الديانة. بهذه العقيدة - الأساس، تتحول النصيرية عن الإسلام، وتختلف عنه. وانطلاقاً منها تتحدد معالم الإيمان، وتفسر المظالم التي لحقت بالنصيريين عبر التاريخ. وابتغاء الخلاص من بعض هذه المظالم انكفأت النصيرية على نفسها، وقالت بـ« التقية » والكتمان.

لم يبدأ تأليه علي مع النصيريين، ولم يقتصر النصيريون وحدهم على تأليه علي. هناك، في التاريخ الإسلامي، من سبقهم إلى ذلك. وعلى من سبقهم اعتمدوا:

لقد ابتدأ تأليه علي مع « عبد ا بن سبأ اليهودي »، معاصر علي، الذي قال لعلي يوماً: « أنت الإله حقّاً ». فنفاه علي إلى المدائن. وتبع ابن سبأ من قال قوله. ويروى أن علياً، عندما سمع تأليهه من هذه الفرقة، أمر بحرق قوم منهم. ولما أحرقهم قالوا له: « الآن علمنا أنّك إله، لأن النار لا يعذّب بها إلا ا »(1). ولما قُتلَ علي زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن علياً، وانما كان شيطاناً تصور للناس في صورة علي، وان علياً صعد إلى

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(٢) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٣٥.

السماء، كما صعد إليها عيسى بن مريم، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه. ومن أقوال ابن سبأ في انكار موت علي قوله: « إن جئتمونا بدمائه في صرة لم نصدق بموته »[٢] ويزعم السبئية أن علياً في السحاب، وأن الرعد صوته والبرق سوطه. ومن سمع منهم صوت الرعد قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين »[٣].

وجاء بعد السبئية فرقة أخرى تسمى « الذمية » زعمت أن علياً هـو ا ، وشـتمت محمداً، وقالت إن علياً بعثه لينبئ عنه فادعى الأمر لنفسه »[٤]، وفرقة تسـمى « البيانيـة » زعمت أن روح الإله دارت في الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى علي »[٥]، و « الجناحيـة » التي قالت « إن روح الإله دارت في علي وأولاده »[٦]، وغيرها...

لئن زالت هذه الفرق من التاريخ، لضعف دليلها على عقيدتها، أكثر من قوة أعـدائها، فإن النصيرية قاومت الزوال رغم شدة أعدائها وقهرهم لها، وذلك لأن البرهان على ألوهيـة علي جاء متماسكاً، منطقياً، لاهوتياً، متسلسلاً من معطيات أساسية صحيحة.

وللدلالة على ألوهية علي، عند النصيرية، يكفي أن نتصفّح كتبها، لنرى في كل صفحة كلاماً أو صلاةً أو دعاء أو شكراناً يحمل في ثناياه الدعوة إلى رب الأرباب وسـيد الأكـوان علي أمير المؤمنين. فالنصيرية ترفع إليه الدعاء، وتستجدي منه الرحمة، وتستنجد بنصـرته، وتستفتح بذكره،

----

(٢) البغدادي، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٦.
(٣) المرجع ذاته. انظر أيضاً الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٧٤.
(٤) المرجع ذاته، ص ٢٥١، الملل والنحل ١ / ١٧٥.
(٥) المرجع ذاته، ص ٢٥٥.
(٦) المرجع ذاته، ص ٢٥٥. يعدد الشهرستاني من الفرق إحدى عشرة.

وتبتدئ به، وتنتهي فيه، وتقيم له الصلوات والفرائض اليومية[٧].

يبتدئ كتاب تعليم الديانة النصيرية بما يلي: السؤال الأول: من هو ربنا الذي خلقنـا؟ جواب: هو مولانا أمير المؤمنين، أمير النحل، علي بن أبي طالب. وهو ا ، الذي لا إلـه إلا هو، الرحمن الرحيم ». السؤال الثاني: « من أين نعلم أن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبـي طالب هو ا ؟ جواب: من شهادته ووصفه لنفسه في خطبة له مشهورة نطق بها على المنبـر إمام كافّة من حضر، وعلّمها أهل العقل والنظر. فقال: أنا عندي علم الساعة، وعلـي دلّـت الرسل، وبتوحيدي نطقت، وإلى معرفتي دعت. أنا سميتُ أسـماءها، وأسـطحتُ أرضـها، وأرسيتُ جبالها، وأجريتُ أنهارها، وأخرجتُ أثمارها. أنا غسقتُ الغسق. أنا أطلعتُ شمسها، وأنرتُ قمرها. أنا خلقتُ الخلق، وبسطتُ الرزق. أنا رب الأرباب، ومالك الأرقاب. أنا العلي العلاّم. أنا قرم من حديد، أنا المبدي المعيد. أنا أولجت عيسى في بطن مريم أمه ايلاجاً. أنـا أرسلت الرسل، ونبأت النبيين ».

عند النصيرية، إن محمداً نفسه أعلن ألوهية علي. يسأل كتاب التعليم: « من دعانا إلى معرفة مولانا أمير المؤمنين؟ جواب: رسوله محمد صلعم كما قوله في خطبة بيعـة الـدار: اسمعوا الآن ما أقول لكم، وإياكم تشكّون. اعلموا أنّي أدعوكم إلى علي بن أبي طالـب، كمـا أدعوكم إلى ا عز وجلّ. ألاّ إن عليا مولاي ومولاكم... وأدعوكم إلى علي على بصيرة أنـا ومن اتّبعني وسبحان ا ، وما أنا من المشركين. أدعوكم إلى علي بأمر منه، وإياكم الريب. إلاّ أن نبوتي تحت ولاية علي، لأن علي الذي نبأني إليكم، وهو الذي خلقني

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(٧) انظر كتاب المجموع في سوره الست عشرة، في آخر هذا البحث.

من نور ذاته، وهو ربي وربكم، وخالقي وخالقكم، فاتّقوه، وطيعـوه، ووحـدوه، وسـبحوه، وقدسوه، واعبدوه، لأن هو ا الذي لا إله إلاّ هو... »[٨].

وفي كتاب المجموع إشارات صريحة إلى أقوال محمد في علي. فهو يقول: « والسيد محمد ينادي ويقول: هذا مولاكم علي بن أبي طالب، فاعرفوه، وسبحوه وعظّموه، وكبـروه. وهذا خالقكم ورازقكم فلا تنكروه »[٩]. ويقول محمد أيضاً: « هذه اشارتي إليك يا نور النور، يا فالق الصخور، وزاجر البحور، ومدبر الأمور، بأن تسكّن المؤمنين في جنّتك العليا »[١٠].

إذا أراد النصيريون أن يصلّوا فتكون صلاتهم على الشكل التالي:

« استفتحت بأول إجابتي بحب قدس معنوية أمير النحل علي بن أبي طالـب... فيـه استفتحت، وفيه استنجحت، وبذكره أفوز، وفيه أنجو، وإليه ألجأ، وفيه تباركت، وفيه استعنت، وفيه بدأت، وفيه ختمت بصحة الدين وإثبات اليقين... يا هو، يا كل، يا قديم، يا أزل لم تزل، يا معلّل العلل، يا مفني حركات الدول، يا غاية الغايات، يا منهي النهايات، يا عـالم بأسـرار الخفيات، يا حاضر يا موجود، يا ظاهر يا مقصود، يا باطناً بغير غموض، يا من منك تشرق، وفيك تغرب، ومنك بدت وإليك تعود... الكل أنت، يا هو يا هو يا هو، يا من لا يعلم ما هو إلا هو... من عرف باطنه وظاهره، فاز ونجا... »[١١].

« لبيك لبيك يا أمير النحل يا علي بن أبي طالب، يا رغبة كل راغب،

----

(٨) السؤال الثالث من كتاب التعليم.
(٩) السورة ١١ واسمها الشهادة.
(١٠) السورة ٨ واسمها الإشارة.
(١١) السورة ١ المسماة بالأول.

يا قديم باللاهوت، يا معدن الملكوت. أنت ألهنا باطناً، وإمامنا ظاهراً. يا مـن ظهـرت فيمـا أبطنت، وأبطنت فيما ظهرت. وظهرت بالاستتار، واستترت بـالظهور، وظهـرت بالذاتيـة، وتعاليت بالعلوية، واحتجبت بالمحمدية. ودعوت من نفسك إلى نفسك بنفسك. أنت يـا أميـر النحل يا علي... انّك على ذلك قدير... »[١٢].

« يا علي يا كبير، يا علي يا كبير، يا علي يا كبير، يا أكبر من كل كبير، يا مخترع شمس الضحى، وخالق البدر المنير، يا علي لك العزة، يا علي لك الوحدة، يا علي لك الملك، يا علي لك الكبرياء، يا علي لك الإشارة، يا علي لك الطاعة، يا علي لك الشفاعة، يا علي لك الفطرة، يا علي لك القدرة، يا علي أنت سورة البقرة. أمانك يا علي أمانك من سخطك وعذابك من بعد رضوانك. آمنت بمعجزك ومعجزك، وجللت يا أمير النحل عن العجز أن يقـع بـك. آمنت وصدقت بباطنك وظاهرك. وظاهرك أمامي ووصية، وباطنك معنوي لاهوت. يا هو يا هو، يا معز من أعزك وذكرك وأفردك. يا هو يا هو، يا مذلّ من أذلّك وأنكرك وجحدك. يـا حاضر يا موجود، يا غيباً لا يدرك. يا أمير النحل علي يا عظيم »[١٣].

« إنني أشهد بأن ليس إلهاً إلاّ علي بن أبي طالب الأصلع المعبود، ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود، ولا باب إلا سيد سلمان الفارسي المقصود... أشهد بأن الصورة المرئية التي ظهرت في البشرية هي الغاية الكلية، وهي الظاهرة بالنورانية. وليس إله سواها وهي علي بن أبي طالب، وأنه لم يحط، ولم يحصر، ولم يدرك، ولم يبصر »[١٤].

----

(١٢) السورة الثانية تقديسة ابن الولي.
(١٣) السورة السادسة: السجود.
(١٤) السورة ١١ الشهادة.

« أشهدن علي أيها النجوم الزاهرة والكواكب النائرة والأفلاك الدائرة بأن هذه الصورة المرئية المعاينة الناظرة هي علي بن أبي طالب، القديم الأحد الفرد الصمد، الذي لا يتجزأ ولا يتبعض، ولا ينقسم ولا يدخل في عدد. فهو إلهي وإلهكم، وإلهكم وإلهي، إمامي وإمامكم، وإمامكم وإمامي، إمام الأئمة وسراج الظلمة... القابض على كل نفس، الذي له ولعظم جلال هيبته وكبرياء سني برق لاهوته تخضعت له الأرقاب، وذلّت له الأمور الصعاب، سر إله في السماء، وهو إمام في الأرض، سر إمام كل إمام. سر علي بن أبي طالب قديم الأزمان، سر حجاب السيد محمد وبابه السيد سلمان باب الهدى والإيمان... »[١٥].

هذه الصلوات والتوسلات ليست سوى نموذج عما يقوم به كل نصيري في حياته اليومية. وهي صلوات كثيرة على هذه الصورة وبهذا الشكل. وأنت ترى بأن ألوهية علي أمر محتوم، لا دليل عليها، ولا برهان، لأنها هي الدليل على الوجود، وليس العكس.

كل ما يتصف به ا من كمال القدرة والعلم والإرادة، ومن أزلية وأبدية واستمرارية، تناسب علياً، ويحوله النصيريون إليه. فهو معبودهم الذي « يعلم ما في السماوات العليا وما بينهن وما فوقهن وما تحت التراب. عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، ومنه الأنبياء والرسل وخلق البشر. وإليه يحشرون. وهو الرب القديم. فعلى من حاد عنه لعنة ا »[١٦].

----

(١٥) السورة ١٢ المسماة الإمامية.
(١٦) المناظرة ص ١٣٢ ب.

ومما قيل في علي ما تبتدئ به رسالة النصيرية: « إن علياً أمير النحل، لا إله إلاّ هو، أحدا لا يتثنّى في عدد، ولا يتجسد في جسد، فرداً صمداً، لا يظهر بصورة ولا بمثال إلاّ بذاته، أحداً ديمومياً لا نهاية لحكمه. فافهم وعي »[١٧]. وفي كتاب المناظرة إن علياً « هو أمير النحل جوهر قائم بذاته، لا ينقسم ولا يتثنّى في عدد »[١٨]، وفي الاسوس إن علياً « لا مثل لـه، ولا ضد، ولا نسبة، ولا جوهر »[١٩].

سمي علي بأسماء عديدة، عرف بها في ظهوره بصورة علي بن أبي طالب، منها أنّه « أمير النحل »، لأن « المؤمنين يتشبهون بالنحل لأنها تلقط من الأزهار أحسنها »[٢٠]. وفي حديث نبوي: « المؤمن كالنحلة، إذا أكلتْ أكلتْ طِيب، وإذا وضعتْ وضعتْ طِيب »[٢١]. وفي آية قرآنية تقول: « وأوحى ربك إلى النحل »[٢٢]، أي إلى المؤمنين.

ومنها أيضاً اسم « علي ». قال العالم: « اسمه ع ل ي الذي علا فوق كل اسم، وقهر كل اسم »[٢٣]. وإلى جانب صيغة « علي ا » يستعمل النصيريون صيغة « علي الأعلى »، وهي قديمة في كتبهم[٢٤]، وكان القرآن من جهته عارفاً مسبقاً بظهور شخص اسمه « علـي الأعلى » لأن الرب عرف منذ القديم بمجيء رجل يحمل اسم علي فيه تستقر الألوهة[٢٥].

---

(١٧) رسالة البيان، ص ٥٤ ب.
(١٨) كتاب المناظرة، ص ١١٨ ب.
(١٩) كتاب الاسوس، ص ٤٢ ب.
(٢٠) كتاب تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٥٠.
(٢١) انظر الحديث في كتاب « الهفت والاظلّة »، ص ٧٨.
(٢٢) سورة النحل ١٦ / ٦٨.
(٢٣) كتاب الاسوس، ص ٤٢ ب.
(٢٤) R. Dussaud, Hist. et Religion des Nosairs, 51.
(٢٥) S. De Sacy, Exposé de la Rel. Druze, t. I, 31-32.

ومنها « الأنزع البطين »[٢٦]، والأنزع هـو « الاجلـح »[٢٧]، و « الأصـلع »[٢٨]، والبطين، لغة، يعني الملآن والبعيد والمستتر، وعلي « مولانا أنزع بطين في أزليته، باطن في علمه. وما ظهر إلاّ بأنزع بطين في كل قبة وفي كل عصـر وزمـان... ظهـر بالأنزعيـة النورانية، فنظرته أهل المراتب على قدر مراتبهم، وأهل المنازل على قدر منازلهم. وظهـر لهم اسمه، وناداهم ليعرفوه ولا ينكروه، فعرفه المؤمنون، ونكره الجاحـدون، وهـو، جلّـت قدرته، أنزع بطين، لا يظهر إلاّ بالذات. ممتنع عن النعوت والصفات. وكل نعت وصفة مـن البشرية تقصر عن صفة الاسم، لأن الاسم أعلى وأجلّ من أن يصفه بشر »[٢٩]. معنى ذلك ان علياً هو باطن بعيد مستتر لا يظهر إلاّ بالنورانية، وهو مجرد عما سواه.

أما المعنوية فهي جوهر ا وذاته، وهي الاسم الذي يطلق على الألوهة فـي جميـع ظهوراتها وفي علاقتها مع الاسمية والبابية. لذلك، لا تُدرك المعنوية بذاتها، بـل بواسـطة، ولذلك كان محمد واسطة ضرورية لإظهارها. ولذلك أخيراً قيل: « علي هو محمـد، ولـيس محمد هو علي، لأن القدرة ذاتية على المعنى كالحرارة الذاتية في النار. فإن طلبت الحـرارة من النار فليست بنار »[٣٠]، يعني ذلك: إن النار تتضمن الحرارة، ولكن الحرارة لا تتضـمن النار كلّها. ففي النار نور وإضاءة وحرارة وحركة ودخان... والحرارة لا تحتويها كلها. كذلك علي يتضمن محمداً وكل ما في « القبة المحمدية »، ولكن محمداً لا يحتوي الحقيقة العلويـة كلها...

---

(٢٦) السورة العاشرة واسمها العقد، انظر السور: ٤ و١٢...
(٢٧) السورة الأولى المسماة الأول.
(٢٨) السورة الرابعة المسماة النسبة، انظر السور ١١ و١٣...
(٢٩) رسالة التوحيد، ص ٤٣ أ و ب.
(٣٠) مسائل ابن هارون الصائغ، ص ٥٣.

إن العلاقة بين علي ومحمد هي علاقة لاهوتية صعبة المنال. هي كالعلاقة الحاصلة بين أقانيم الثالوث المسيحي. وقد تناولتها كتب النصيرية بشيء من الغموض وعالجتها بدقّة متناهية.

جاء فيها « إن ا هو محمد باطن، ومحمد ظاهر ا . فإذا ظهرت القدرة فهي من ا ، وإذا ظهر العجز فهو من الحجاب البشري الذي يعرف بمحمد. فلذلك جاز للناس تسمي بمحمد وعلي، ولا يجوز لأحد يتسمى ا ... »[31]. يعني إن محمداً وعلياً هما الاسمان البشريان للألوهة. « وهذا دليلنا على أن المعنى تعالى لم يظهر ذاته لغير محمد إلاّ محتجباً، ولا خاطبه بسواه »[32]، أي إن علياً ظهر بمحمد محتجباً، وإن محمداً وحده استحقّ أن يكون حجاب ا .

ثم إن محمداً هو « المكان » الذي استقرت فيه الألوهة العلوية. فيه تجلّى علي وبه دعي وإليه المقصد: « ان محمد منه السلام مكانه (أي مكان علي) إذا تجلاّ، وبيته الذي إليه يسعا، واسمه الذي به يدعا، وحكمته الذي إليها يلجا، ولسانه الناطق، وداعيه المرشد، وشاهده العادل، والطود الأعلا، والوادي الأيمن، والشجرة المباركة، والعرش الرفيع، والكرسي الشامخ، والرقّ المنشور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والظلّ الممدود، والماء المسكوب، والمقام المحمود، والكلمة الباقية، والحجة الواجبة، والدليل المتّصل بمدلوله، والفعل المنفعل من ذاتية الفاعل، أظهره بعد ان كان غيباً في علمه الذي ليس هو غيره. فهو شمسه الطالعة من قرصه الغائبة في أسها »[33].

----

(٣١) مسائل ابن هارون الصائغ، ص ٥٣.
(٣٢) كتاب المناظرة، ص ٩٥ أ ـ ٩٦ أ.
(٣٣) رسالة البيان، ص ٥٥ أ.

في كتب النصيرية إن محمداً هو الدليل على علي بالاستناد إلى مبدأ « لا يعـرف ا إلاّ ا »[٣٤]. قال ابن سنان: « أليس تعلمـون أن محمد دلّ على علي، إذ كان منه، أو مـن نوره »[٣٥]، وبالاستناد أيضاً إلى « قول السيد محمد: أنا من علي وعلي منّي، وقوله: أنا علي وعلي أنا. وقوله: أنا وعلي كهاتين، لا أقول يميناً وشمالاً، وأقرن بين أصبعيه، ليتّضـح لنـا قوله: يا من أبدأ منه ما إليه يعود، وقوله: أنت جعلت لكل صفة اسم تعرف به، ولكـل اسـم مكان يقصد فيه، ولكل مكان باب يدخل منه إليه »[٣٦].

هذه الدلالة عبر عنها محمد في مناسبات عديدة، في غدير خم وفي يـوم نـداء أبـي الخطّاب. قال: « يا مجيب ذاته بذاته، فمعناه إنّه لم يجب ذاته الاّ بما هو من ذاته، وما هو من ذاته فليس غيره، وهو نور الذات وهو السيد محمد... فلذلك قال السيد أبو شعيب: يا مجيـب ذاته بذاته.

« وأما ظهوره لنا فليس كظهور السيد محمد، بل يظهر لنا بذاته، وهي الـذات التـي أجاب بها ذاته عند النداء، وهي الصورة المرئية وحقيقة باطن السيد محمد، إذ لا يرى الـذات إلاّ ما هو من الذات.

« وأما قوله: ومخاطب المعنى بصفاته، فمعناه أنه لما دعا الخلق إلى معرفته، ألهمهم بمعرفة السيد محمد وهداهم إلى معرفته تعالى، وكان هو الواسطة بينه وبينهم »[٣٧].

----

(٣٤) انظر صفحة ٤٧ من هذا الفصل، المراجع ١٠ و١١...
(٣٥) كتاب الأصيفر ص ٥ ب ـ ٦ أ.
(٣٦) المناظرة ص ٩٧ ب.
(٣٧) المناظرة ٩٥ أ ـ ٩٦ أ.

إن منزلة محمد من علي لا يصلها أي إنسان مخلوق. والعلاقة بينهما هي علاقة الكلمة بمدلولها، أو بحسب التعبير النصيري، علاقة الاسم بالمعنى. إن « منزلة الاسم من المعنى لا يبلغها أحد... فقول الاسم: أنا من علي وعلي منّي (يعني): أنا من علي اسمه وروحه ونفسه وكلمته، وعلي مني معناي ومظهري للخلق. واعلم أن المعنى أحد، والاسم واحد، والباب وحدانية. وإن تغيرت الصفات والأسماء (فهي) معنى واسم وباب واحد »[٣٨].

وكذلك هي أيضاً علاقة سلمان بعلي ومحمد. فسلمان هو الباب إليهما والمدخل والواسطة والدليل عليهما. فكما كان محمد منفعلاً عن علي فسلمان هو أيضاً منفعل عن محمد. هكذا « إنّه تعالى... ذات أحد فرد صمد، انفعل عنه ذات واحدة، وهي ذات السيد محمد؛ والسيد محمد ذات منفعلة عن ذات ليست بمنفعلة. ثم إن ذات السيد محمد انفعل عنها ذات السيد سلمان؛ والسيد سلمان ذات منفعلة عن ذات منفعلة لذات غير منفعلة. ثم إن ذات السيد سلمان انفعل عنها ذات السيد المقداد. فالمقداد ذات منفعلة لذات منفعلة عن ذات منفعلة لذات ليست بمنفعلة. وكل واحد من هذه الثلاث ذوات منفردة، وإنما وقعت الشركة بينهما... »[٣٩].

---

(٣٨) رسالة التوحيد، ص ٤٦ أ.

(٣٩) كتاب المناظرة، ص ٩٦ أ ب. « المقداد » هو أحد « الأيتام الخمسة »، وأول ما خلقه سلمان الفارسي. سيأتي الكلام عليه.

بقي علينا النظر في أمر من ينتسب إلى علي من نساء وأبناء وأخوة وأخوات وآبـاء وأمهات. فإذا كان علي « منزه عن الأخـوة والأخـوات والآباء والأمهـ ـات، أحـداً أبـداً موجوداً »[٤٠]، فكيف نفسر انتساب أمرأته فاطمة وابنيه الحسن والحسين... من هم هـؤلاء؟ وما صلتهم بعلي ونسبتهم إليه؟

ان جواب النصيريين على ذلك واضح. يقول العالم للسائل: « أما سؤالك عن فاطر[٤١] فأشهد أن فاطر فطرة ا التي فطر الناس عليها، وندبهم إليها. تلك صفته المشجعة، وعظمته المتشخّصة، لكل ناظر بحسب عقله، ولكل عارف بمقدار معرفته، قديمـة الكيـان، محدثـة الطلوع.

« وأما سؤالك عن الحسن والحسين، فذلك صفتان انبجست مـن الصـفة الفـاطرة، وطلعت من القدرة الباهرة، لتمام الحكمة وكمال الحجة وإعلان الدعوة بدءاً منها وغرباً فيها، إذ هي حقيقة جوهرها، وقديم عنصرها.

« أقررت أن هذه الصفات[٤٢]، وإن اختلفت أسماؤها، وتباينـت أزمانهـا، وافترقـت أشخاصها، واحداً لم ينقسم... وإنّما ظهرت من القدرة الأحدية بغير افتراق عند إشـراقها، ولا حلول (انحلال) عند غروبها »[٤٣].

- - - - - - - - - - - - - - - -
(٤٠) السورة الرابعة عشرة المسماة: البيت المعمور.
(٤١) فاطر هي فاطمة، وهي ذكر لأن « أمهات الأوصياء ذكور لا إناث... لأن الملائكة هـم فـي صـورة النساء » (كتاب الهفت ص ٩٤)، وذلك أيضاً من قول ا تعالى: « وجعلوا الملائكة الـذين هـم عبـاد الرحمن أناثاً أشهدوا خلقهم! ستكتب شهادتهم ويسألون » (الزخرف ١٩). ويقول الشهرستاني عن سـبب تسمية فاطمة بفاطم عند الفرقة العلبائية:

هؤلاء الخمسة كان من اعتبرهم جملة آلهة. وهم المسمون في النصيرية وبعض الفرق المغالية بـ« أصحاب الكساء »، أي هم الذين كانوا في بيت علي عندما لبس محمد، مخافـة زعماء قريش، كساء علي. وهم، بحسب قول الشهرستاني: « محمد وعلي وفاطمة والحسـن والحسين ». ويقول أيضاً عن الفرقة العلبائية: « ومنهم من قـال بإلهيـة لجملـة أشـخاص الكساء... خمستهم شيء واحـد، والروح حالّة فيهـم بالسوية. لا فضل لأحـد مـنهم علـى الآخر »[٤٤].

*****

جاء عند النصيريين بوضوح تام أن « علي هو ا وا هو علي »[٤٥]، إلا أن « اسم علي وقع على الناسوت واسم ا وقع على اللاهوت »[٤٦]. وفي رأي الخصيبي، زعيم الدين ونبيه، « ما أحد منهم يستوجب أن يسمى موحداً لأنهم اعتقدوا أن علي بن أبي طالب بشـري كأحد البشر، وأنه من بعض قدر البارى والغيب لا سبيل لهم إليه، ولا يقولون به، فلعـن ا المعتقد اعتقادهم »[٤٧].

« وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالتأنيث بل قالوا فاطم، بلا هاء. وفي ذلك يقول بعض شعرائهم:

توليّت بعد ا في الدين خمسة نبياً وسبطيه وشيخاً وفاطما ».

(الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ١٧٥ ـ ١٧٦). هذا عند العلبائية فاطمة تصبح فاطم، وعند النصـيرية تصبح فاطر.

(٤٢) الصفات هي: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء.

(٤٣) رسالة البيان، ص 55 أ و ب.

(٤٤) الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ١٧٦.

وعن أبي شعيب محمد بن نصير مؤسس المذهب: « إن الذي تقول الناس هـو هـو: (هو) علي، وهو ا ، الذي يظهر كيف يشاء، ولم يغب عن أسمائه، فمن زعم أنّما رأى بعضاً فقد بعض ا . ومن قال هو هو بحقيقته وذاته، على أنه بدن فقد كيفه وحده ووصفه. ومن قال هو ا ظهر كيف شاء من خلقه لا موصوف ولا محدود ولا زائل ولا يقضي عليه بحـراك، ولا حد ولا مثال، استدلت به على معرفته وصدقه. ومن استدلّ بمعرفته وصورته عليه فقـد صارت بمعرفة ا على سبيل النجاة »[٤٨].

----

(٤٥) كتاب الأصيفر، ص ٦ أ.

(٤٦) المرجع نفسه.

(٤٧) كتاب المناظرة، ص ٨٣ ب ـ ٨٤ أ.

(٤٨) كتاب الأصيفر، ص ٣ ب من « كتاب المثال والصورة » لابن نصير.

الفصل الثالث

عقيدة النصيريين في الخلق والمعاد

أولاً : قصة الخلق

ثانياً : التناسخ

ثالثاً : أحوال المعاد

أولاً: قصة الخلق

يعتقد النصيريون بأنهم « كانوا في البدء قبل كون العالم أنـواراً مضـيئة وكواكـب نورانية، وكانوا يفصلون بين الطاعة والمعصية، لا يأكلون ولا يشربون ولا يغيطون، وكانوا يشاهدون علي بن أبي طالب بالنظرة الصفراء، فداوموا على هذا الحال سبعة آلاف وسـبعة وسبعين سنة وسبع ساعات، ففكّروا بذواتهم أنه لم يخلق خلقاً أكرم منّا. فهذه خطية ارتكبهـا النصيرية، فخلق لهم حجاباً يمسكهم سبعة آلاف سنة.

« ثم إن علي بن أبي طالب ظهر لهم وقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، بعدما أظهر لهم القدرة، فظنّوا أنهم يرونه بكليته، لظنّهم أنّه مثلهم، فأخطأوا بذلك خطية ثانية. فأراهم الحجاب، فطافوا به سبعة آلاف وسبع وسبعين سنة وسبع ساعات.

« ثم إنّه ظهر لهم بصورة شيخ كبير، أبيض الرأس واللحية، تلك الصورة التي امتحن بها أهل النور العالم العلوي النوراني، فظنّوا أنّه على تلك الهيئة التي ظهر لهم بها. وقال لهم: من أنا؟ فأجابوا: لا ندري.

« ثم ظهر لهم بصورة الشاب المفتول السبال، راكباً على أسد بصورة الغضب.

« ثم ظهر لهم بصورة الطفل الصغير، ودعاهم أيضاً، وقال: ألست بربكم؟ وقد كـرر القول عليهم في كل ظهور، ومعه اسمه، وبابه، وأهل مراتب قدسه الذين هم المراتب السـبع الأول للعالم الكبير النوراني[١]. ولما دعاهم ظنّوا بأنه مثلهم، واحتاروا، ولـم يـدروا مـاذا يجيبون.

« فخلق لهم من تأخّرهم الشك والحيرة. ودعاهم قائلاً: قد خلقت لكـم داراً سـفلانية، وأريد أن أهبطكم إليها. وأخلق لكم هياكل بشرية، وأظهر لكم في حجاب كجنسكم. فمن عرفني منكم، وعرف بابي وحجابي، فإني أرده إلى هنا، ومن عصاني أخلق مـن معصـيته ضـداً يقاومه، ومن أنكرني أغلق عليه في قمصان المسوخية. فأجابوا قائلين:

« يا رب دعنا هنا نسبح بحمدك ونعبدك، ولا تهبطنا إلى الـدار السـفلانية. فقـال: عصيتموني. فلو كنتم قلتم: ربنا لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا إنّك أنت العلاّم الغيوب[٢]، فكنت أعفو عنكم.

« ثم خلق من معصيتَهم الأبالسة والشياطين، ومن ذنوب الأبالسة خلق النساء. (لـذلك هم لا يعلّمون نساءهم صلاتهم، ولا يدخلونهم في سر الديانة)[٣].

وهكذا، قبل أن يخلق الله آدم، كانت أمم كثيرة، « الأمم الذين كانوا فـي الـدار قبـل البشر، وهم: الجِن والبن والطم والرم والجان والجن »، وكان اسم الله فيها «البر الرحيم»[٤].

---

(١) سيأتي الكلام عليها في فصل لاحق.
(٢) سورة المائدة ٥ / ١٠٩.
(٣) الباكورة، ص ٥٩ ـ ٦٣.
(٤) تعليم الديانة سؤال ٤٣ و٥٢.

ويعترف جعفر الصادق بوجود أمم قبل آدم، وهي سبعة، على ما يقول الاذني الـذي يسميها « القبب السبع »، وهي نفسها كما في كتاب التعليم للديانة النصـيرية، السـؤالين ٤٣ و٥٢، يضاف إليها قبة اليونان[٥]. يقول الإمام جعفر: « كان في الأرض سبعة آدميين قبل أن يخلق ا آدم، وإن جبريل من القرن الأول وميكائيل من القرن الثاني، وإن الدور خمسون ألف عاماً... ثم خلق (ا) الآدميين، وكنّا (الأئمة) أول مبعوثين إلى ذلك الخلق حججاً »[٦]. ويقول أيضاً في مكان آخر: « كان قبلنا سبعة أوادم وسبعة أدوار قد مضت ونحن في الدور الثـامن من آدم الثامن. ولكل ذرية آدم بعث منهم... »[٧].

بيد أن سليمان الاذني يعدد القبب السبع مع اسم المعنى، واسم الاسم، واسـم البـاب، واسم الضد، لكل قبة من القباب. ثم يخلص إلى القول: « وفي كل هذه القباب المذكورة كـان الضد أي الشيطان فيهـا بثلاثة أقانيم وهم واحد. يعنـون بتلك الأقانيم: أبـو بكـر وعمـر وعثمان »[٨].

ثم بعد ذلك خلق ا « آدم بيده، وصوره على صورة جوهره، ثم إن ا مكث بـذلك سبع آلاف سنة يمجد نفسه، ويسبحها، ويهلّلها، ويكبرها، لا لحاجة له، ولكن لـيعلّم الملائكـة أرواح الآدميين، حتى تعلّمت كيف تقول، وكيف تسبح، ولولا ذلك ما عرفه أن تسبح ا ، ولا

----

(٥) الباكورة، ٦١.
(٦) كتاب الهفت والاظلّة، ص ١٣٨.
(٧) المرجع نفسه، ص ١٣١.
(٨) الباكورة، ص ٦٢.

تهلّله، ولا تمجده، ولا تكبره، لأن ا عالم لا يتعلّم وهم يتعلّمون »[٩].

عرفنا إن ا ظهر في عصر آدم سبع مرات، وهذه تسمى « سبع قباب ذاتية »، أي أن ا أظهر ذاته في هذه القباب، فكان « علي هابيل، وعلي شيت، وعلي يوسف، وعلي يوشع، وعلي آصاف، وعلي شمعون الصفا »[١٠]، وكان في كل مرة، كما في قباب ما قبل البشر، معنى، واسم، وباب، وضد. وكان الباب يتكفّل بالخلق الخارجي بواسطة أيتام خمسة، هي مبدأ كل وجود. والأيتام هي هي، تظهر هي الأخرى وتتجسد، كما يتجسد المعنى، والاسم، والباب، والضد.

وكان تجسدها، في أيام الباب سلمان الفارسي، في الأشخاص التالية، كما وردت قصتهم في سورة الفتح الخامسة:

أشهد أن السيد سلمان خلق الخمسة الأيتام[١١] الكرام. فأولهم اليتيم الأكبر والكوكب الأزهر والمسك الأذفر والياقوت الأحمر والزمرد الأخضر المقداد ابن أسود الكندي، وأبو الذر الغفاري، وعبد ا بن رواحة الأنصاري، وعثمان بن مظعون النجاشي، وقنبر بن كادان الدوسي[١٢]. هم عبيد مولانا أمير المؤمنين لذكره الجلال والتعظيم. وهم خلقوا هذا العالم من مشارق الشمس إلى مغاربها وقبلتها وشمالها وبرها وبحرها وسهلها وجبالها... »[١٣].

(٩) كتاب الاسوس، ص ٢٧ ب ـ ٢٨ أ.
(١٠) قداس الاشارة، الباكورة، ص ٤٧.
(١١) الأيتام هم بحسب معنى اسمهم: الذين لا مثيل لهم، أي هم مبادئ الكون والوجود المنظور واللامنظور. هم، عند الدروز، « الحدود ».
(١٢) هؤلاء هم من الصحابة المختارين الذين جاهدوا من أجل حق علي.
(١٣) سورة الفتح الخامسة من كتاب المجموع، انظر الباكورة، ص ١٩.

ثانياً: التناسخ

« حكى بعضهم أن رجلاً نصيرياً كان له كرم، وكان يعمل في ذلك الكرم زماناً مع أبيه إلى أن مات أبوه، وكان ذلك في أيام العنب. فتسلّط على الكرم ذئب، كلّما أتى الرجل يجده يأكل من عنبه، فيطرده، وما زال الأمر كذلك حتى ضجر منه، فعزم على قتله، ولما أراد أن يرميه في السلاح قال له: يا فلان، أتقتل أباك إذا تناول شيء من الكرم الذي أفنى عمره بالعمل فيه؟ فبهت الرجل لما رأى الذئب ناطقاً. قال: من أبي؟ قال: أنا. وقد انتقلت نفسي إلى هذه الصورة، وهذا كرمي الذي كنت تحرث معي فيه. قال، فذكر الرجل أن أباه كان خبأ منجلاً في الكرم عند انصرافه في المرة الأخيرة، فأضاعها بعد موت أبيه، ولم يعلم أين وضعها. قال للذئب: ان كنت صادقاً فقلْ لي أين المنجل الذي كنّا نقطع به أغصان الكرم؟ فقال: اتبعني، ومشى إلى المكان الذي وضعها فيه، وقال: هذه هي. فأخذها الرجل وأباح الكرم للذئب يرتع فيه كما يشاء »[١].

هذه الرواية، أكانت نصيرية أم من أعداء النصيرية[٢]، تشير إلى عقيدة التناسخ التي يقول بها النصيريون. والتناسخ يعني انتقال النفوس

---

(١) مخطوط المكتبة الملكية في برلين، رقم ٤٢٩١، ص ٥٦.
(٢) يقول « رينه دوسو » بأنّها من مصدر درزي يتّهم بها النصيريين في إيمانهم بالتناسخ، فيما الدروز، يعتقدون بالتقمص، أي بانتقال =

من جسم إلى جسم. قد يكون الجسم الثاني جسم إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد. ويبقى الإنسان ينتقل من جسم إلى جسم سبع مرات، وكلّ مرة بمرتبة، وهي « السبع مراتب العالم السفلي البشرى »[٣].

وردت المرات السبع في إحدى الصلوات المصيرية كما يلي: « يا علي، جلّ ثناؤك، بأن تأمني من شر مسوخياتك لنا ولجميع أخواننا المؤمنين من شر الفسخ، والنسخ، والمسخ، والوسخ، والرسخ، والقشّ، والقشّاش. إنّك على ذلك قدير »[٤].

الفسخ هو انتقال الروح إلى نبات، والنسخ من إنسان إلى إنسان، والمسخ إلى حيوان، والوسخ إلى أدران وأوساخ، والرسخ إلى نبات قصير، والقشّ إلى نبات يابس، والقشّاش إلى أرض بور[٥]، والقشّاش أيضاً قد يعني « البقّ والذباب والنمل وما يشبه ذلك »[٦].

يعتقد النصيريون بأن شرفاء المسلمين الراسخين في العلم، إذا ماتوا، تحلّ أرواحهم في هياكل الحمير، وعلماء النصارى في أجسام الخنازير، وعلماء اليهود في هياكل القرود. أما الأشرار من طائفتهم فتحلّ أرواحهم في المواشي التي تؤكل، والخاصة المشكّون منهم يصيرون قروداً، والمتحيرون بين الخير والشر يتقمصون في هياكل بشرية عند الطوائف الخارجة عنهم.

= روح الإنسان إلى جسد إنسان آخر. وذلك لكي يعي الإنسان في جميع قمصانه كل العذابات التي استحقها من أجل حياته السابقة.

(٣) مخطوط المكتبة الوطنية بباريس ١٤٥٠ ص ٥٧.

(٤) الباكورة السليمانية، ص ١٠ ـ ١١.

(٥) انظر ترجمتها إلى الانكليزية في Salisbury, JAOS, VIII, 287

(٦) كتاب الهفت والأظلة ص ١٧١.

إن الروح الشقية تدخل في خنزير أو كلب أو ذئب. والـروح الطاهرة التـي تطعـم الخبز وتضيف الغرباء تدخل في أجسام بشرية، ولا تزال على هذه الحال إلى أن ترتقي على « درب التبان ». « إن المؤمنين إذا خلصوا من القمصان البشرية ينتقلون إلـى درب التبـان ويصيرون كواكب، ويرون السماء صفراء »[٧]. يعلّق سليمان الأذني: « لهذا السبب كـان لا بد لكل نصيري أن يفتح كوة فوق باب بيته لكي، إذا ما توقّع ولادة إنسان وموت آخر في وقت واحد، لا تتزاحم الأرواح في الدخول والخروج »[٨].

وعرف الدروز عند النصيريين هذه الأشكال من التناسخ ووجهوا إليهم نقداً لاذعاً. قال حمزة بن علي نبي الدروز عارضاً مفهوم التناسخ: « إن أرواح النواصب والأضداد[٩] ترجع في الكلاب والقردة والخنازير إلى أن ترجع في الحديد وتحمى وتضرب بالمطرقة، وبعضـهم في الطير والبوم، وبعضهم ترجع إلى الامرأة التي تثكل ولدها ».

ثم يبين حمزة سخف هذه النظرية بكلام لاذع فقال: « لقد كذب (النصـيري) وأتـى بالبهتان العظيم. لا يدخل في المعقول ولا يجب في عدل مولانا بأن يعصيه رجل عاقل لبيـب فيعاقبه في صورة كلب أو خنزير، وهم لا يعقلون ما كانوا عليه في الصـورة البشـرية، ولا يعرفون ما جنوه... فأين تكون الحكمة في ذلك العدل فيهم! وإنما تكون الحكمة فـي عـذاب رجل يفهم ويعرف العذاب فيكون مأدبة له وسبباً لتوبته »[١٠].

---

(٧) تفسير سليمان الأذني على السورة الأولى، الباكورة، ص ٩. « السماء الصفراء » هو لون نهر العسـل الموجود في الجنّة (الباكورة ص ٨٥).
(٨) الباكورة السليمانية، ص ٨٦.
(٩) النواصب هم المسلمون السنّيون، والأضداد كل من عائد الدعوة.
(١٠) « الرسـالة الدامغة في الـرد على النصيري الفاسق لعنه المـولى في كل كور ودور ». رقم ١٥ من « رسائل الحكمة » ص ١٧٠ ـ ١٧١...

إن التناسخ مراحل متكاملة بنوع أن ما يحدث للإنسان في المسوخية يكون حدث لـه مثل ذلك في البشرية. بهذا يمكن معرفة الإنسان ذاته في حالتيه. فـ« من أقام في البشرية حراً فهو في المسوخية حر... فمن ذلك أنه لتجد في الجبال بقراً وكباشاً ومعزى محررة لا يملكها أحد، وتعقب وتنسل، وهي حالها كما كانت في البشرية »[١١].

وما يحدث للإنسان في بشريته من علل وعاهـات يحدث له مثل ذلك في المسوخية: « إن حدث به (بالإنسان) شيء من العلل والعاهات في البشرية حدث بـه ذلـك بعينـه فـي المسوخية، لا زيادة به ولا نقصان منه، حتى إذا حدثت به حادثة حدثت به في مثل ذلك الوقت وذلك اليوم وتلك الساعة، وإن كان زالت في البشرية زالت عنه في المسوخية في مثل ذلـك الوقت وذلك اليوم وتلك الساعة »[١٢].

و « كل مقتول قتله الوحش وهو بشري يسلط المقتول على قاتله فيقتله. أما ترى فـي كل حين يقتل البشر سباعاً، وكثير من البشر يقتلهم السباع... فلذلك يقول العالم: لا يقتل السبع إلا سبع مثله... (هكذا) يستوفي الفـاعل من المفعول به، ثم يعود المفعول به يسـتوفي مـن الفاعل »[١٣].

ومن مظاهر المسوخية أيضاً ما نراه في الناس من ميل نحـو بعـض أنـواع مـن الحيوانات، وذلك لارتياح كل إنسان إلى النوع الذي يميل إليه. قال العالم: « اعلم يا مفضل أن في العالم أموراً وأحوالاً وبواطن... ظاهره بشري وباطنه مسخ... وشرح ذلك أنّك تجد فـي العالم من يلعب بهدير

(١١) كتاب الصراط، ص ١١٤ ب.
(١٢) المرجع نفسه، ص ١١٨ ب.
(١٣) المرجع نفسه، ص ١١٧ ب.

الحمام، وينعق نهيق الحمير، ويصهل بصهيل الخيل، ويشج شجيج البغال، وينبح نبيح الكلاب، ويعج عجيج البقر، ويضج ضجيج الثعالب، ويصيح صياح القطاط، ويشقشق شقشـقة الفـار، وصياح القرد..

وترى في العالم من يعني بتربية الكلاب وتربية الحمام وتربية القطاط وتربية جـنس من أجناس المسوخ. وكل ذاك لألفه بذاك الجنس ترتاح روحه إلى الأجناس التي قد حلّ قبـل ذلك الوقت فيها »[١٤].

في المسوخية أيضاً يمتزج الناس بعضهم ببعض امتزاج تشابه على اختلاف أجناسهم. « والناس لا يعلمون ذلك العلم. وربما أكل معك كلب وأنت تظن انه إنسان »[١٥].

قد « يمر الرجل ويمر الكلب فيتبعه، ثم إنّه يعض رجله أو يثب على ظهره فيعضـه. وإن الرجل حينما يمر بالكلب لا يعرفه ولا يكون قد رآه قبل ذلك، أو ربمـا يكـون الرجـل متزوجاً امرأة هذا الكلب... فيعرفه الكلب في مسوخيته »[١٦].

وعن محمد بن سنان قال: « التفت أبو الحسن إلى نجار ينجر بداره، فقال: هذا النجار كان في الدور الأول ديكاً وهو اليوم نجار »[١٧]. وبالمعنى ذاته نقلنا قصة الذئب وابنه الكرام.

وتعليل كل هذا إنّه يجري على الناس في البشرية وفي المسوخية

----

(١٤) كتاب الصراط، ص ١٧٣ ب.
(١٥) كتاب الهفت والاظلة، ص ٥٨.
(١٦) المرجع نفسه، ص ١١٢.
(١٧) المرجع نفسه، ص ١٤٩.

أشياء واحدة مستمرة: « يجري عليهم (على الناس) في المسوخيات سوا سواء، وحال بحـال، لا زيادة فيه ولا نقصان منه، حتى يوفي في المسوخية جميع ما استوفاه من البشرية شخصـاً بشخص، وحالاً بحال، وأجلاً بأجل، ومدة بمدة...

« وما من بشر ينقل إلى المسوخية ومات موته وهو بشري إلا ومات في المسـوخية مثلها، ولا عارضة عارض في البشرية إلاّ وعارضه بالمسوخية مثلها، ولا مر بـه حـال إلا ومر به في المسوخية مثله، ولا كان بحال من الأحوال إلا وكان به من العز والرفعة والكرامة أو من السدة والرخاء والرفاهة والتعب والنصب حتى يوفي في المسوخية جميع ما جرى لـه في البشرية... وذلك إنه يعادل عليهم في المسوخية جميع ذلك ليعرفوه كما كانوا يوفـوه فـي البشرية.

« هذا هو الصراط المستقيم الذي لا فيه عوج، ولا فيه خلاف، ولا عنه عدول »[١٨].

واختصار ذلك، لكي نستوفي كل ما قيل في التناسخ، « يجري على الشخص الواحـد هذه الأوصاف في البشرية وهو بشري، ويجري عليه في المسوخية مثل تلك الصـفات »[١٩]. « وما تراه من صفوف التراكيب في المسوخيات فهو موجود في البشـرية مـن صـغيرها وكبيرها... »[٢٠].

(١٨) كتاب الصراط، ص ١١٢ ب ـ ١١٣ أ.
(١٩) كتاب الصراط، ص ١١٣ ب.
(٢٠) كتاب الصراط، ص ١١٧ أ.

أما الأدلّة على حتمية التناسخ ووجوبه فيتناولها النصيريون من القرآن نفسه؛ ولكـنّهم يذهبون في تفسير آياته إلى أبعد حدود الباطنية والرمزية. من هذه الآيات الدالّة على التناسـخ ما يلي:

قال كتاب ا وزاد عليه النصيريون: « يا ليتنا نرد »[٢١]، « فنعمل غير الـذي كنّـا نعمل به »[٢٢]. وقال أيضاً مخبراً عن المائتين: « ربنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين، فاعترفنـا بذنوبنا. فهل إلى خروج من سبيل؟ »[٢٣]، « فقد أوجد أنّه أمـاتهم وأحيـاهم، وهـو يميـتهم ويحييهم، لأنهم بداومه ذلك عليهم يقولون: « فهل إلى خروج من سـبيل » مـن دوام هـذا الموت؟ »[٢٤].

وأما قـول القرآن: « إنّك ميت وإنّهـم ميتون، ثم إنكـ ـم يـوم القيامـة ترجعـون وتبعثون »[٢٥]، « فإنّما أراد بهم اختبارهم »[٢٦].

وقال ا أيضاً: « كلّما نضجت جلودهم بدلناهم غيرها ليذوقوا العـذاب بمـا كـانوا يكفرون »[٢٧]، وقال: « كونوا حجارة أم حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم »[٢٨]، « يريد بذلك الذهب والفضة وأنواع الرسوخ »[٢٩]. معنى ذلك إن كل من أخرج من المسوخية ولـم يتطهر كفاية يرد إلى الرسوخية.

وكتاب الهفت من جهته يستشهد بآيات قرآنية أخرى يدلّ بها على

---

(٢١) الأنعام ٦ / ٢٧.
(٢٢) الصراط، ص ١٢٦ أ.
(٢٣) سورة غافر ٤٠ / ١١.
(٢٤) الصراط، ص ١٢٦ ب.
(٢٥) الزمر ٣٩ / ٣٠ ـ ٣١.
(٢٦) الصراط، ص ١٢٧ أ.
(٢٧) سورة النساء ٤ / ٥٦.
(٢٨) الاسراء ١٧ / ٥٠ ـ ٥١.
(٢٩) الصراط، ص ١٤٦ ب.

ضرورة التناسخ. منها قوله: « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي »[٣٠]، يعنـي كل من يخرج من الأصلاب من أصله الذي خلق منه ثم يكرر سبع كرات في سـبع أبـدان. وقوله: « منكم من يتوفّى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر »[٣١]، أي إن المؤمن ينسخ نسـخاً، والكافر يمسخ مسخاً في أصناف المسوخية. ومنها قوله: « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين »[٣٢]، يعني في دورة لا عقب لها إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصـالحات، فإنهم لا يمسخون[٣٣].

بعد اتمام جميع مراحل التناسخ التي يمر بها الإنسان، إلى أين تذهب روحه؟ يجيـب كتاب تعليم الديانة النصيرية مميزاً بين النصيريين والكافرين بقوله، في سؤال وجواب:

« إلى أين تذهب أرواح أخوتنا المؤمنين عند خروجها من قبورها التي هي قمصانها اللحمية الدموية؟ جواب: تذهب إلى العالم الكبير النوراني، وتحظى بالنعيم والحياة الدائمة إلى أبد الأبدين، ودهر الداهرين وتلبس قمصان الأنوار وهم النجوم. سؤال: ماذا يحلّ بالمشـركين والكافرين والجاحدين لاهوت مولانا!؟ جـواب: يحـل بهـم العـذاب فـي جميـع الأدوار والأكوار[٣٤].

فنتيجة التناسخ إذن هي إن النصيريين يذهبون إلى النعيم حيث الكواكب، والكـافرين يبقون في عذاب يدوم إلى الأبد.

---

(٣٠) يونس ١٠ / ٣١.
(٣١) الحج ٢٢ / ٥.
(٣٢) التين ٩٥ / ٥.
(٣٣) انظر كتاب الهفت ص ٥٧.
(٣٤) كتاب تعليم الديانة النصـيرية، السـؤالان: ٨١ و٨٢، ص ١٦.

ثالثاً: أحوال المعاد

يتضمن الكلام على أحوال المعاد عدة قضايا، منها وصف اليوم الأخير، ومجريـات الحساب أمام القضاء الإلهي، ومسألة الثواب والعقاب، ومفهوم النعيم والجحيم. هذه القضـايا، على اهتمام النصيري بها والخوف منها، لم تبحث بحثاً شاملاً، ولم تدون الكتب النصيرية كل ما يعتقد المؤمن به؛ وربما كان السبب كثرة ما في القرآن عنها، فإن المؤمن يأخذ تعاليمه فيها من القرآن نفسه. إلاّ أن بعض ما في الكتب يضعنا على إدراك لها صحيح.

يصف النصيريون اليوم الأخير من الخليقة، بأن علياً سيظهر مجدداً ويعلن امتلاكـه العالم من أقصاه إلى أقصاه، فيكون هو سيد الكل ورب العالمين. ولن يكون بعد هذا الظهـور أي ظهور آخر، لأنه لن تكون بعده غيبة. فـ« مولانا أمير المؤمنين يظهر من دون احتجاب في آخر الزمان بمجد وبهاء عظيم، ويخلّص أرواح المؤمنين من قبورها التي هي قمصـانها اللحمية الدموية، ويجعلها تسكن بالأنوار الأبدية »[1].

ويكون الظهور الأخير لعلي ظهوراً لجميع الناس وكشفاً مطلقاً: « وأما الظهور الطلق (المطلق) للخاص والعام (للنصيريين وسواهم) فهو يوم

----

(١) كتاب تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٧ ص ٤.

الكشف »[٢]. في هذا اليوم يجتمع ملوك الأرض وسلاطينها بين يدي علي، أمير النحل؛ وقد أصبح اسمه ولقبه في اليوم الأخير « الدبور »، الذي يقمع الخوارج ويستولي على الأقاليم، ويخضع المخالفين بالسيف، ويهلك الظالمين. يكون هذا بعد اضطراب في الكون عظيم، وارتباك بين جميع الأديان والمذاهب والشرائع التي كرهها العالم. وعلي سيخلّص الكلّ ليصبح الكلّ فيه.

جاء في كتاب المناظرة:

«... تحدث في العالم أمور من اختلاف المذاهب والأديان والشرائع المختلفة والملل الظاهرة التي يكرهها العالم؛ ثم ظهور البدع ترتعد منها الناس، ويتجدد في العالم أمور صعبة ترهبهم وترهقهم، ويظهر أمور سماوية مقضية لا يمكن لمخلوق دفعها ولا انتفائها، واضطراب أمورهم بعضهم ببعض.

وهذا لقرب القران العظيم الذي يكون فيه ظهور القائم المهدي، ويكون ذلك في ربع القران، وإن تأخّر ففي القران، وهو مدة عشرين سنة... ويكون في ذلك العالم اختلاف وتخاليط في المذاهب والقوانين، يخافون منها على أنفسهم وأموالهم. ولم يزل ذلك إلى ظهور القائم المهدي لإشهار سيفه العظيم، ولا يغمده في الأرض كلها (لوجود بعض المؤمنين عليها)، وينادي له منادي بالنصر والقدرة والبأس العظيم.

ويكون ظهوره بين الشمال والصبا ومغارب الجنوب. والدبور يملك جميع الأرض، ويقمع الملوك والخوارج والسلاطين، ويستولي على

----

(٢) رسالة التوحيد، ص ٤٦ أ.

الأقاليم السبعة، ويملك الدنيا بأسرها من أولها إلى آخرها، بالسـيف والعـدل وإقامـة الحـقّ وتمحيص الجور، وينفي المفسدين، ويهلك الظالمين، ويحسن السيرة في الناس والرعية، ويغير القوانين والنصب في العالم... »[٣].

بعد هذا اليوم العظيم يكون الحساب العادل. فمن رجحت من المؤمنين أعماله الحسنة يكون في النعيم، ومن كثرت شروره منهم ولم تكن له فرصة التنقل في القمصان التناسـخية يكون حظه ناراً مؤبدة. يكون مصير هؤلاء تماماً كمصير الكافرين والملحـدين والمشـركين الجاحدين من سائر المذاهب والأديان.

ثم بعد الحساب يكون الثواب والعقاب في جهنم وجنّة النعيم. والعذاب في النار، كمـا السعادة في الجنّة، لن يكون مادياً، كما في الإسلام والقـرآن. بـل كـلا السـعادة والهـلاك روحانيان. فـ« المعرفة بعلي والاقرار به هي الجنّة. من عرف ا دخل الجنّة. وهي استجن من عرفها من علم التوحيد، وهي التي من حملها وأقر بها كان جنياً حياً مدى المدى. والجنّة: محمد وسلمان. ومن عرفهم فهو في الجنّة »[٤].

وأول درجات الجنّة حيث يسكن المؤمن النصيري تسمى بـ« ريح الضو »، وثانيهـا تسمى بـ« الضو »، ثم بـ« ريح الروح »، ثم بـ« الروح ». « لا يزال

(٣) كتاب المناظرة، ص ١٤٠ أ ـ ١٤١ أ.
(٤) كتاب المناظرة، ص ١٣٢ ب.

يرتفع منزلة منزلة حتى يصفا، وأدى شروط ا ، ويعرف اسمه، ويـذكر كـل ثـوب لبسـه (بالتناسخية)، وكلّ ما مر عليه. فإذا سكنت الروح، فعند ذلك يصير في النعيم الذي يعرف به الأمور... »[٥].

فالجنّة إذن هي غير النعيم، هي درجات توصل إلى النعيم. فيها يفحص المؤمن عمـا إذا كان قد أتم شروط الديانة، وعما إذا عرف في حياته الدنيا « عمس »، وعمـا مـر فـي القمصان التناسخية... بعد الجنّة يصل المؤمن إلى النعيم حيث السعادة الروحانيـة، وحيـث معرفة « عمس » بحقيقته، من دون حجاب. في النعيم يعرف المؤمن كل شيء. هذا النعيم هو روحاني، لا مادة فيه ولا مادية، كما هو الحال في الإسلام والقرآن.

يقول كتاب الاسوس: «... وليس للمؤمنين في الآخرة أبدان، وإنّما هم روحانيون»[٦].

وتدرج المؤمنين في الجنّة بحسب رتبهم ومنزلتهم. جاء في الهفـت سـؤال الجاهـل للعالم، « أخبرني هل السموات السبعة كلّها واحدة أم قد يتفاضل بعضها على بعض؟ فقال: أما السماء الأولى فهي مساكن الأئمة، وأما الثانية فللنطقاء، وأما الثالثة فللنجباء، وأمـا الرابعـة فللمخلصين، وأما الخامسة فللأيتام، وأما السادسة فللحجب، وأما السابعة فللأبواب »[٧].

----

(٥) كتاب المناظرة، ص ٣٣ أ.
(٦) كتاب الاسوس، ص ٣٣ ب.
(٧) كتاب الهفت، ص ٨٦.

الفصل الرابع

رتبة تسليم الدين

أولاً : معرفة « التعليق »

ثانياً : رتبة « السماع »

ثالثاً : رواية سليمان الأذني

رابعاً : دور الإمام

أولاً: معرفة « التعليق »

يحتفل النصيريون برتبة تسليم الدين لمن بلغ منهم الثمانية عشرة، وكان مؤهلاً لـذلك ومعداً له أعداداً لائقاً. وعادة ما يتسلّم الدين شيخ عن شيخ، فتبقى الديانة محصورة تعاليمها في عائلات دون غيرها. بهذه التعاليم ينقسم النصيريون إلى فئتين: خاصـة وعامـة، أو عقّـال وجهال. وتسمى رتبة تسليم الدين بـ« معرفة التعليق »، أي تعليق الطالب بالفئة الخاصة، أو تعليق الإمام الدين للطالب. وهذا التعليق على درجات، يقوم على ما يلي[1]:

« يقف النقيب، بعد إيراد الخطبة، والولد عن يمينه مكشوف الرأس، ويأمره أن يرفع على رأسه مداس سيده، ويختص من مداسات الجماعة على مداس الإمام. ثم يأمره أن يسـأل الجماعة وهو يقول: أسألكم يا جماعة بالوجه الذي تسألون ا به لأنّه وجه الكمال أن تسألون شيخي وسيدي (فلان) الدين (ولا يسميه بقلبه) أن يقبلني ولداً ومملوكاً ويطهرني مـن نجـس الشرك والمشبهية، وينقذني من ظلمة الضلال، ويهديني إلى الصـراط المسـتقيم، وفّقكـم ا وجعلكم أهلاً لكل خير.

ثم إن الجماعة ينهضوا قياماً بأسرهم، ويقولوا له: يا فلان، هذا

---

(١) ننقل بتصحيح بعض العبارات عن مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، رقم ١٤٥٠، ص ١٥٨ ب ـ ١٦٧ ب. « باب في معرفة التعليق ».

التلميذ سألنا بوجه الكمال على أن نسألك حتى ترضاه وتقبله. فإذا قبل منهم يرفع النقيب[٢] ما على رأسه ويجلسه بين يدي الإمام، ويجتمعوا حوله ما شاء من الحاضرين حوله ليشهدوا لـه عليه. فيقول له الإمام: اعلم وفّقك ا وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى، علمه شديد القوى[٣]. قال النبي صلّى ا عليه وسلّم: تناكحوا تناسلوا أباهى بكم الأمم إلى يـوم القيامـة والدين[٤]. الملائكة أولوا العلم قائماً بالقسط[٥]. ولم يرد نكـاح الجمـاع، وإنّمـا هـو نكـاح السماع[٦]. اعلم أن هذه الجماعة إنّما اجتمعوا إلاّ بسبب عقد نكاحك. وقد قال النبي صـلّى ا عليه وسلّم من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن بذل نفساً ملك نفساً. ولـيس الناشـئ بأنفس من قدس المعرفة، ولا لك نفس أنفس من نفسك، وما تشتمل عليه صورتك. فإن بـذلت ذلك زوجتك بكريمة مولاي هذا فلان الذي أعني السيد، فإن أبيت فهذا إليك.

فإن وجد منه منع فيأمر (الإمام) يقيمه ويحصل له من الجماعة المتمرين (الذين دفعوا النفقة) ما أخرجه من النفقة، فيعاد إليه. وإن طاع فيلزم يده اليمين (أي يقبل يد الإمام). ويقول (الإمام): زوجتك بأمر ا ومشيئته متّبع لسنّة رسوله كريمة مولاي فلان إلى ما استودعه ا لك عنده وهي أمانة مبلّغة إلي أمر ا ... وإن ا أثبت لك أمراً لا شك فيه، وهو نور المعرفة

---

(٢) الإمام والنقيب والنجيب هم رؤساء الدين عند النصيريين.
(٣) سورة النجم ٥٣ / ٥.
(٤) حديث نبوي.
(٥) آل عمران ٣ / ١٨.
(٦) النكاح هو الجماع الشرعي بين الرجل والمرأة. هنا هو نكاح الدين أي جماع بين الإمام والطالب، أو بين العالم والمتعلّم. وفي مخطوط ٥١٨٨ من المكتبة الوطنية بباريس ص ١٣٢ هذا التوضيح: « يكون العالم ذكراً والمتعلّم أنثى. والنكاح هو مطارحة العلم أي إشراك العلم وإعطاؤه ».

وحقيقة الإيمان. ولم يزل ذلك النور ينمو ويتربى في نفسه وتقوى حرمته وإرادتـه لاتّصـال مستحقّه وظما نفسه لطالبه وحصل الاستعداد لقوله وهو وقوع النطفة وتربية الجنـين لقولـه تعالى: حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً[٧]، وهو ايضاع نور قدس المعرفة، وهي تربية نفسه، وهو بدء نور أقره ا تعالى لك في هذا التكمل في زمان يحصره مدة أقلّهـا سـتة أشـهر، وأوسطها تسعة أشهر، وأكثرها أربع سنين. فيرجى ما بين ذلك.

فقد قيل: إن لكل قضاء قدراً ولكلّ قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو ا ما يشاء ويثبت ما يريد وعنده أم الكتاب[٨] على صدق مبلغه اسمك وجسمك وروحك ونفسك وعقلك وذهنـك وفهمك وعلمك واعتقادك ودينك ودنياك ومعادك وسرك وجهرك وجملة ما يشتمل عليه هيكله ظاهراً وباطناً. أقبلت هذا النكاح ورضيت به؟ فإذا قال نعم، فيقبل ما بين عينيه (أي الإمام هو الذي يقبل) ويقول (الإمام) له: بارك ا فيك ولك فيما أنت طالبه وسير لك الاستعداد لقبولـه. ثم يتلو عليه: إن ا اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة[٩].

ثم يقيمه النقيب إلى سيده ويقبل يده ورجله والأرض بين يديه. فإذا فعل ذلك فيقول له السيد : قم وفّقك ا . وأمره بشرب سر الإمام. فيعتزل ويقف بطرف المجلس ويشـرب سـر الإمام وسر سيده وسر الجماعة: « سركم أحسن ا معادكم، وسر دينكم وسر اعتقادكم، وأنـا عبدكم وتحت طاعتكم ». بعد أن يشرب يقبل أياديهم وأقدامهم. أولاً الإمـام، ثـم الجماعـة. والجماعة

----

(٧) سورة الأحقاف١٦ / ٤٥.
(٨) انظر السور القرآنية التالية: ٣ / ٧، ١٣ / ٣٩، ٤٣ / ٤.
(٩) سورة التوبة ٩ / ١١١.

بأسرهم يشربون سر القبول لسيده، ويقولون: سرك يا فلان وسرك وسر قبولك. ويا أيها التلميذ هنّئت بالوصول. ثم إنهم يجلسون حيث ما كانوا ويحضر ما تيسر من الطيب والبخور[١٠]. ثم يكتب النقيب التاريخ: الوقت الذي هم فيه واسم الشهر لئلا يقع خلاف في المدة والشهور إلى ليلة السماع. وإن حضر من حضر ولم يحضر التعليق فلا بأس أن يقلّد الحاضرين ويشهدوا على شهادتكم، وإن لم يؤثّر ذلك فلا إكراه في الدين.

فهذا معنى التعليق. ثم وكمل ».

نستطيع أن نضيف على هذه الرتبة بعض التوضيح والملاحظات. فمعرفة الدين مناطة بالرجال دون النساء، وبالرجال المعدين لذلك. وعلى من يتسلّم الدين أن يولد من أب وأم نصيريين. والرجال النصيريون الذين يتزوجون نساء غير نصيريات لا يستطيعون أن يسلّموا الدين لأولادهم. ثم إن الوالد لا يستطيع أن يسلّم الدين لولده، بل على الوالد أن يدبر لولده والداً روحياً يقوم بهذه المهمة.

يخلق تسلّم الدين قرابة روحية بين الطالب و « العم السيد »، بنوع أن الطالب لا يستطيع ان يتزوج بنات مرشده اللواتي أصبحن أخواته بالروح. وعلى « العم السيد »، إذا ما سافر وترك الطالب، أن يعلِم الامام بذلك، ليدبر للطالب « سيداً » آخر يكمل تدبيره، أو يحلّه من الدين. « ولا يجوز للولد أن يتخلّى عن السيد إلاّ بأذنه. فإن منزلته من سيده بمنزلة الزوجة من البعل والطلاق للرجال لا للنساء »[١١].

---

(١٠) الطيب والبخور من مقومات « القداس » عند النصيريين. تراها في مكانها.
(١١) المخطوط ١٤٥٠، ص ١٦٠ أ.

ثانياً: رتبة « السماع »

رتبة السماع معناها السماع المتبادل بين الإمام وتلميذه. هذا يسمع النصـائح ويقـوم بوفاء العهد والميثاق، وذاك يسمِع تلميذَه الوعظَ والارشاد ويأخذ عليه العهد والميثاق. وهـي تجري كما يلي:

ينهض النقيب وينبه كل نائم للقيام، ويجري الرتبةَ في وقت السحر، ويجلس الإمـام، وتحضر الجماعة، ويحضر النقيب الطالب بين يدي الإمام. ويضع الطالب يده في يد الإمـام، ويتلو الإمام هذه الآية من القرآن: « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون ا . يد ا فوق أيـديهم. فمن نكث فإنّما ينكث عن نفسه. ومن أوفى بما عاهد عليه ا فسيؤتيه أجـراً عظيمـاً »[1]، واعلم، وفّقك ا ، إنّك قد أهلت نفسك لطلب أمر عظيم وخطب جسيم، لا يحمله إلاّ كل ملَـك مقرب أو نبي مرسل، أو مؤمن امتحن ا قلبه بالعلم والإيمان.

فأخبرني ما الذي قد ثبت عندك وتصور في ذهنك ونفسك؟ وما أنت طالبه؟

وبعد أن يفهمه النقيب ما يجب أن يجيب به الإمام، وإذا ما حسن حسن جوابه، يتلـو الإمام عليه قول ا : « إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً »[2].

---

(١) سورة الفتح ٤٨ / ١٠.

(٢) سورة المزمل ٧٣ / ٥.

فإذا قال: « ستجدني إن شاء ا من الصابرين »[٣] يقول الإمام: اعلم، وفّقك ا ، إنك طالـب أمر عظيم تحتاج معه إلى أن تقيم الصلاة بأوقاتها، وتؤدي الزكاة إلى أربابها، وتواظب علـى المفترضات، وتتجنّب الباطل والمحذورات، وتعتمد على الحق وتفعله. وإياك الكذب، فإنه شين الرجال وجلبات أهل المحال وسلاح المنافقين، وتجنّب الفسق... ويجب أن لا تتكبر على أحد من المؤمنين...

بعد هذا يأخذ الإمام على الطالب العهد والميثاق...

ثم يقول له النقيب: جعلت على نفسك عهد ا وميثاقه وعقده وذمته وذمة رسول ا . وا ، وا ، وا ، ويا من ا ، وبا ... إنّك تسترجع ما سمعته وعلمته ولقّنته من أمر داعيـك وإمام زمانك الذي أخرجك من العدم إلى الوجود، ومن النحوس إلى السعود... وا وا وا ، وبا إنك وكيل على هذا العقد أن لا تهدمه ولا تذيعه... قل نعم على أنّك لا تذيع علينا شـيئاً من هذا العقد لا في حياتنا ولا بعد وفاتنا، ولا على حال غضب ولا على حال رضا، ولا على حال مناؤة ولا على حال رهبة، ولا على حال رغبة، ولا على حال شدة، ولا على حال طمع، ولا على حال حرمان... فإني وا وا وا إني لا أذيعه إلى مخلوق بلسان، ولا أكتبه فـي صحيفة، ولا بيدي، ولا أسعى في حق هذه الطائفة بسوء ولا أكشـف مـا أوعزتمـوه إلـي واستكتمتوني إياه إلى مخلوق. فإن خالفت ما أمرناك به وأنت على ما ذكرته، فإنك برئ مـن ا خالق السماوات والأرض الذي خلقك وأحسن إليك في دينك ودنياك...

----

(٣) سورة الصافات ٣٧ / ١٠٢.

وبعد حلفان معظّم، يقول النقيب: افهم ما يجب لسيدك عليك. ثم يعظـه بعـد اليمـين ويقول له: اعلم، وفقك ا ، إن سيدك هو ربك ونبيك ورسولك. ليس هو إلهـك وخالقـك... وعليك أن تكون داعياً لسيدك، شاكراً متودداً، وأن تغفر زلّته، وترحم عبرته، وتستر عورته، وتقيل عثرته، وتقبل معذرته، وتعوده في مرضته، وترد غيبته، وتصدق نصـيحته، وتقبـل هديته، وتشكر نعمته، وتحفظ خليلته، وتشهد موتته، وتجيب دعوته، وتحسن نصرته، وتقضي حاجته، ولا تهتك له ستراً، ولا تكشف له سراً، ولا تحفر لأخيك بئراً...

وبعد انتهـاء النصائح، يقيمه النقيب إلى بين يدي الإمام الـذي يتلو عليه من القرآن: « وأخذ ربك ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبينه للناس ولا يكتموه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا بها ثمناً قليلاً »[٤].

ثم إن سيده يفتح عليه الفتح. ويقبل بعد ذلك الطالب، ثم يقبل الطالب الأرض بين يدي سيده، ويقبل رأس الإمام ويده.

ثم يأمر الإمام النقيب أن يناول الطالب قدحاً من الخمر فيشرب الطالب سر الإمام، ثم قدحاً ثانياً ليشرب سر سيده مرشده، ثم قدحاً ثالثاً ليشرب سر الجماعة.

ثم ينهض كل واحد من الجماعة ويشرب سر القبول، ويقبلوا الإمام إلـى أن ينتهـي الجميع. ثم يأمر الإمام الجميع بالانصراف[٥].

---

(٤) سورة آل عمران ٣ / ١٨٧ ببعض التصرف.

(٥) ترى « معرفة التعليق » و« رتبة السماع » في مخطوط مكتبة باريس الوطنية رقم ١٤٥٠، فـي كتـاب المناظرة ص ١٦٠ ـ ١٦٧. وقد نقلناها بإيجاز، رغم كونها غير كاملة بالنسبة إلى ما يفيدنا فيه الاذني.

ثالثاً: رواية سليمان الأذني

يقول سليمان الأذني عن طريقة تسلّمه الدين النصيري، وقد بلغ الثامنة عشرة: « إنّي ولدت في مدينة انطاكية سنة ١٢٥٠ هجرية، وأقمت فيها نحو سبع سنين، ثم انتقلت إلى أدنه. ولما بلغت السنة الثامنة عشرة من العمر أخذ بنو طائفتي يطلعونني على أسـرارهم الباطنيـة التي لا يكشفونها إلا لمن بلغ هذا السن أو سن العشرين.

وفي ذات يوم اجتمع منهم جمهور من الخاصة والعامة واستدعوني إليهم ونـاولوني قدح خمر. ثم وقف النقيب بجانبي، وقال لي: قل بسر إحسانك يا عمي وسيدي وتاج رأسـي، أنا لك تلميذ وحذاؤك على رأسي. ولما شربت الكأس التفتَ إلي الإمام قائلاً لي: هل ترضـى أن ترفع أحذية هؤلاء الحاضرين على رأسك إكراماً لسيدك؟ فقلت: كلاّ، بل حذاء سيدي فقط. فضحك الحاضرون لعدم قبولي القانون. ثم أمروا الخادم فأتى بحذاء السيد المذكور، فكشـفوا رأسي ووضعوه عليه، وجعلوا على الحذاء خرقة بيضاء. ثم أخذ النقيب يصلي علي لكي اقبل السر. ولما فرغ من الصلوة رفعوا الحذاء عن رأسي وأوصوني بالكتمان وانصرفوا.

فهذه الجمعية يسمونها: المشورة.

ثم بعد أربعين يوماً اجتمع جمهور آخر واستدعوني إليهم ووقف السيد

بجانبي وبيده كأس خمر، فسقاني الكأس، وأمرني بأن أقول سر ع م س. أما العين فهي علي ويسمونه المعنى. وأما الميم فهي محمد ويسمونه الاسم والحجاب. وأما السين فهـي سـلمان الفارسي ويسمونه الباب. ثم بعد ذلك قال لي الإمام: إنه فرض عليك أن تتلو هذه اللفظة، وهي سر عمس كل يوم خمسمائة مرة. ثم أوصوني بالكتمان وانصرفوا.

وهذه الجمعية الثانية يسمونها بجمعية المليك.

ثم بعد سبعة أشهر (والمدة للعامة تسعة أشهر) اجتمع جمهور آخر أيضاً واسـتدعوني حسب عادتهم وأوقفوني بعيداً عنهم ونهض وكيل من بين الجماعة والنقيب عن يمينه والنجيب عن شماله وبيد كلّ منهم كأس خمر واستقبلوا نحو الإمام مترنّمين الترنيمة الثالثة التـي هـي للحسين بن حمدان الخصيبي... وبعد ذلك توجهوا نحو المرشد الثـاني متـرنّمين لـه هـذه الترنيمة:

سألت عـن المكارم أين حلّوا	بعض الناس دلّـوني عليكا
بحـقّ محمد مـع آل بيـته	أرحـم من أتى يقبـل يديكا
قصدتك لا تخيب فيـك ظنّي	نحن اليـوم محسوبين عليكا

ثم وضعوا أياديهم على رأسه وجلسوا. وأما هو فنهض قائماً، وأخذ القدح من الوكيل، وخر ساجداً، وقرأ سورة السجود، وهي الفصل السادس[1]، ورفع رأسه، وقرأ سورة العـين، وهي الفصل التاسع، ثم شرب الكأس وقرأ سورة السلام، وهي الفصل السابع.

ثم قام متوجهاً نحو الإمام قائلاً: نعم نعم نعم يا سيدي الإمام. فقال له الإمـام: يـنعم عليك وعلى من حواليك. لقد علمتَ ما لم تعلمه هذه الجماعة لأنك أخذت القدح بيدك وشربتَ وسجدت وسلّمت و السجود. فما هي حاجتك وماذا تريد! فقال: أريد أن أتمسى بوجه مولاي. ثم

انصرف ونظر نحو السماء ورجع إليهم قائلاً: نعم نعم نعم يا سيدي فأجابه الإمام كالأول: ما حاجتك وماذا تريد؟ فقال لي حاجة أريد قضاها. فقال اذهب اقضها. ثم انصرف عـنهم ودنـا مني لكي أقبل يديه ورجليه فقبلتهما ورجع إليهم أيضاً وقال: نعم نعم نعم يا سيدي الإمام. فقال له الإمام: ما مرادك وماذا تريد؟ فأجابه إنه تراءى لي شخص بالطريق فقال: ألم تسمع ما قال سيدنا المنتجب الدين « العاني »: الليل يجزع منه كل صنديد. فأجاب لي قلب قوي ولا خوف علي. ثم نظر إلي أيضاً والتفت إليهم وقال: هذا الشخص اسمه فلان، وهو قد أتـى ليتـأدب أمامكم. فقال: من دلّة علينا؟ فأجاب: المعنى القديم والاسم العظيم والباب الكريم. وهي لفظـة عمس. فقال الإمام: أئت به لنراه. فأخذ المرشد بيدي اليمنى وذهب بي إلى الإمام. فلما دنوت منه مد لي رجليه فقبلتهما ويديه أيضاً. وقال لي: ما حاجتك وماذا تريد أيها الغلام؟

ثم نهض النقيب ووقف بجانبي وعلّمني بأن أقول: بسر الذي أنتم فيـه، يـا معاشـر المؤمنين. ثم نظر إلي بعبوسة وقال: ما الذي حملك على أن تطلب منّا هذا السر المكلّل باللؤلؤ والدر ولم يحمله إلاّ كلّ ملاك مقرب أو نبي مرسل؟ أعلم يا ولدي إن الملائكة كثيـرون ولا يحمل هذا السر إلاّ المقربون. والأنبياء كثيرون وليس منهم من يحمل هذا السر إلاّ المرسلون. والمؤمنون كثيرون وليس منهم من يحمل هذا السر إلا الممتحنون أتقبل قطع الرأس واليـدين والرجلين ولا تبيح بهذا السر العظيم؟ فقلت له: نعم. فقال لي: أريد منك مائـة كفيـل. فقـال الحاضرون: القانون يا سيدنا الإمام. فقال: اكراماً لكم ليكن اثنا عشر كفيلاً. ثم قـام المرشـد الثاني

---

(١) هذه السور موجودة في كتاب المجموع. تراها في آخر الكتاب.

وقبل أيدي الاثني عشر كفيلاً، وأنا أيضاً قبلت أيديهم. ثم نهض الكفلاء وقالوا: نعم نعم نعم يا سيدي الإمام. فقال الإمام: ما حاجتكم أيها الشرفاء؟ قالوا: أتينا لنكفل فلاناً. فقال: إذا باح بهذا السر أتأتوني به لكي نقطعه تقطيعاً ونشرب دمه؟ فقالوا: نعم. فأجاب وقـال: لسـت اكتفـي بكفالتكم فقط بل أريد اثنين معتبرين يكفلانكم. فجرى واحد من الكفلاء وأنا وراءه وقبل أيـدي الكفيلين المطلوبين وقبلتهما أنا أيضاً. ثم نهضا قائمين وأيديهما موضوعة علـى صـدريهما، فالتفتَ إليهما الإمام وقال: ا يمسيكما بالخير أيها الكفيلان المعتبران الطاهران أهل البـرش والكرش فماذا تريدان؟ فأجابا: إننا قد أتينا لنكفل الاثني عشر كفيلاً وهذا الشخص أيضاً. فقال: فإذا هرب قبل أن يكمل حفظ الصلوة أو باح بهذا السر، هل تأتياني به لنعدم حياته؟ فقالا: نعم. قال الإمام: إن الكفلاء يفنون وكفلاء الكفلاء يفنون، وأنا أريد منه شيئاً لا يفنى. فقالا له: افعل ما شئت. فالتفت إلي وقال: ادن مني يا غلام. فدنوت منه، وحينئذ استحلفني بجميع الأجـرام السماوية بأني لا أبيح بهذا السر. ثم ناولني كتاب المجموع في يدي اليمنى وعلّمنـي النقيـب الواقف بجانبي أن أقول: تفضل حلّفني يا سيدي الإمام على هذا السر العظيم وأنت بريء من خطيئتي. فأخذ الكتاب مني وقال: يا ولدي احلّفك ليس لأجل مال ولا جوار بل لأجل سـر ا فقط كما حلّفنا مشايخنا وساداتنا. وهكذا تكرر العمل والقول ثلاث مرات. ثم وضعت يدي على « المجموع » ثلاث مرات حالفاً به له أن لا أبيح بهذا السر ما دمت حياً...

ثم قال الإمام: اعلم يا ولدي أن الأرض لا تقبلك فيها مدفوناً إن أبحت بهذا السـر ولا تعود تدخل القمصان البشرية، بل حين وفاتك تدخل

قمصان المسوخية وليس لك منها نجاة أبداً.

ثم أجلسوني بينَهم وكشفوا رأسي ووضعوا عليه غطاء، ثم إن الكفلاء وضعوا أيـديهم على رأسي، وأخذوا يصلّون فقرأوا أولاً سورة الفتح والسجود والعين، ثم شربوا خمراً وقرأوا سورة السلام، ورفعوا أيديهم عن رأسي وأخذني عم الدخول وسلّمني إلى مرشدي الأول، ثـم أخذ بيده كأس خمرٍ وسقاني وعلمني أن أقول: بسم ا ، وبا ، وسر السـيد أبـي عبـد ا ، العارف بمعرفة ا ، سر تذكاره الصالح سره أسعده ا .

ثم انصرفت الجماعة وأخذني السيد إلى بيته واسمه أحمد أفندي بن رضوان آغا مـن أعيان مدينة أدنه، والمرشد الثاني اسمه الشيخ صالح الجبلي رئيس الرمالين. ثم ابتـدأ السـيد يعلمني أولاً التبرى، وهو سورة الشتائم... وحينئذ اطلعني على صلاتهم المشهورة...[٢].

******

أنت ترى بعض الفروقات بين رواية الاذني ورواية المخطوط ١٤٥٠. ومرد ذلك إلى كون الأذني ينقل إلينا ما عند الشماليين، والمخطوط ينقل مـا عنـد الحيـدريين. الشـماليون والحيدريون هما قسمان كبيران في المذهب، لكل منهما نظرة مختلفة في الديانة وفي العقيدة، وممارسات خاصة للعادات والاحتفالات الدينية، نراها في حينها.

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(٢) كتاب الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية ٢ ـ ٧.

رابعاً: دور الإمام

يرأس الجماعة المؤمنة إمام، يتّصف بصفات روحية وخلقية وعقلية هامة، وتقع عليه مستلزمات الإيمان وفروضه، ويترتّب عليه واجبات نحو جماعته تضعه في منتهى المسؤولية. فهو سيد الجماعة، ورئيسهم، ومربيهم، والمسؤول عنهم، ومحقّق طموحهم. وهو القيم على أمور الدين، وكتمان سر الديانة، ومعلّم فروضها وواجباتها، وكاهن أسرارها، ومنشّئ رجالها، ومدرب عقّالها... وبالجملة، الإمام هو نائب ا على الأرض.

جاء في « شرح الإمام »[1] إن « الإمام يحتاج إلى الصبر والأناة والعلم والرأي والفطنة والذكاء والعفة والمروة والشجاعة والسخاء والتدبير والسياسة والأدب... وينبغي أن يجمع شروط العدالة، وشروط المؤذّن الذي يدعو إلى الصلاة والفلاح، وشروط الأمناء والثقاة لأن عنده دين ا وسره وخزائنه، وينبغي أن يجمع شروط المجاهدين... فإنّه هو الطبيب للأرواح. وينبغي أن يكون فيه شروط المنجم فإنه هو منجم الدين ومهندس العقول، وشروط التأليف فإنه هو مؤلّف الكلمات العقلية.

وينبغي أن يكون فيه حرص للزراعين ومعرفتهم في الأراضي وأوقات الزراعة وسقايتها، فإنه يحرث الدين ويعمر الدين بالحقيقة ويحفر الأنهار

---

(١) « شرح الإمام » مخطوط المكتبة الوطنية في باريس، رقم ١٤٥٠، صفحة ١٥٥ ب ـ ١٥٨ ب.

ليجري فيها الماء الحقيقي الذي هو علم الباطن... وينبغي أن يكون فيه شروط الرعاة في حفظ الأغنام ورعيتها لأنه بالحقيقة. وقد قال جعفر الصادق: « كلّ مسؤول عـن رعيتـه والحـق موجود لطالبه ».

فهذه هي شروط الإمامة وفضائل الإمام. ولا يليق لإمام أن يكون فيه نقص من دنيـا ولا من دين، بل يكون كامل الخلقة والخلق والدين. ولا يكون همازاً لمـازاً، ولا غمـازاً ولا نماماً، ولا فاسقاً ولا مرتاباً ولا مرائياً، ولا صاحب ضحكة، ولا ميالاً ولا صاحب وجهين...

ومن لا يكون بهذه الفضائل والصفات لا يجوز له أن يتأمم ـ أي يصبح إماماً ـ في جماعة... »

وفي كتاب « المناظرة »[٢] ذكر ما يجب أن يقوم فيه الإمام، إذ لا يتقدم أحـد علـى جماعة إلاّ بعد أن يتبين علمه، ويظهر فعله. والعلماء ورثة الأنبياء والأوصياء. وهم أنوار ا في عالمه.

ومما في كتب النصيرية من أعمال الإمام ودوره بعض ما يجب عليه من واجبـات. فـ« واجب على الإمام إذا حضر مجلس الحكم والعدل أن يأمر النقيب أن يأمر الجماعة قبـل اشراع الطعام أن يتفقّد من كان حاضراً وغائباً. ويساوي بين الغني والفقير. ومن كان له دعوة على أحد من الإخوان، فيقف هو وخصمه بين أيدي الإمام ويتحاققوا على أخذه واعطاه. فمن ثبت عليه الجريمة والخطأ والظلمة فيقطعوه، إماماً كان أو نقيباً. فإن كان إماماً فينيب مكانـه نائب، وكذلك النقيب. ولا يقول الحاكم ما صح عندي لأن الحكم له

---

(٢) كتاب « المناظرة »، مخطوط باريس ١٤٥٠، ص ٦٧ ـ ١٥٥.

لا لغيره؛ ومتى بدا من أحد من الجماعة ذنب فيوجب المقاطعة فيقطعوه ليتأدب به غيره.

وبعد أداء الفريضة يأمر الإمام للنقيب أن يأمر الجماعة: من كان له سـؤال واجـب فيقوم إلى بين يدي الإمام ويشرب سره ويقبل يده، ويسأله عما بدا له، فإن كان السؤال مما لا يمكن لضعف الجماعة فيورد على الجميع، وإن كان السائل لا يحمل جواب ما سأل عنه لقصر فهمه وسقوط درجته، فلا بأس أن يقول له: ا وملائكته وأولو الأمر من المؤمنين، ما عندي جواب ما سألت عنه. وإن كانت الجماعة لا تحمل الجواب فيرد منه إليه عند حركة الشـهوة، ويحضروا من كان من المتعلّقين، وطلاّب العلم، ويذكرون أخباراً تحرضهم علـى المعرفـة، وأشعاراً تشوقّهم. فإذا غاب عليهم الشراب فيصرفون من كان من الضعفاء، فيتذاكروا في ذلك اليوم. وبعد ذلك يأمر النقيب الجماعة بالمسائل والمباحثة والمطارحة في العلم والتمتّع بالنظر بعضهم ببعض.

وهكذا تكون مجالس المؤمنين وسيرة الموحدين »[٣].

ثم نقل إلينا سليمان الاذني نظرة العامة إلى أئمتهم فقال: « وهؤلاء الائمة مهما رسموا من الطقوس أو غيرها، فالعامة تصدقه وتقبله بكل رضى، لظنها بأنّهم لا يغلطون. ثم بعد وفاة هؤلاء الأئمة تنتقل وظيفتهم إلى خلفائهم. وكثيرون من العامة يعتقدون بأن الشيوخ لا يغيطون، كما كنت أعتقد بهم. كذلك لما كنت حديث السن وصار بيني وبين بعض الناس شروط

----

(٣) انظر مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٤٥٠ ص ٧٨ ب ـ ٧٩ ب.

بشأن ذلك. ثم أتانا إمام منهم اسمه (فلان)... فراقبته ورأيت أنّه لا يفرق عن بقية الناس بشيء من هذا القبيل. وما شاهدت شيئاً يثبت فكري بهذه القضية، فاطّلعت على غيره فكان منه كما كان من الأول »[٤].

ويثبت قول الاذني مخطوط ببرلين يقول: « والنصيرية، بوجه العموم، يعتقدون بمشايخهم أنّهم يفهمون المستقبل. ولا بد لكلّ إنسان منهم أن يستشير الشيخ في كلّ عمل يصنعه. حتى إذا أحد منهم أراد أن يبني بيتاً لا بد من أن يستدعي الشيخ يحسب له إن كان يوضع الباب غرباً أو شرقاً أو قبلةً أم شمالاً. وإذا أراد أحد يتزوج بنتاً قَبْلَ أن يخطبها يستشير الشيخ عنها إن كانت هي ذات سعد أو نحس. وإذا أحد أراد أن ينتقل من قرية إلى قرية أخرى أو من محلّ لمحلّ آخر لا بد من أن يستشير الشيخ إن كان النقلة توافقه بأول القمر أم بآخره أم بنصفه. وعلى حسبما يرشده ذلك الشيخ يفعل الرجل »[5].

ثم لا يكون عيد أو احتفال أو اجتماع أو مناظرة إلاّ برئاسة إمام، أو من ينوب عنه، ويعاون الإمام في إدارة الجماعة المؤمنة ومجالس المؤمنين نقيب ونجيب. هذان يقومان بخدمة المؤمنين لقاء جعل معين، ويعلّمان العامة حفظ الشريعة دون العقيدة التي هي من شأن الخاصة منهم. وعبء تسليم الدين يقع على الثلاثة معاً الذين يختارون لذلك من ينوب عنهم كـ« العم السيد » و « المرشد » و « الوكيل » . فالإمام يمثّل علياً، والنقيب محمداً، والنجيب سلمان. وللنقيب ١٢ تلميذاً يسمون: الناجي، الحامد، الدليل، الغافر، الراجي، البشير، النذير، الكافل، المجيب، الخامد، المحيي، الراهب.

---

(٤) الباكورة، ص ٥٦.

(٥) مكتبة برلين الملكية رقم ٤٢٩١ ص ٥٦.

الفصل الخامس

مراتب النصيريين

أولاً : مراتب العلم النوراني

ثانياً : مراتب العالم البشري

ثالثاً : التدرج في المراتب

أولاً: مراتب العالم النوراني

« إن العوالم هي كثيرة، لا يعلم عددها إلاّ خالقها. ومنها العـالم الكبيـر النـوراني، والعالم الصغير البشري الترابي الجنس »[١].

أما العالم الكبير النوراني فهو السماء التي هي نور الأنوار. وهو يحتوي على سـبع مراتب قبل ظهورهم في العالم البشري. وهـم: الأبـواب، والأيتـام، والنقبـاء، والنجبـاء، والمختصون، والمخلّصون، والممتحنون. هذه المراتب ظهرت مع ظهور ا فـي الطبيعـة البشرية، وتجلّت في أشخاص معينين معروفين في التاريخ النصيري. كل مرتبـة مـن هـذه المراتب لها عملها، ولها علمها. وعددها، حتى الظهور الإلهي الأخير محدود.

آ ـ مرتبة الأبواب، يستمد الباب نوره من الاسم. كان ظهوره في التجلّـي الإلهـي الأخير في سلمان الفارسي. النصيري المؤمن يستطيع إذا ما علا في تجـوهره بلـوغ هـذه المرتبة الإلهية والاستقرار في غبطته فيها. لكن هذا لا يعني مقدرته على الحصـول عليهـا، لأنها مرتبة إلهية لا بشرية. إلا إنّه في حال بلوغها « يكون معايناً بالنظر. يكون إن شاء غائباً وإن شاء حاضراً وشاهداً وثابتاً وغائباً ومعايناً ومستمعاً، لا يغرب عليه شـيء مـن طلبتـه وإرادته وبغيته. ويكون عند ذلك سبب من أسباب ا ، وحجة علـى أوليائـه، ونقمـة علـى أعدائه، وسراجاً يستضاء به، ومكاناً يشار إليه، ومقصداً

----

(١) كتاب تعليم الديانة النصيرية، السؤال ٥٣ ص ١٣ أ.

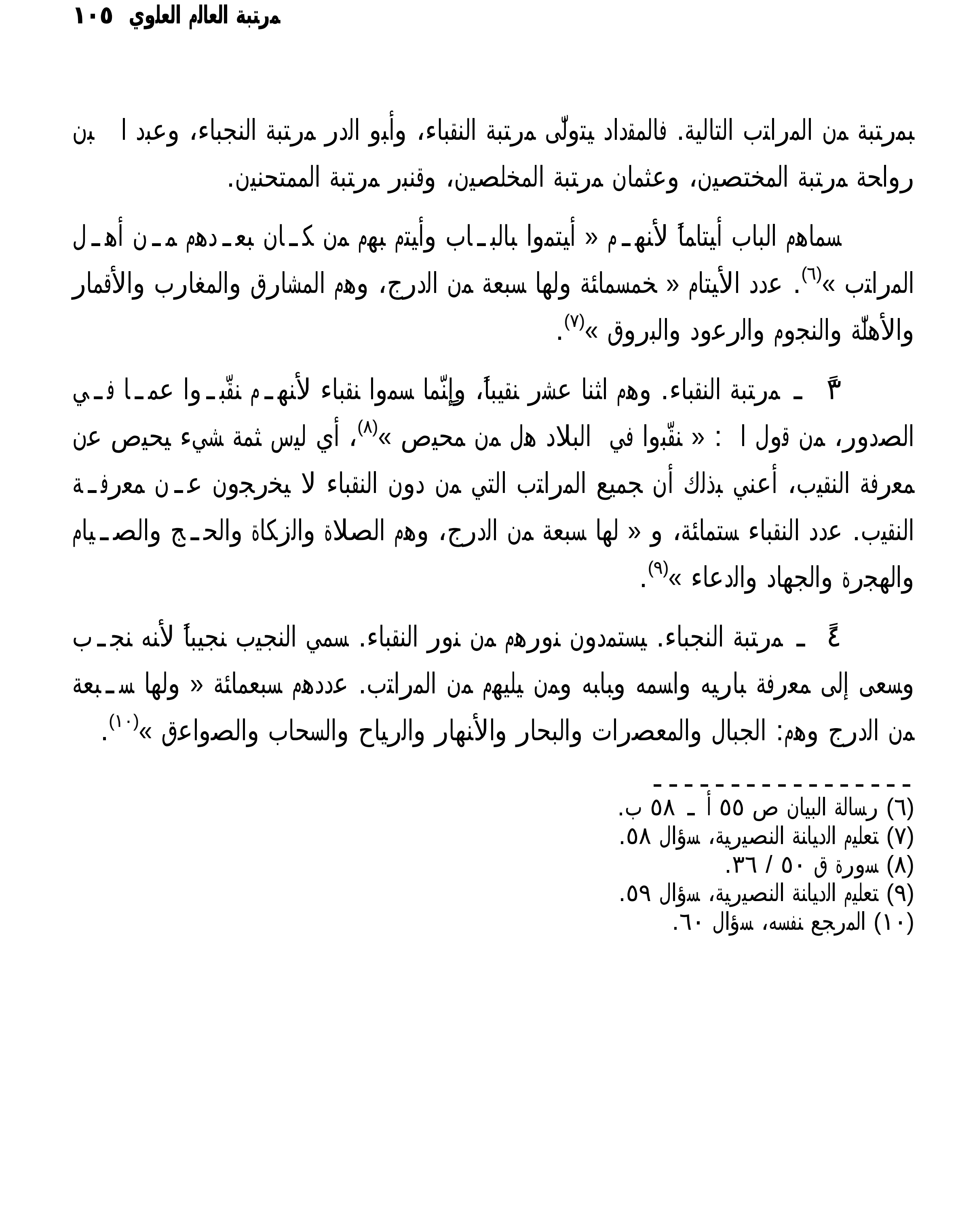
ومطلباً... فإنه إذا تكاملت به السبع العقاب[٢] فإنما وراءها ظهور مولاه، وعيانه إياه، وسماعه لخطابه، وبلوغه إرادته... فإنه إذا صار إلى ذلك العقبة السابعة وحصل فيها، فقد خرج عن التعبد[٣]، وصار حراً محرراً، أعلم ما علم، فاستغنى عن التعليم، وبصر فأبصر، فغني عن مبصر... »[٤].

«... فإذا صار إلى العقبة السابعة وحصل فيها ودخل المحل الأعلى... وصفا وتخلّص وعاد إلى جوهره فعند ذلك يظهر له الاسم وهو الحجاب فيعاينه ويشاهده ويشهد أفعاله ويطلعه على علم تكوينه... ويعرفه بتقلّبه من حال إلى حال... ويعلم حيث يحلّ مولاه وحجابه وبابه. فإذا أراد حضوره حضر، وإن أحب أقامه بمكان من الأماكن، وإن أنس إلى البشرية باشرهم ويؤنسهم بنفسه ويعرفهم ويشهد لهم... يجلس بين أقوام فيحادثهم ويكلّمهم بلسان من الألسن الجارية فيما بينهم، وينصرف عنهم فلا يروه ولا يعلمون به... »[٥] عدد الأبواب أربعمائة.

٣ ـ مرتبة الأيتام الخمسة. كان الأيتام في كل ظهور إلهي عبر التاريخ النصيري. وقد تجسدوا، في الظهور العلوي الأخير في أشخاص خمسة هم: المقداد الذي يستمد نوره من نور الباب، وأبو الدر يستمد نوره من المقداد، وعبد الله بن رواحة يستمد نوره من أبي الدر، وعثمان يستمد نوره من عبد الله بن رواحة، وقنبر يستمد نوره من نور عثمان. كل واحد من هؤلاء الأيتام الخمسة يتولّى مهمة معينة في الخليقة، ويهتم

---

(٢) العقاب جمع عقبة، وهي منزلة من منازل الصراط.
(٣) التعبد يعني العبودية ضد الحرية.
(٤) كتاب الصراط ص ٩٣ ب ـ ٩٦ أ.
(٥) المرجع نفسه ص ٩٨ أ و ب.



بمرتبة من المراتب التالية. فالمقداد يتولّى مرتبة النقباء، وأبو الدر مرتبة النجباء، وعبد ا بن رواحة مرتبة المختصين، وعثمان مرتبة المخلصين، وقنبر مرتبة الممتحنين.

سماهم الباب أيتاماً لأنهـم « أيتموا بالبـاب وأيتم بهم من كـان بعـدهم مـن أهـل المراتب »[٦]. عدد الأيتام « خمسمائة ولها سبعة من الدرج، وهم المشارق والمغارب والأقمار والأهلّة والنجوم والرعود والبروق »[٧].

٣ ـ مرتبة النقباء. وهم اثنا عشر نقيباً، وإنّما سموا نقباء لأنهـم نقّبـوا عمـا فـي الصدور، من قول ا : « نقّبوا في البلاد هل من محيص »[٨]، أي ليس ثمة شيء يحيص عن معرفة النقيب، أعني بذلك أن جميع المراتب التي من دون النقباء لا يخرجون عـن معرفـة النقيب. عدد النقباء ستمائة، و « لها سبعة من الدرج، وهم الصلاة والزكاة والحـج والصـيام والهجرة والجهاد والدعاء »[٩].

٤ ـ مرتبة النجباء. يستمدون نورهم من نور النقباء. سمي النجيب نجيباً لأنه نجـب وسعى إلى معرفة باريه واسمه وبابه ومن يليهم من المراتب. عددهم سبعمائة « ولها سـبعة من الدرج وهم: الجبال والمعصرات والبحار والأنهار والرياح والسحاب والصواعق »[١٠].

---

(٦) رسالة البيان ص ٥٥ أ ـ ٥٨ ب.
(٧) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٥٨.
(٨) سورة ق ٥٠ / ٣٦.
(٩) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٥٩.
(١٠) المرجع نفسه، سؤال ٦٠.

٥ ـ مرتبة المختصين. تستمد نورها من النجباء. سمي المختص مختصاً لأنه اختص ابتداء، أي أول من اختص بمعرفة الباري واسمه وبابه ومن يليه من أهل المراتب بعده. هـم « ثمان مائة ولها سبعة من الدرج، وهم: « الليل والنهار والغداء والعشاء والغدو والأصـيل والسيل »[11].

٦ ـ مرتبة المخلّصين، يستمدون نورهم من المختصين. سمي المخلّص مخلّصاً لأنه أخلص لباريه واسمه وبابه. هم « تسعمائة ولها سبعة من الدرج وهم: الأنعام والدواب والإبل والنحل والطير والصوامع والبيع »[12].

٧ ـ مرتبة الممتحنين. يستمدون نورهم من المخلصين. سمي الممتحن ممتحناً لأنـه كان سابع سبع مراتب، فامتحن فيها فثبت وحمل أمر الامتحان ولحق من تقدمه من المراتب. عددهم « ألف ومائة، ولها سبعة من الدرج وهم: البيوت والمساجد والنخل والأعناب والرمان والزيتون والتين »[13].

« فهـذه السبعة مراتب. وكل مرتبة لهـا سبع درجـات. الجملة تسـعة وأربعـون درجة »[14]. عدد المراتب جميعها: خمسة آلاف مرتبة في العالم النوراني العلوي.

----

(١١) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٦١.
(١٢) نفس المرجع، سؤال ٦٢.
(١٣) تعليم الديانة، سؤال ٦٣.
(١٤) نفس المرجع، سؤال ٦٣.

ثانياً: مراتب العالم البشري

أما العالم الصغير البشري الترابي الجنس فهو الأرض[١]. وهو يحتوي على سبع مراتب، هي:

١ ـ المقربون. سموا كذلك لأن الله قال فيهم: « والسابقون السابقون، أولئك المقربون »[٢]، ولأنّهم سبقوا جميع المراتب البشرية إلى معرفة باريهم واسمه وبابه ومن سبقهم من المراتب. عددهم أربعة عشر ألفاً[٣].

٢ ـ الكاروبون. سموا كذلك لأنهم رفع عنهم كرب البشرية لما عرفوا باريهم واسمه وبابه ومن سبقهم من المراتب. عددهم خمسة عشر ألفاً[٤].

٣ ـ الروحانيون. سموا كذلك لأنهم راحوا إلى النورانية لما عرفوا باريهم واسمه وبابه ومن سبقهم من المراتب. عددهم ستة عشر ألفاً[٥].

٤ ـ المقدسون. سموا كذلك لأنهم قدسوا بروح القدس. ولأنهم عرفوا باريهم واسمه وبابه من سبقهم من المراتب. عددهم سبعة عشر ألفاً[٦].

---

(١) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٥٥.
(٢) سورة الواقعة ٥٦ / ١٠.
(٣) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٦٥.
(٤) المرجع نفسه.
(٥) المرجع نفسه.
(٦) المرجع نفسه.

٥ ـ السائحون[٧]... عددهم ثمانية عشر ألفاً[٨].

٦ ـ المستمعون. سموا كذلك لأنهم سمعوا النداء فاستجابوا إليه لما عرفـوا بـاريهم واسمه وبابه ومن سبقهم من المراتب. عددهم تسعة عشر ألفاً[٩].

٧ ـ اللاحقون. سمى ا لاحقاً لأنه لحق بالمراتب المتقدمة قبله لما عـرف باريـه واسمه وبابه ومن سبقه من المراتب. عددهم عشرون ألفاً[١٠].

وبالجملة يكون عدد العالم البشري مائة وتسعة عشر ألفاً[١١]. نفس العدد تقرره رسالة البيان بقولها: « أما العالم العلوي والسفلي فمائة ألف وأربعة وعشرين ألف، منها خمسة آلاف العالم العلوي ومائة ألف العالم السفلي وتسعة عشر ألف العالم السفلي البشري »[١٢].

يبدو أن الفرق بين مراتب العالم العلوي ومراتب العالم السفلي هو إن الأولـى هـي مراتب روحية والثانية مراتب بشرية، والتدرج بين العالمين ممكن بحسب ما ورد في كتـاب الصراط، على ما نرى.

ـــــــــــــــــــ

(٧) ينقص في رسالة البيان التي عنها ننقل تعليل اسم السائحين.
(٨) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٦٥.
(٩) المرجع نفسه.
(١٠) المرجع نفسه.
(١١) المرجع نفسه.
(١٢) رسالة البيان، ص ٦٠ ب. لمجمل هذا الفصل انظر الرسالة نفسها، ص ٥٥ أ ـ ٥٨ ب، ومـا يليهـا أيضاً.

ثالثاً: التدرج في المراتب

« إن سبعة مراتب العالم الكبير النوراني كان لها غير أسماء في السماء قبل ظهورها على الأرض وقبل أن تُسمى عندنا هذه الآلات في الدنيا... »[١] فالنجباء مثلاً فـي النورانيـة كان اسمهم « الشرطين » وفي البشرية « أبو أيوب خالد ابن زيد الأنصاري »، وهكذا سائر النجباء[٢].

الانتقال من النورانية إلى البشرية، أو التدرج فيما بين المراتب العلوية والسفلية، يكون على الشكل التالي: يجيء العارف ويأخذ بيد الطالب، ويعده لسلوك عقبـة الممـتحن، « وإذا سمع الطالب المزيد يبلغه مولاه ويزلفه إلى العقبة الثانية وهي عقبة المخاص... فإذا حمل علم المخاص وقَبِلَه ولم يشك فيه يعده مولاه ويبلغه إلى مرتبة المختص... وإذا حمل علم المختص وما يلقيه إليه ويظهره عليه يرفعه مولاه إلى العقبة الرابعة النجيب... وإذا سمع علم النجيـب وحمله وصبر عليه ولم يجحده ولم يشك فيه، يجوز تلك العقبة ويعلو إلى ما فوقها من العقاب (العقبات) ويصير من أهل الصفا والتخاص ويعلو إلى سماع علم النقيب... وإذا حمـل علـم النقيب ولم يشك بجميع ما يورد عليه وما يظهر له وكان مسلّماً ويعلم أنه لا يدعوه إلى الباطل ولا يورده إلى الضلال يعلو درجة إلى سماع علم اليتيم... فإذا سمع علم

----

(١) تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٦٤.
(٢) المرجع نفسه، سؤال ٦٨.

اليتيم وقِبلَه وسارع إليه يظهر له مولاه من اليتيم الاختبار العظيم... ويبلوه به... فـإذا ثبـت عنده ذلك ولم يزلّ ولم يشك استوجب أن يبلغ بفضل مولاه عليه وإحسانه إليه أن يسمع مـن الباب علم مولاه صراحاً وكشفاً وعياناً ».

ثم يتدرج المؤمن ويترقّى في البشرية من مرتبة إلى مرتبة على الشكل الآتي: « مـن مرتبة اللاحق إلى المستمع إلى السائح إلى المقدس إلى الروحاني إلى الكروبي إلى المقـرب إلى الممتحن إلى المخاص الخ... حتى يصل إلى درجة اليتيم. فيعلّمه علمه ويتسبب به إلـى الباب. فيظهر له الباب فيعرفه بحقه ويعلمه ويؤدبه ويوجده معرفته ويتسبب به إلى الحجـاب، فيظهر له ويوجده معرفته، فعند ذلك يكون قد بلغ إلى درجة الصفا ».

والشاهد بذلك قـول ا تعالى: « فإذا بلغ الأجلين لا يتقدمون سـاعة ولا يتـأخّرون ساعة »[٣]، والأجلين: الباب والحجاب. فإذا بلغ المؤمن إلى الحجاب أوصله الحجـاب إلـى المعنى، فيظهر له المعنى ويمكّنه من النظر إليه بحسب ما يستحقّه. ولا يكون يغيب عنه ساعة واحدة. ويكشف له عن نظره حتى ينظر حسناته وسيئاته، فإذا نظرها وجد سيئاته قد تمحصت عنه، وحسناته توفّرت عليه، فيذكر في ذلك الوقت أخاً من أخوانه في دار الدنيا كـان يـوده ويصافيه، فيقول له: يا رب قد تفضلت ولخّصت وصفّيت وخلّصت عبـدك مـن دار الـدنيا وألحقته في عالم سمائك ووفّرت على عبد حسناته. وأنا أسألك أن تهبها لي أهبها لأخي فـلان في دار الدنيا ليصير بها مثلي، فيضحك مولاه منه ويقول: تكرمت علينا يا عبـدنا سنخلّصـه ونصفّيه ونخلّصه من دار الدنيا ونجعله مثلك ونرفعه ونوفّر عليه حسناته، فيصـفي ا عـز وجلّ ذلك العبد بسؤال أخيه »

----

(٣) لا وجود لهذه الآية في القرآن.

فيبقى على المؤمن أن يسأل باريه أن يكشف له عن نظره حتى يشاهد العالم العلـوي والسفلي والسموات والأرض حتى لا يغيب عنه منه شيء، ولا قليل ولا كثير، ويهب له نفسه ويحكّمه فيها حتى يصير المؤمن عند ذاك يرقى إلى السماء متى شاء ويهبط إلى الأرض متى شاء، ويشرق إلى الشرق ويغرب إلى الغرب متى شاء، ويرتفع عن مؤنة الأكـل والشـرب والاهتمام بشيء من الأشياء، ويصير كوكباً درياً معرى من جميع ما في البشرية، ويصير له المشيئة في نفسه.

والشاهد بذلك قول الله تعالى: « وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنـا الأرض نتبوأ من الجنّة حيث نشاء. فنعم أجر العاملين »(٤). فبين إذاً لهم المشيئة في نفوسـهم لا فـي غيرها »(٥).

وفي كتاب الهفت أيضاً وصف لترقّي المؤمن من مرتبة إلى مرتبة وتعيين للحد الذي ينتهي إليه. يقول: حد انتهاء المؤمن... إذا ارتقى المؤمن في درجة الأبواب حتـى يصـيروا ملائكة، ويرفع عنهم الأكل والشرب والاهتمام بتلك الأشياء ويرتقون إلى السماء وينزلون إلى الأرض على أي صورة شاء.

وإن في الأرض عدداً كثيراً تخاطبونهم ويخاطبونكم ولا تعرفونهم، وقد رفع الله عنهم القيود والأغلال التي كانت عليهم، وكفاهم مؤنة الأكل والشرب، وهم يسعون في الأرض على صورة بني آدم لا يهتمون ولا يغتمون، وإنهم يحضرون في مجالس الذكر، ويكلمون النـاس ولا ينكرونهم. فإذا شاؤوا أن يصعدوا إلى السماء صعدوا، أو يبقوا في الأرض فلهم ما

----

(٤) سورة الزمر ٣٩ / ٧٤.

(٥) رسالة البيان، ص ٥٨ ب ـ ٦٠ ب.

يشاؤون. وإن الرجل منهم ليرى اليوم في المشرق ويرى كذلك في المغرب. قد أعطاه ا من القدرة كل هذه المعاجز.

فعلى هذا يرتقي المؤمنون درجة درجة، وفضيلة فضيلة، حتى يصيروا في السماء ملائكة وينزلوا إلى الأرض ويرجعوا إلى السماء...

فإن المؤمن إذا بلغ الدرجات في العلم والعمل، انتهى وصفا وخاص، وارتفع من الأكل والشرب والاهتمام والآفات من الطبائع، وصار ملَكاً من الملائكة. كلّما أحب أن يرفع إلى السماء عرج، وكلّما أحب أن ينزل إلى الأرض نزل.

ويقول المترقّي في الدرجات: « نعم أنا، لا تعجب من تنقّلي من صورة إلى صورة، فإنني مؤمن مثلك، لكنّني قد بلغت وانتهيت »[٦].

يبدو من هذه النصوص أن المؤمن يستطيع الترقّي من آخر درجة في البشرية إلى أعلاها في النورانية. يبقى أنه لا يستطيع الحصول إلى رتبة المعنى نفسه، بل يستطيع أن يتأمل في المعنى وطلب أي شيء منه مهما كان أمره صعباً مستصعباً. ويقال له عند ذلك إنه أصبح مشيئة في نفسه، أي إنّه يحصل ما يريد ويسأل ما يريد.

وعندما يصل إلى رؤية نفسه كمشيئة تكون عندئذ المشاهدة الإلهية. وهذا الترقّي يعتمد على تأويل آية قرآنية تقول: « وليرتقوا في الأسباب أسباب السموات والأرض »[٧].

---

(٦) كتاب الهفت والأظلّة، ص ٦١ ـ ٦٥.
(٧) سورة ص ٣٨ / ١٠، وسورة غافر ٤٠ / ٣٦ ـ ٣٧.

الفصل السادس

النصيرية والباطنية

أولاً : الباطنية بوجه العموم

ثانياً : علم الباطن وعلم الظاهر

ثالثاً : التقية

أولاً: الباطنية بوجه العموم

الباطنية، بمفهومها العام، حركة فكرية إسلامية تميز في القرآن بين علمين: علم الظاهر وعلم الباطن، أي علم التنزيل وعلم التأويل، وتأخذ بالثاني دون الأول، إذْ تعتبر علم التنزيل والظاهر لعامة الناس، وعلم التأويل والباطن للخاصة منهم. وهي من الخاصة، أو تعتبر نفسها كذلك.

والذين يعتبرون أنفسهم من أهل الباطن هم الشيعة عامة، ولهذا يعتمدون اعتماداً كلياً على علم تأويل القرآن وتفسيره والاجتهاد في استخلاص معانيه. وهذا العلم، عندهم، منوط بالإمام، الذي أعطي له، بعلم خاص وبوحي إلهي، مهمة تفسير آيات القرآن. فإذا كانت مهمة النبي تنزيل الشريعة، فمهمة الإمام أن يكون عليها وصياً ولها مفسراً.

ويبدو أن القرآن نفسه أوجب هذين العلمين، لأن فيه آيات محكمات يدرك معانيها عامة الناس وآيات متشابهات لا يدركها إلاّ العلماء. جاء فيه: « هو الذي أنزل عليك الكتاب، منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات. فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلاّ ا والراسخون في العلم... »[1].

----
(١) سورة آل عمران ٣ / ٧.

والباطنية هم الذين يدركون « الآيات المتشابهات » التي هي من خصائص الأئمة وأبناء الأئمة وأحفادهم. وهؤلاء أعطوا مهمتهم للعلماء من شيعتهم. وجرى، في تاريخ المسلمين، خلافات مستحكمة حول هذه المتشابهات. والذين يأخذون بها على ظاهرها لا يخلون من الكفر العظيم. أما الذين يدركون باطنها فهم « الخاصة » أصحاب التوحيد.

هذا الخلاف أدى إلى محن كادت تقضي على الإسلام نفسه. وليس شر من محنة تعمل في الداخل. فالمعتزلة، حفظاً لعدل ا ووحدانيته، أخذت بتأويل كل « المتشابهات »؛ وأهل السلف، حفظاً لحرفية الوحي والتنزيل، أخذت بجميع الآيات القرآنية على ظواهرها؛ والأشعرية، حفظاً لوحدة الصفّ، عرجت بين الباطن والظاهر. وكل فرقة كان لها رأيها.

وانحصرت الاختلافات والفرق الكثيرة، اليوم، بين طائفتين: السنّة والشيعة. السنّة تعتمد على ظاهر القرآن وسنّة الرسول والأحاديث النبوية، والشيعة تتخطّى الظاهر إلى الباطن، أو ترى في القرآن معنى حقيقياً يتجاوز المعنى المجازي. ومع هذا، وبعد غياب الإمام الثاني عشر، بقيت الشيعة معتدلة في فهم القرآن وتأويله. وهي مسلمة في كل حال.

بيد أن بعضاً من الشيعة راح بعيداً جداً في التأويل، ورأى في آيات القرآن ما لم يخطر ببال. لكأن القرآن أصبح قرآنين: قرآن لعامة الناس، وقرآن لخاصتهم. وأصحاب « الخاصة »، في التاريخ، هم: الإسماعيلية، على اختلاف فرقها، والنصيرية، والدرزية. وأعدلهم الإسماعيلية، وأكثرهم تطرفاً النصيرية، أما مع الدرزية فانقلاب كل شيء رأساً على عقب. لا بأس، فمتانة العقيدة رهن بنزع الشوائب عنها.

من يمارس مهنة التأويل لا يعجزه أن يجد في القرآن ضالّته. فهو يجد فيه مثلاً كاملاً على ألوهية علي بن أبي طالب في « سورة يس بقوله: أوليس الذي خلق السـموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم؟ »[٢]، فلفظة على تقرأونها عِلي، بالياء، لكي تنتجوا منها أن عليـاً قادر على أن يخلق مثلهم »[٣]. ويجد أيضاً عقيدته في التناسخ في قوله: « منكم مـن يتـوفّى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر »[٤]. وغير ذلك من تأويل يبعد كل البعد عن مفهوم أهل السنّة والسلف.

هذا التأويل الباطني المتطرف دفع بأهل القرآن لحمايته دفاعاً مستميتاً. فهو كلام ا . ويستحقّ الاستماتة في حمايته والدفاع عنه. ودفَع بالمقابل القائلين به لحمايـة أنفسـهم مـن الاضطهادات والقهر المرير. اشتد القهر على الباطنيين واشتدت عصبية المقهـورين، فـراح هؤلاء يتبطّنون ويتستّرون ويكتمون تعاليمهم ويتعاملون بالرموز ويتفاهمون بالألغاز فنشـأت من جراء ذلك فرق باطنية وعلوم باطنية وحركات باطنية، تارة تعلن عن نفسها وطوراً تختفي حتى امتلأت أرض الإسلام من مذاهبهم.

فكان منهم السبائية والكاملية والعلبائية والمغيرية والمنصورية والخطابيـة والكياليـة والهشامية والنعمانية والنصيرية والاسحاقية[٥]. وزد عليهم الحربيـة والجناحيـة والغرابيـة والذمية والشريعية والنميرية والبيانية والرزامية والمقنعية والحلمانية والحلاجيـة والعـذافرة والسمنية[٦] وغيرهم مما يضيق بنا ذكر جميعهم... لكن بعضاً من هؤلاء اشتد عليهم القهر

- - - - - - - - - - - - - - - - -
(٢) سورة يس ٣٦ / ٨١.
(٣) الباكورة السليمانية، ص ١١١ ـ ١١٢.
(٤) سورة الحج ٢٢ / ٥، انظر كتاب الهفت ص ٥٧.
(٥) الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ١٧٣ ـ ١٩٨.
(٦) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٣٠ ـ ٣٠٧.

فزالوا، وآخرين مارسوا « التقية » فقاوموا هجمات القاهرين. ومن الذين قاوموا واستمروا: الإسماعيلية والنصيرية والدرزية (؟) واليزيدية وعامة الإمامية الاثنيعشرية.

و « الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة: منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق، وكان من الأهواز. ومنهم: محمد بن الحسين الملقّب بدندان، اجتمعوا كلّهم... في سجن والي العراق، فأسسوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية، ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن... فدخل في دينه جماعة من أكراد الجبل... ثم رحل ميمون بن ديصان إلى ناحية المغرب... وادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل... وأولاده اليوم مستولون على أعمال مصر »(٧).

وهكذا استمر الباطنيون واستمر عملهم، وانشقّوا عن المسلمين وانشقّوا عن بعضهم بعضاً، فكان خطرهم على المسلمين وعلى بعضهم بعضاً جسيماً جداً، حتى قال عنهم البغدادي: « إن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان... وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر »(٨).

لئن خرجت النصيرية، في تاريخ الإسلام، من الباطنية، واقتصر بهذه التسمية الاسماعيلية دون سواها، فإن ذلك لا يمنعها من أن تعمد كغيرها إلى تأويل القرآن والأخذ بباطن الآيات دون ظاهرها. لقد أعتبرت، بسبب خروجها من الإسلام، ديناً مستقلا، ذات عقائد وتعاليم خاصة.

---

(٧) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٨٢، انظر ص ٩ من هذا البحث.
(٨) المرجع نفسه، ص ٢٨٢.

ثانياً: علم الباطن وعلم الظاهر

يعتمد النصيريون في القول بالباطن والظاهر على القرآن الذي يجيزهما معـاً. فهـو يقول: « ومن كل شيء خلقنا زوجين اثنين »[١]، أي إن ا خلق من كل شيء ذكراً وأنثـى، وخلق من العلوم ظاهراً وباطناً. ويقول: « وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة »[٢]، أي عند ا نعم باطنة يعطيها للمؤمنين به ونعمة ظاهرة يخص بها عامة الناس. ويقول: « وضرب بينهم بسور، له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب »[٣]. في هذا القول تفضيل واضح للباطن على الظاهر، أي إن في الظاهر ومن يأخذ بالظاهر يصيبه العذاب، وإن فـي البـاطن ومن يأخذ الباطن يجد عند ا رحمةً. فمن لا يكمل علم الظاهر بعلم الباطن يبقى دون رحمة ا ، أي دون معرفته حقّ المعرفة[٤].

----

(١) سورة الذاريات ٥١ / ٤٩.
(٢) سورة لقمان ٣١ / ٢٠.
(٣) سورة الحديد ٥٧ / ١٣.
(٤) كثيراً ما يستشهد الدروز بهذه الآية ليستدلّوا منها على ثلاثة مذاهب أو ثلاثة علوم. مذهب أهل التنزيـل (السنّة) وعلمهم الظاهر، ومذهب أهل التأويل (الشيعة) وعلمهم الباطن، ومذهب أهل التوحيد (الـدروز) وعلمهم التوحيد. يقول الدروز في تفسير هذه الآية: « باطنه فيه الرحمة »، فدلّ بـأن الرحمـة غيـر الباطن... الناطق (محمد) صاحب الظاهر، والأساس (علي) صاحب الباطن، والقائم (حمـزة) صـاحب الرحمة » (رسالة الشمعة رقم ٣٨ من رسائل الحكمة، ص ٢٧٩). وفي مكان

فالباطن والظاهر إذن هما شرطان أساسيان في الدين. وبالنسبة إليهما يتوزع المؤمنون بين خاصة وعامة، أو بين عقّال وجهال. الخاصة منهم هم أهل الباطن، والعامة هم الواقفون على الظاهر. وشروط أهل الباطن العرفان والتفرغ لعبادة اللاهوت في حقيقته، وشروط أهل الظاهر القيام بما توجبه الشريعة والممارسات الخارجية. وليس على هؤلاء أن يطمعوا بما لأولئك من علم وعبادة.

وقد يصعب على أهل الظاهر أن يصبحوا من أهل الباطن. فعند الإسماعيلية مثلاً يقتضي عبور تسع مراتب[5] أو سبع دعوات يندرج الإنسان فيها حتى ينحلّ عن الأديان كلّها ويصير معطّلاً إباحياً لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً ويرى أنه وأهل نحلته على هدى وجميع من خالفهم أهل ضلالة »[6]؛ وعند الدروز لن يتسلّم الدين إلا من بلغ من الجهال عمر الأربعين ومارس على نفسه القهر والعزلة والتقشّفات؛ وفي النصيرية يسلّم الدين لمن بلغ سن الرشد، أي الخامسة عشرة أو الثامنة عشرة من عمره[7].

آخر من رسائل الحكمة يقول الدروز في تفسير هذه الآية: « فدلّ بأن الظاهر من قبله العذاب، وأنه وصاحبه (محمد) عذاب، والباطن فيه الرحمة. ولم يقلْ هو الرحمة... فدل بأن الباطن يدل على الرحمة، وهو القسم الثالث في الدين » (كتاب فيه تقسيم العلوم رقم ٣٦ من رسائل الحكمة، ص ٢٦١).

(٥) انظر البغدادي الذي يعدها كما يلي: التفرس، والتأنيس، والتشكيك، والتعليق، والربط، والتدليس، والتأسيس، والمواثيق بالإيمان والعهود، وآخرها الخلع والسلخ » (الفرق بين الفرق، ص ٢٩٨).

(٦) المقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار...

(٧) انظر في هذا البحث الفصل الخاص بـ« تسليم الدين » ص ٨٥ ـ ٩٦.

أما مفهوم الباطن والظاهر، عند النصيرية، فكما جاء في كتـاب تعليم الديانة. سؤال: « ما هو الباطن وما هو الظاهر؟ جواب: أعلم أن لفظة الباطن تدلّ علـى لاهـوت مولانـا، والظاهر يدل على إنسانيته. ففي الظاهر نقول: مولانا علي بن أبي طالب؛ ومعناه في الباطن: المعنى والاسم والباب، وهو ا الرحمن الرحيم »[٨].

الظاهر إذن هو القول بأن علياً هو إمام المؤمنين، وأميرهم، ولد مـن أبـي طالـب، وتزوج فاطمة بنت النبي، وله منها ثلاثة بنون: الحسن والحسين والمحسن... والبـاطن هـو القول بأن علياً هو ا ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له زوج أو صاحبة، ولا ضد ولا ند. وهذان الموقفان من علي يقول بهما كتاب المجموع: « ظاهرك إمامي ووصـية، وباطنـك معنـوي ولاهـوت »[٩]. ويحسب قـول الصادق: « من عرف هـذا الباطن فقد سـقط عنـه عمـل الظاهر »[١٠]، أي من عرف علياً إلهاً معبوداً، لم يعد بحاجة إلى معرفته إنساناً مخلوقاً. بل من توصل إلى معرفة اللاهوت كفاه ذلك من كل قول أو عمل في الظاهر.

فالعقيدة الأساسية عند النصيريين إذن هي أن تقول مع عامة المسلمين: « ا الرحمن الرحيم » وتفهم بها: « المعنى والاسم والباب ». فا هو المعنى، والـرحمن هـو الاسـم، والرحيم هو الباب. وهكذا يتم الاعتقاد بـ عمس، الثالوث النصيري.

----
(٨) كتاب تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٩٨.
(٩) السورة السادسة واسمها السجود من كتاب المجموع.
(١٠) كتاب الهفت والأظلة، ص ٥٩.

« وعن محمد بن سنان عن الصادق وقـد سأله عن حروف « لا إله إلاّ ا »، قال: « أنحلها المعنى لاسمه، وأنحلها الاسم لسلمان. وأنّه (أي سلمان) أول من قالها عند نظره إلى مولاه (علي) بالصورة الذاتية الانزعية... لما أراد مولانا إظهار قدرته عقد ذاتيتّه وأقام سلمان مثل ما أقام اسمه. وقال: يا سلمان تعرفني؟ وقد ظهر له بالصورة الهاشمية العلوية. قال: نعم، أنت ا ، لا إله إلاّ أنت، الأزل القديم، ربي ورب الخلائق أجمعين. ثم ظهر بصورة الحسـن وسائر الصور الإمامية، فكان كلّما ظهر المولى لسلمان يقول: يا سلمان تعرفني؟ يقول: نعم يا مولاي، أنت أنت يا مولاي، لا إله إلاّ أنت الأزل. ويسجد عند كل ظهور سجدة حتـى سـجد اثنتي عشرة سجدة. وكان كلّما سجد سجدة أنحله حرفاً، فتمت اثنا عشر حرف لاثنـي عشـر سجدة، وهي حروف: لا إله إلاّ ا (١٢ حرفاً) وهي واقعة على علـي محمـد سـلمان (١٢ حرفاً) و أمير المؤمنين (١٢ حرفاً). ولا إله إلا ا فهو المعنى... فمن عرف: لا إلـه إلا ا بهذه المعرفة ظاهراً وباطناً فهو من أصحاب أمير المؤمنين »[١١].

بهذا يكون القول بالظاهر، أي الأخذ بالقرآن، ضـرورياً للإيمـان بالبـاطن. أي إن الاعتقاد بإمامة علي ضروري للاعتقاد بألوهيته. فالواحد يكمل الآخر. ومن وجد خلافاً فهـو يتّبع هواه. والقول بهما معاً يحتّم الأخذ بمبدأ « التقية »، وهي العقيدة الأخرى الناجمـة عـن الباطنية. قال الصادق: « وجدنا الباطن ممازجاً ملائماً للظاهر، لا اختلاف بينهما إلاّ باتّبـاع الهوى والميل إلى الرأي والقياس »[١٢].

---

(١١) كتاب المناظرة، ص ١٣٠ أ ب.
(١٢) كتاب الهفت والاظلة، ص ٢٩.

ثالثاً: التقيـة

« وفي لبنان (قضاء عكّار) يوجد ألوف العلويين، ولكنّهم قيدوا أنفسهم فـي إحصـاء النفوس: سنّيين، وذلك بناء على نصيحة بعض رؤساء العلويين (في محافظة اللاذقية) لهم، كما كان ذكر لي ذلك هذا الرئيس بوقته »[١].

وجاء في كلام الشيعة عامة بأن « التقية » شرط واجب في الدين، قال بهـا القـرآن وجوزها. قال الحسن الأمين: « التقية نطق بها القرآن الكريم، وجوزها الشارع الحكـيم فـي أفظع وأعظم شيء يتصور في موالاة الكفار وإظهار كلمة الكفر ومدح الأصنام وسب الرسول الأعظم... وعيب التقية ليس على الشيعة الذين حفظوا بها دماءهم وأموالهم وأعراضهم، بـل عارها وشنارها ووبالها على من اضطر الشيعة إليها »[٢].

واعتمد الشيعة في جواز التقية على آيات من القرآن، فقال الحسن الأمين: « التقية... عبارة عن إظهار خلاف المعتقد، بقول أو عمل، عند الخوف على النفس أو العرض أو المال. وهذا مما قضى به العقل، وحكم بجوازه الشرع، حتى جوز إظهار الكفر، بقوله تعـالى: « إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان »[٣]، « إلا أن تتقوا منهم تقاة »[٤]، و « قال رجل مؤمن

----

(١) منير الشريف، المسلمون العلويون، من هم وأين هم؟ ص ١٢٣.
(٢) الحسن الأمين، الشيعة بين الحقائق والأوهام، ص ١٨٥.

من آل فرعون يكتم إيمانه »[٥]، « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة »[٦].

وسبب التقية كثرة الاضطهادات التي لحقت بالشيعة، قال الأمـين: « وإنّمـا اشـتهر الشيعة بالتقية دون غيرهم لكثرة ما جرى عليهم من الظلم والاضـطهاد وحصـل لهـم مـن الخوف، فكثر عندهم استعمال التقية، واشتهروا بها دون غيرهم »[٧].

وقد يكون الإنسان مضطراً إلى التقية والقـول بهـا يجوزهـا العقـل أيضـاً: « إن الاضطرار يبيح المحرمات بضرورة شرع الإسلام، فيحلّ للمضطر أكل الميتة لحفظ حياتـه، ويحلّ لمس بدن الأجنبية لانقاذها من الغرق، ويسوغ الكذب ـ وهو من الكبائر ـ لمصلحة لا تبلغ الاضطرار، كالإصلاح بين الناس. ويجب (الكذب) لحفظ نفس محترمة، إلى غير ذلك مما لا يحصى.

« وليست التقية إلاّ نوعا من الضرورات لحفظ الدم والمال والعرض. ومن العجب أن خصومنا (السنّيين) يتّقون إذا ابتلوا بما دون الخوف على النفس، ويشنّعون علينا إذا اتّقينا عند الخوف على أنفسنا »[٨].

هذا عند الشيعة عامة. أما عند النصيريين فربما يكون الأخذ بالتقية أشـد وأخطـر. فهؤلاء يعتبرون افشاء الحقيقة « سم قاتل »، وهتك حرمة سرهم يؤدي بهم إلى المسـوخية. ومن لا يتّقي سره وحقيقته يكن بريئاً من ا   والدين.

----

(٣) سورة النحل ١٦ / ١٠٦.
(٤) سورة آل عمران ٣ / ٢٨.
(٥) سورة غافر ٤٠ / ٢٨.
(٦) سورة البقرة ٢ / ١٩٥. الحسن الأمين، ص ١١ ـ ١٢.
(٧) الحسن الأمين، ص ١٨٥.
(٨) الحسن الأمين، ص ١٨٩.

جاء في كتاب تعليم الديانة النصيرية عن ضرورة التقية ما يلي:

سؤال: ما هو سر إيمان الموحدين الذي هو سر الأسرار وعقيدة الأبرار؟

جواب: هو سر التنتين وهو معرفة ا بالحقيقة، وهو سر كريم وخطاب عظيم وعلـم جليـل وخطر ثقيل، فلا تحمله الجبال لعظم محلّه وشرفه، وهو الترياق الشافي لمن حفظه أو دان به واتّقاه، والسم القاتل لمن إلى غير أهله كشفه وفشاه، وهو سر احتجاب مولانا في النور، أعني عين الشمس وظهوره في عبده عبد النور[٩].

سؤال: ماذا يحلّ بالذي يعرفه ويداخله به شك أو ريب؟

جواب: يكون من المبدرين الذين هم الكافرون أخوان الشياطين ويستحق المسوخية والسـلوك في القمصان الردية الدنية، ويذيقه ا حر الحديد وبرده.

سؤال: ما هم الشروط الواجب على المؤمن حفظهم عند قبوله سر الأسرار؟

جواب: الأمر الأول الواجب عليه هو أن يفرغ جهده بمحافظة أخوانه ومراعاتهم ومـداراتهم والمواظبة على تفقدهم وبرهم وصلاتهم. وجميع ما يرضاه لنفسه يرضاه لهم، ويجعل خمس ماله حلالاً مطلقاً لهم في كل عام ويقيم الصلاة في أوقاتها، ويؤدي الزكاة إلـى أهلها ويواظب على عمل المفترضات ويسارع في إقامة الحقوق والواجبات، ويكـون لسيده مجيباً داعياً شاكراً ذاكراً أميناً في جميع ما تقدر عليه ويرضاه ويتجنّب كل ما يكرهه له من البواطل.

سؤال: ما هو الأمر الثاني الواجب امتناع المؤمن عنه عند قبوله سر الأسرار؟

جواب: اعلم إن من الواجب عليه التحرص عن مظالم أخوانه، ولا يتعدى

----

(٩) عبد النور هو الخمرة التي بها يظهر علي ويتجسد للنصيريين...

على أحد منهم ويتجنّب خطأهم ولا يخالف رضاهم ويحذر اساءتهم.

سؤال: هل يمكن للمؤمن أن يبدي لأحد بسر الأسرار؟

جواب: إنه لا يمكنه أن يبدي به لأحد من الناس سوى لأخ من أخوانه، وإن فعل غيـر ذلـك يكون بريأ من ا وكتبه ورسله »[١٠].

في جميع كتب النصيرية تحذير من إعلان سرهم، وحثّ للأخذ بالتقية ولكل واحد من النصيريين هذه الوصية: « لا تكاشف به أهل الضلال. وكن لهم حرزاً. ولا تكتم أخوانك مـا تعلمه، ولا تضن عليهم ما تفهمه »[١١]... وأيضاً: «أوصي نفسي بكتمـان سـر ا تعـالى، وباطن مكنونه. فهو لب الألباب إلاّ من أخوانك الموحدين المقربين بمعرفة العلي الأعلى»[١٢]. وقال الصادق: « يرحمك ا . اكتم سر ما أودعتك من مكنون سـر ا وحـده »[١٣]. وقـال أيضاً: « استر ما كشفناه إليك من علم ا الذي ستره من ملائكته. يرحمك ا »[١٤].

وأقوال الصادق في التقية كثيرة، نود كتابتها لأهمية هذه العقيـدة عنـد النصـيريين، وليتأكّد القارئ منها حتى يتجنّب خطر ما تخفيه. قال الصادق: « التقية دين ا ، والتحصـين سيفه، ولولاهما ما عبد ا ». وقال: « ما عبد ا بأحسن من التقية ». وقال: « مثل

----

(١٠) كتاب تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٨٢ ـ ٨٥.
(١١) رسالة التوحيد، ص ٤٨ ب.
(١٢) كتاب الهفت والأظلة، ص ٦٥.
(١٣) نفس المرجع، ص ١٧٢.
(١٤) نفس المرجع، ص ١٧٥.

طالب الآخرة كمثل أهل الكهف ستروا الإيمان وأظهروا الكفر فآتاهم ا أجرهم مـرتين...، وقال: «... التقية واجبة على كل مؤمن، كما جاء بالقرآن الكريم: « أن يصبروا ويتّقوا فـإن ذلك من عزم الأمور »[١٥]، وجاء أيضاً: « اصبروا وصابروا ورابطـوا واتّقـوا ا لعلّكـم تفلحون »[١٦]. وقال: « حصن المؤمن التقية، وسيفه التخلّص من وسواس الـنفس ». وقـال أيضاً: « من لم يستر سرنا فإنّه لم يحفظ الأمانة ». وقال: « المؤمن لا يرفع إلى المقام الأعلى إلاّ بأربع خصال: الأمانة والأدب والصدق والتقية »[١٧].

فالتقية، إذن، بمفهوم النصيريين، هي: دين ا ، وحصن المؤمن، وضـمانة الآخـرة. وهي أيضاً واجبة على المؤمن، لأنّها تحمي سر العقيدة، وتكتمه عن مدارك العامة، وتؤديـه كأمانة إلى أصحابه، كما جاء في القرآن: « إن ا يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها »[١٨]. فكل شيء، في النصيرية، مغمور بالسر، على ما جاء في أقوال الصادق: « قضيتنا سر فـي سر، سر أمر دائم الستر، سر لا يكشف عنه إلاّ سر آخر، إنه سر على سر، يكتفي بسـر ». وكما قال علي زين العابدين الإمام الرابع شعراً:

« إنّي لأكتـم من علمي جواهـره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتـننا ».

وأوجب ما في التقية، لا سترها وكتمانها فحسب، بل التمويه في الحقيقة والتدليس على الناس. وقد يكون ذلك أخطر من إخفائها. أن تقول غير الحقيقة أمر أكثر جسامة من أن تسكت عنها. والنصيريون بارعون

----
(١٥) سورة آل عمران ٣ / ١٨٦.
(١٦) سورة آل عمران ٣ / ٢٠٠.
(١٧) كتاب « الحكم الجعفرية للإمام الصادق جعفر بن محمد »، جمع وتحقيـق عـارف تـامر، المطبعـة الكاثوليكية، بيروت سنة ١٩٥٧.
(١٨) سورة النساء ٤ / ٥٨.

بذلك. وبراعتهم هذه أوقفت عنهم القهر والاضطهادات عبر تاريخهم الطويل مع جميع أعدائهم الدينيين والسياسيين.

هذه التقية، بحسبهم، أمر بها ا منذ البدء. منذ البدء، وقبل خلق العالمين، « قـال ا لمحمد: انزل إليهم (إلى المؤمنين) ثم حذّرهم من إبليس وذريتـه، فـإنّهم أضـمروا عـداوة للمؤمنين. وتقدم إلى المؤمنين بأن لا يخبروا إبليس بخلقهم، ولا من أي شيء خلقوا. وأمـرهم في الكتمان ».

ويعلّق الصادق على هذه القصة بقوله: « فمن هنا أمرتم بالكتمـان. وهـو امتحـان الطاعة والمعصية، لأن التقية ديني ودين آبائي وأجدادي. ومن لا تقية له لا إيمان لـه »[١٩]. وقال أيضاً: « فدخل الكتمان في الميثاق الذي أخذه (ا) على الأنبياء والأوصـياء... فقـال: استروا ذلك واكتموه لما علم ما في قلوب الأعدء »[٢٠].

ويعتبر النصيريون أن الجهاد الذي أمر به الإسلام هو « إخفاء مذهبهم عن غيـرهم، ولا يظهرونه ولو أصبحوا في أعظم الخطر، ولو خطر الموت »[٢١].

ثم إن العمل بالتقية يؤدي إلى « التظاهر بمذاهب جميع الطوائف. فإذا لقوا المسـلمين يحلفون لهم ويقولون نحن مثلكم نصوم ونصلّي. فالصوم يوجهونه على الرضاعة. وإذا دخلوا المسجد مع المسلمين فلا يتلون من الصلاة شيئاً، بل يخفضون ويرفعون مثلهم، ويشتمون أبـا بكر

----
(١٩) كتاب الهفت والأظلّة، ص ٤٥، ٤٦.
(٢٠) نفس المرجع، ص ٥٢ ـ ٥٣.
(٢١) الباكورة السليمانية، ص ٢٥.

وعمر وعثمان وغيرهم، ويسمون التظاهر في الطوائف بمثل وهو قولهم: إنّنا نحن الجسد وباقي الطوائف هم لباس، فأي نوع يلبس الإنسان لا يضره، ومن لا يتظاهر هكذا فهو مجنون، لأنه ليس عاقل يمشي عرياناً في السوق... متى باح (النصيري) بصلاته فقد خرج من مذهبه، لأنه، هكذا يقول سيدهم الخصيبي: من باح بشهادتنا فحرمت عليه جنّتنا »[٢٢].

هذه التقية أمر بها الدروز بشدة. قال حمزة: « صونوا الحكمة من غير أهلها، ولا تمنعوها لمستحقّها. فإن من منع الحكمة عن أهلها فقد دنّس أمانته ودينه. ومن سلّمها إلى غير أهلها فقد تغير في اتّباع الحقّ يقينه. فعليكم بحفظها وصيانتها من غير أهلها، والاستتار بالمألوف عند أهله. ولا تنكشفوا عند من غلبت عليه شقوته وجهله. فأنتم ترونهم من حيث لا يرونكم. وأنتم بما في أيديهم عارفون، وعلى ما ألّفوه من زخرف قولهم مطّلعون. وهم عما في أيديكم غافلون، وعما اقتبستموه من نور الحكمة محجوبون. لقد أُخرسوا ونَطَقتم، وأُبكِموا وسمِعتم وعموا وأَبصرتم، وجهلوا وعرفتم... فاحمدوا المولى... »[٢٣].

وسبب التشديد على التقية، عند النصيريين كما عند الدروز، هو، بلا شك، حدة الصراع الذي كان بينهم وبين المسلمين. ولم يكن تمظهرهم بجميع الطوائف والأديان إلاّ للنجاة بنفوسهم من القهر الطويل. ولهذا السبب بقيت في تقاليدهم وطقوسهم وأعيادهم بقايا من جميع الطوائف والملل.

---

(٢٢) الباكورة السليمانية، ص ٨٢. يرد تشبيه « العاقل الذي يمشي عرياناً في السوق... » في رسالة الرد على النصيري الفاسق رقم ١٥ من رسائل الحكمة، ص ١٦٨، مما يدلّ على صحة معرفة حمزة بالنصيرية.

(٢٣) رسالة التحذير والتنبيه، رقم ٣٣ من رسائل الحكمة، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

بقي علينا أن نعرف كيف يعرف النصيريون بعضهم بعضاً، إذا ما مارسوا هذه التقية بدقّة وحزم! ينقل إلينا سليمان الأذني « العلامة التي بها يعرف بعضهم بعضاً. فهي:

إن أتى غريب إلى بين النصيرية يسألهم ويقول: لي قريب، فهل تعرفونه؟ فيجيبون: ما اسمه؟ فيقول لهم: اسمه الحسين. فيجيبوه: ابن حمدان. فيقول: الخصيبي.

والعلامة الثانية، يقولون للغريب: شاش عمك كم دور؟ فإن أجاب ستة عشر يقبلوه.

العلامة الثالثة، إن عطش عمك من أين تسقيه؟ الجواب: من عين العلوية.

العلامة الرابعة، إن غاط عمك فماذا تهديه؟ الجواب: لحية معاوية.

والعلامة الخامسة، إن ضاع عمك فأين تلاقيه؟ الجواب: بالنسبة.

العلامة السادسة، أربعة وأربعتين وثلاثة واثنين وقدرهم مـرتين فـي دينـك أيـن؟ الجواب: بالمسافرة.

سؤال: أقسم لي إياهم: جواب: منهم سبعة عشر عراقي وسبعة عشر شـامي وسـبعة عشر مخفي. سؤال: أين يوجدون؟ جواب: على باب مدينة حران. سؤال: ما يعملون؟ جواب: يأخذون بالحقّ ويعطونه بالحقّ »[٢٤].

----

(٢٤) الباكورة السليمانية، ص ٨٣.

الفصل السابع

الأعياد النصيرية

أولاً : ذكر أعياد النصيريين

ثانياً : كيفية الاحتفال بالعيد

ثالثاً : الصلوات والقداسات

أولاً: ذكر أعياد النصيريين

عند النصيريين أعياد عربية وأعياد نصرانية وأعياد فارسية. نعتمد في ذكرها وتعدادها ومعناها على جملة مصادر، أهمها « كتاب مجموع الأعياد » للطبراني[١]، ومخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ٦١٨٢[٢]، وكتاب « الباكورة السليمانية »، فيكون لنا بذلك فكرة واضحة عن أعياد النصيريين واحتفالاتهم بها وصلواتهم فيها.

أما الأعياد العربية فمنها سنّية ومنها شيعية ومنها خاص بهم. أهمها:

أ ـ عيد غدير خم في ١٨ من ذي الحجة، و « هو اليوم الذي أظهر السيد محمد فيه معنوية مولانا أمير النحل منه السلام، للخاص والعام. فأقر من أقر وأنكر من أنكر »[٣]. هذا العيد هو أكبر الأعياد عندهم، يحتفل به عادة كبار الشيوخ. قال فيه الطبراني: « أما بعد يا ولدي فضل يوم الغدير وما جعل ا فيه من التشريف وما يجب على المؤمنين من العمل فيه. اعلم أنه في شهر ذي الحجة وهو اليوم الثامن عشر في كل سنة، وله فضل كبير وشرف عظيم، وإن السيد محمد دعا في هذا

---

(١) عن هذا الكتاب انظر في كتب النصيرية من هذا البحث.
(٢) عن الأعياد النصيرية في ملحق على « كتاب تعليم الديانة النصيرية ».
(٣) المخطوط ٦١٨٢، ص ٣٨ أ، انظر الباكورة، ص ٣٤...

اليوم إلى مولاه ومعناه، وهو يوم عظيم شريف كبير محلّه. وفي هذا اليوم يقوم قائم آل بيـت محمد، وهو اليوم المشهود، يظهر المولى فيه ويكشف الغطاء ويعظم فيه الجزاء »[٤].

في هذا العيد يمتنع النصيريون عن السجود: « في كل اجتماعاتهم عند تلاوتهم سورة السجود، يركعون على الأرض. ولكن في يوم عيد الغدير، حين تلاوتها، يرفعـون رؤوسـهم نحو السماء »[٥].

ذكر ا في كتابه هذا العيد يوم قال لمحمد: « يا أيها الرسول، « بلّغ ما أنزل إليك من ربك، فإن لم تفعل فما بلّغت رسالات ربك. وا يعصمك من الناس »[٦]. فقال: فعند ذلك عمد رسول ا إلى الاقتاب[٧]، فجعلها، وهو بغدير خم، وصعد على الاقتاب وخطب بالنـاس ثـم قال: من كنت مولاه ـ وقبض على عضدي أمير المؤمنين ورفعه حتى بان بيـاض أبطـي رسول ا ، ثم قال: من كنت مولاه ـ فعلي مولاه. اللهم وال من والاه وعـادِ مـن عـاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله »[٨]. هذا برواية الشيعة المقصرة، وامـا بروايـة أهـل التوحيد[٩]، فرأوا قوله وتحقّقوه: من كنت مولاه فعلي معناه. فبين وأوضح معنوية مولانا أمير المؤمنين، لأنه يوم ظهور وكشف، وهو ندى من الأندية في القبة المحمديـة، لأن فيـه كـان المعنى عز عزه ظاهراً بذاته، واسمه ظاهراً بين يديه، يدعوه ويرشد العالم إليه وشاهداً لهـم وعليهم...

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(٤) مجموع الأعياد، ص ٢٠ ب.
(٥) الباكورة السليمانية، ص ٥٤.
(٦) سورة المائدة، ٥ / ٧١.
(٧) الاقتاب هي الاجلال، جمع جلال، والبرادع.
(٨) راجع في شأن غدير خم وعظة محمد صفحة ١٦ من هذا البحث.
(٩) أهل التوحيد هم، هنا، النصيريون، بمقابل الشيعة المقصرة.

هذا العيد هو « يوم كشف وظهور، فاستعملت فيه الأكل والشرب والأفراح والمصافحة والدعاء إلى الله تعالى والشكر على ما أنعم به من فضله. يؤيد ذلك ما قاله سيدنا أبو عبد الله الخصيبي في قصيدته الغديرية:

أن يوم الغدير يوم السروري بين الله فيه فضلَ الغديري[١٠].

٢ ـ عيد الفطر « وهو اليوم الذي يؤذن فيه للمؤمنين بالنطق وإظهار أمر الله عز وجلّ »[١١]. يقول فيه الطبراني: « إن أول الأعياد، في السنة العربية، عيد الفطر، وهو السيد محمد أول الأعداد، وهو الواحد والأعداد بدؤها منه، وعودها إليه. والسيد محمد يثني ويدخل في الأعداد والقسمة. فلما كان السيد محمد أول الأعداد وجب أن يكون عيد الفطر أول الأعياد »[١٢].

أما المعنى الحقيقي لهذا العيد عند النصيريين فهو، كما تظهره هذه الصلاة، « إنّي أشهد أن محمداً اسمك ومكانك المقصود وحجابك الموجود المعبود، وإنه شخص هذا اليوم الذي أعلنت ظاهره وعظّمت باطنه، وهو الذي أظهرت فيه نفسك ومحلّ قدسك، فحققت الإسلام وفطرت فيه الصيام، وهو عيد المؤمنين وبخات العارفين »[١٣].

٣ ـ عيد الأضحى، أو الأضحية، « وهو يوم خروج القائم منه السلام بالسيف وإهراقه الدماء »[١٤]، يقع في ١٠ من ذي الحجة « تذكاراً لإسمعيل بن هاجر »[١٥].

---

(١٠) مجموع الأعياد، ص ١٧ ب.
(١١) مخطوط ٦١٨٢، ص ٣٨ أ.
(١٢) مجموع الأعياد، ص ٦ ب.
(١٣) نفس المرجع، ص ٧ ب.
(١٤) مخطوط ٦١٨٢، ص ٣٨ أ.
(١٥) الباكورة، ص ٣٤، ومجموع الأعياد، فصل ٣ ـ ٥.

٤ ـ عيد المباهلة[١٦]، وهو اليوم الذي جادل فيه النبـي أهـل نجـران فـي شـأن المسيح[١٧]، يقع في ٢١ من ذي الحجة. وهو يوم عزيز على قلوب النصيريين لأن محمداً كان فيه مع « أصحاب الكساء »، أي: فاطمة وعلي الحسن والحسين[١٨].

٥ ـ يوم الفراش، أي الفراش الذي نام فيه علي مكان محمد ليخلّصه من كفّار قريش، ليلة الهجرة من مكة إلى المدينة سنة ٦٢٢. يقع في ٢٩ من ذي الحجة. فيه جـاء كفّار قريش « وكبسوا داره (دار النبي) لقتله، وقالوا: اقصدوا فراشه حتى نقتله فيـه. فقـال رسـول ا لمولانا أمير المؤمنين يا أخي إن مشركي قريش يكبسوني في هذه الليلة، ويقصدون فراشـي، فما أنت صانع يا علي؟ فقال له أمير المؤمنين: أنا، يا رسول ا ، أتضجع في فراشك ويكون خديجة في الدار في موضع منه، واصطحب ا إلى حيث تأمن على نفسك. فقال رسول ا : فديتك يا أبا الحسن، أخرج لي ناقتي الغضباء حتى أركبها، واخرج إلى ا هارباً من مشركي قريش »[١٩].

٦ ـ عيد عاشوراء. « فيه معرفة يوم كربلاء واستشهاد الحسين. يقع في العاشر من شهر محرم. أنشده الخصيبي جملة من قصائده. يعتبر النصيريون أن الحسين كالمسـيح فـي القرآن، لم يقتل ولم يمت، بل غاب[٢٠]. فالحسين « كانت سيرته تقارب سيرة سيدنا المسـيح وما أظهره من القتل والصلب وسائر سيرته »[٢١]. وفي مكان آخر هذا الدعاء: « أشهد أنّك

---

(١٦) مخطوط ٦١٨٢، ص ٣٩ أ.
(١٧) انظر سورة آل عمران ٣ / ٥٤. كان ذلك في عام الوفود سنة ٦٣١.
(١٨) مجموع الأعياد، ص ٢٧ ب.
(١٩) نفس المرجع، ص ٣١ ب، مخطوط ٦١٨٢، ص ٣٩ أ. لا تذكره الباكورة.
(٢٠) سورة النساء ٤ / ١٥٧ ـ ١٥٨. « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم... ».
(٢١) مجموع الأعياد، ص ٣٥ أ.

ما قتلت ولا غلبت ولا قهرت ولا متّ ولا تموت، بل أظهرت الغيبة بقدرتك، واحتجبت عـن عيون الناظرين بحكمتك، وأنت يا مولاي حاضر غائب غير بعيد تسمع الكلام وترد الجـواب عليك يا مولاي. أتيتك يا مولاي زائراً بفضلك مقراً بظهورك، لائذاً بك عابداً صورك »[٢٢].

وفي عقيدة النصيريين أن الحسين ذبح في الظاهر مراراً كثيرة، أما في الحقيقة فهـو يتعالى عن أية أساءة. « وكان الحسين بن علي أكرم على الله من أن يذيقه القتل على أيـدي الكفرة الظالمين، وحاشا أن يذيقه حر الحديد، وأن عند الله من لطف التدبير ما يتلاطف بأوليائه وينقذهم من أهل عداوته، ويهلك أعداءه وأعداء أوليائه بالحجة البالغة... ولقد فعل الله سبحانه بالحسين فعلة لم يفعلها بالمسيح ولا بزكريا ولا بيحيى ولا بأحد الأنبياء. وإن الذبح في الظاهر كان إلى اسماعيل الذي فدى بذبح عظيم، وهو الحسين الذي هو عينه واسمه ونسـبه، ولـيس بينهما فرق كأنّهما واحد. ولقد ذبح في الظاهر أكثر من ألف مرة... »[٢٣].

وكيفية ذلك إن الكفّار « لما اجتمعوا على الحسين ليذبحوه، كما يقولون، خرج من بدنه ورفعه الله إليه، ومنع الأعداء الظالمين منه »[٢٤]، لأن « الإمام يدخل فـي الأبـدان طوعـاً وكرهـاً، ويخرج منه إذا شاء طوعاً وكرهاً، كما ينزع أحدكم جبته وقميصه بلا تكلّـف ولا ريب »[٢٥].

وقصة ذلك إن « الحسين، لما خرج إلى العراق وكان الله محتجباً به، وصار لا ينزل منزلاً صلوات الله عليه، إلا ويأتيه جبريل

----

(٢٢) مجموع الأعياد، ص ٤١ أ.
(٢٣) كتاب الهفت والاظلة، ص ٩٨.
(٢٤) المرجع نفسه، ص ١٠١.
(٢٥) نفس المرجع، ص ١٠١.

فيحدثه، حتى إذا كان اليوم الذي اجتمعت فيه العساكر عليه، واصطفّت الخيول لديه، وقامت الحرب، حينئذ دعا مولانا الحسين جبريل، وقال له: يا أخي من أنا؟ قال: أنت ولي ا ، لا إله إلاّ هو الحي القيوم المميت والمحيي، أنت الذي يا ابن الزهراء تأمر السماء فتطيعك، وأنت الذي لا يصل إليك كيد كائد، ولا ضرر ضار... »[٢٦].

تأتي أهمية هذا العيد في الدرجة الأولى من الأعياد النصيرية. فيه تُلبس الثياب البيضاء الطاهرة، ويدعى على الذين عذّبوا رسول ا . قال الصادق: « يا عبد ا بن سنان، إنّي أفضل ما يأتي به في يوم عاشوراء أن تعمد إلى ثياب طاهرة وتلبسها وتحلّل أزرارك وتكشف عن ذراعيك ثم تخرج إلى أرض مقفرة حيث لا يراك أحد، أو في منزلك أنت وأخوانك حتى يرتفع النهار، ثم تقول: اللهم عذّب الذين حاربوا رسلك وشاقّوهم وعبدوا غيرك »[٢٧].

٧ ـ اليوم التاسع من شهر ربيع الأول في كل سنة وهو مقتل دلام لعنه ا [٢٨]، واسمه غدير الثاني[٢٩]. فيه ذكرى تعريف محمد برسالة أولاد علي. في مثل هذا اليوم دخل حذيفة بن اليمان على رسول ا وقال: « فرأيت سيدي أمير المؤمنين مع ولديه الحسن والحسين يأكلون مع رسول ا ، ورسول ا يتبسم في وجه الحسن والحسين ويقول لهما: كُلا[٣٠]، هنيئاً لكما، على بركة ا وبركة هذا اليوم وسعادته، فإنه

---

(٢٦) كتاب الهفت والأظلّة، ص ١٠٢. انظر الفصل كله ص ٩٧ ـ ١٠٧.
(٢٧) مجموع الأعياد، ص ٣٩ ب ـ ٤٠ أ.
(٢٨) مخطوط ٦١٨٢، ص ٣٩ أ.
(٢٩) الباكورة السليمانية، ص ٣٥.
(٣٠) انظر سورة الطور ٥٢ / ١٩.

اليوم الذي يقبض الله فيه عدوه وعدو جدكما ويستجيب فيه دعاء أمكما، كَلَّا، فإنه اليوم الـذي يقتل فيه عدوكما، ويقبل فيه أعمال شيعتكما ومحبيكما، كَلَّا، فإنه اليوم الذي يصدق فيه قـول الله: فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا[٣١]، كَلَّا، فإنه اليوم الذي كسر الله به شـوكة مبغضـة[٣٢] جدكما، وناصر عدوكما. كَلَّا[٣٣].

٨ً ـ ليلة نصف شعبان، فيـها أيضاً ذكـر الحسين. وهي واجبـة على النصيريين: « يجب على المؤمنين الاجتماع فيها، ثم احياؤها بالفرح والسرور والمذاكرة الحسنة على عبد النور (الخمرة) والثناء على الله وعلى أسمائه ومقاماته وأبوابه ومراتب قدسه »[٣٤].

وأعياد كثيرة أخرى مذكورة في المراجع التي عنها ننقل.

أما الأعياد النصرانية فكثيرة أيضاً. نذكر أهمها:

١ً ـ عيد الميلاد، أي عيد ميلاد السيد المسيح ليلة الرابعة والعشـرين مـن كـانون الأول. في هذه الليلة « السيد المسيح أظهر الولادة من السيدة العذراء مـريم ابنـة عمـران الطاهرة الزكية، وقد ذكرها الله في كتابه[٣٥]، ولكن مريم ليست إلاّ آمنة بنت وهب أم سـيدنا محمد؛

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(٣١) انظر سورة النمل ٢٧ / ٥٢.
(٣٢) انظر سورة الأنفال ٨ / ٧.
(٣٣) مجموع الأعياد، ص ٤٩ ب.
(٣٤) المرجع نفسه، ص ٥١ أ ب.
(٣٥) انظر سورة التحريم ٦٦ / ١٢ فيها نص الآية التي ينقلها كتاب المجموع.

وكثير من أهل ملّتنا يقولون إنها هي فاطمة عليها السلام. ويستندون في ذلك إلى قول سيدنا محمد لها حين دخلت عليه: ادخلي يا أم أبيك، أو في رواية أخرى: مرحباً بك يا أم أبيك. ولم يقل النبي هذا القول إلاّ ليشير إلى أنّها أم الحاآت الثلاثة: الحسن والحسين والمحسن. أما أم سيدنا محمد فهي آمنة بنت وهب التي باسم مريم ولدت عيسى كما ظهر سيدنا محمد بولادته من أمه آمنة بنت وهب »[٣٦].

وفي مكان آخر يقول الطبراني: « إن مريم بنت عمران هي بعينها آمنة بنت وهب بالنسبة إلى سيدنا محمد، وإن الله تعالى أشار إلى ذلك في كتابه العزيز، فقال: « واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكان شرقياً... الخ »[٣٧]. ثم يورد أبياتاً قالها الخصيبي في مريم ويقول إنه لما كان سيدنا عيسى قد تكلّم في هذه الليلة وظهر، فإن هذه الليلة صارت مباركة، ومن واجب المؤمنين إذن الاحتفال بهذه الليلة كما تستحق، وذلك بتلاوة الأدعية الموجهة إلى الله تعالى. ثم يورد الدعاء الذي ينبغي تلاوته في هذه المناسبة »[٣٨].

٣ ـ عيد الغطاس في ٦ كانون الثاني[٣٩]، أو عيد القداس، وهو اليوم الذي فيه تعمد المسيح على يد يحيى السابق في نهر الأردن. لهذا العيد مكان مرموق في سوريا، فيه تغسل النساء أولادهن تيمناً بعماد المسيح في الأردن[٤٠].

---

(٣٦) انظر « مذاهب الاسلاميين ج ٢ ص ٤٦٦ لعبد الرحمن بدوي.
(٣٧) انظر سورة مريم ١٩ / ١٦ ـ ٣٠، فيها يستشهد مجموع الأعياد.
(٣٨) مذاهب الاسلاميين، ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨.
(٣٩) الباكورة السليمانية، ص ٣٥.
(٤٠) R. Dussaud, Hist. et Rel. des Nosairis, 149…

٣ ـ عيد البربارة في ١٦ تشرين الأول[٤١]، وهو عيد شعبي كبير، فيه تُعد الحلـوى ويسلق القمح وتُقَدّم المآكل الطيبة، ويختار أصحاب الاحتفال فيه شخصاً يسمونه « عرندس ». و « العرندس قالوا هو اسم من أسماء الأسد »[٤٢]، يدهنون وجهه بالدخان الأسود، ويلبسـونه ثياباً هزلية، وهم يقولون: « بسية بربارة، بسية بربارة... »[٤٣].

٤ ـ عيد السابع عشر من آذار[٤٤] « مما استخرج مـن كتـاب الأكـوار والأدوار النورانية »[٤٥].

وأعياد أخرى كثيرة: عيد الشعانين، عيد العنصرة، عيد مريم المجدلية، عيد يوحنّا فم الذهب، عيد القديسة كاترينا، عيد في ١١ من تشرين الثاني، وفي ١٨ منه[٤٦]. وأعياد خاصة أخرى تحتفل بها كل عشيرة أو عيلة أو شيخ... ثم عيد رأس السنة المسـيحية أو الروميـة، وفيها يتزينون ويطربون بالمآكل والشراب والسهر والرقص...

« أما في أعياد نيسان و١٧ من آذار و١٦ تشرين الأول... فيضـعون قـدام الإمـام طستَ ماءٍ كبيراً، فيه أغصان زيتون أو ريحان أو صفصاف... وبعد انتهاء الصلاة يكشفون رؤوسهم جميعاً ويقوم النجيب ويرشّ عليهم من ذلك الماء ويفرق علـيهم قلـيلاً مـن تلـك الأغصان فيأخذونه ويضعونها في كوابرهم لأجل التبرك »[٤٧].

- - - - - - - - - - - - - - - - -
(٤١) تضعه الباكورة في ٤ ت ٢، ص ٣٤.
(٤٢) شيخو، المشرق عد ١ ص ١١٣٤.
(٤٣) المرجع نفسه.
(٤٤) الباكورة السليمانية، ص ٣٥.
(٤٥) كتاب مجموع الأعياد، فصل ٤٥ ـ ٤٦.
(٤٦) الباكورة، ٣٤ ـ ١٣٥.
(٤٧) نفس المرجع، ص ٥٤.

أما الأعياد الفارسية فمنها:

١ ـ عيد النوروز « وهو اليوم الرابع من نيسان في كل سنة، ولـه شـرف عظـيم وفضل كبير »[٤٨]، وهـو أيضاً عيد النور « سمى ا ذلك اليوم النـور، وسـمته الفـرس: النوروز »[٤٩]. إنّه « يوم عظيم مبارك، مجده الأكاسرة وأقروا بفضله. وكانوا في ذلك اليـوم يحملون تيجاناً من الريحان والشقائق، ويرشون الماء، وكانوا يتبادلون فيه الهدايا... إن المولى تجلّى في شخص ملوك الفرس وتجلّت فيهم أسماؤه وأبوابه وأولياؤه النورانيـون. وذكـر أن الخصيبي شرح هذه المسألة في إحدى رسائله، وينسب إلى الفرس الحكمة، لأن الاسم والمعنى يتجلّيان عندهم في مقامين من ملوكهم الأول: أردشير بن بابك، وسابور بن أردشير... »[٥٠].

٢ ـ عيد المهرجان، وهو في ١٦ تشرين الأول[٥١].

٣ ـ عيد أول نيسان[٥٢].

٤ ـ عيد ١٥ نيسان[٥٣]......

*****

إن سبب هذا التنوع في الأعياد لهو بدون شك نوع من « التقية »، فالنصيريون، حفظاً لحياتهم، لبسوا، كما رأينا، لباس كلّ الطوائف التي سيطرت عليهم وقهرتهم في جبالهم النائية. ولا يزالون، إلى اليوم، يحتفلون بها كعادات وتقاليد، يقيمون بمناسبتها شركة السر: سر الخمرة والقداس.

(٤٨) مخطوط ٦١٨٢، ص ٣٩ أ. والسؤال ٩٠ من تعليم الديانة النصيرية.
(٤٩) مجموع الأعياد، ص ٦٥.
(٥٠) انظر « مذاهب الاسلاميين » ج ٢ ص ٤٦٩ ـ ٤٧٠.
(٥١) مخطوط ٦١٨٢ ص ٣٩ أ. مجموع الأعياد فصل ٤٧ ـ ٥٥. الباكورة ٣٤.
(٥٢) الباكورة ص ٣٥.
(٥٣) الباكورة ص ٣٥.

ثانياً: كيفية الاحتفال بالعيد

« والنصيرية ليس لهم معابد مثل الإسلام والنصارى، بل إنّهم، في كل مدة، يجتمعون في بيوت معلومة لهم. وهذا الجمع يسمونه عيد. وفيه تجتمع مشايخ ديانتهم، ويقرأون على جماعتهم بعض قصص وأخبار وخرافات[1]. ولا بد كل إنسان متقدم أن يخصص لنفسه يوماً معلوماً يسميه بالعيد. وصاحب العيد يضحي في ذلك اليوم بعضاً من مواشيه »[2].

هذا الوصف المختصر سيتناوله سلمان الاذني في كتابه الباكورة، ويسترسل بتوسيعه. ونحن نلخّص ما جاء في فصوله:

« إن كل رجل غني ملتزم بعمل عيد أو عيدين أو ثلاثة، حسب طاعته لمذهبه »[3]. وإنّنا لنرى في احتفالاتهم بالعيد « الذبائح والطبائخ، والناس مجتمعين أفواجاً. فكان أهل المدن يعملون أعيادهم غلساً لكي لا يظهر عليهم أحد. وأما سكّان القرى فلا يبالون. وعندهم أعياد الفرح في رمضان كالإسلام، وعيد الضحية... ثم عيد رأس السنة... فسكان القرى يعتبرونه أكبر من ذينك العيدين. وإما سكان المدن فلا يعتبرونه لئلا يظهر عليهم المسلمون، بل يعتبرون ذينك العيدين للفرح فقط »[4].

---

(١) قد تكون هذه المخطوطة من وضع يد غير نصيرية لنسبة الـ« خرافات » إليهم.
(٢) مخطوط المكتبة الملكية ببرلين رقم ٤٢٩١، ص ٥٦ أ.
(٣) الباكورة السليمانية، ص ٣٤.
(٤) نفس المرجع، ص ٣٦.

يكون الاحتفال بالعيد على الشكل التالي:

« متى حان يوم عيدهم تجتمع الناس إلى بيت صاحب العيد، ويأتي الإمام ويجلس، ويضعون أمامه خرقة بيضاء فيها محلب وكافور وشموع وورق الريحان أو الزيتون، ويقدمون اناء مملواً خمراً، أو نقيع العنيب، أو الزبيب، ويجلس نقيبان، أحدهما عن يمين الإمام والآخر عن يساره، ثم يميز صاحب العيد نقيباً آخر للخدمة، وبعد ذلك يتقدم ويقبل يد الإمام ويد النقيب الذي عن يمينه، ثم يد الذي عن الشمال. وبعد ذلك يد النقيب الممتاز للخدمة.

« ينهض النقيب ويضع يديه على صدره قائلاً: « ا يمسيكم بالخير يا أسيادي، ويصحبكم بالرضى والسعادة. هل ترضوني خادماً لكم في هذا العيد المبارك على كيس صاحب العمل فلان ا يبارك عليه؟ فيجيبه الحاضرون: نعم. حينئذ يقبل الأرض طاعة للحاضرين، ويأخذ بيديه ورق الريحان، ويفرق عليهم، وهو يتلو هذه الآية، واسمها سطر الريحان:

« قوله تعالى: فإما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنّة نعيم »(٥). اللهم صلّي على أسماء أشخاص الريحان، هم صعصعه بن صوحان، وزيد بن صوحان العبدي، وعمار بن ياسر صاحب الفضل والمآثر، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد ابن أبي حذيفة، صلوات ا عليهم أجمعين ».

« وكذلك الحاضرون يتلونه أيضاً ويأخذون ذلك الورق ويفركونه بأيديهم، ويشمون رائحته.

(٥) من سورة الواقعة ٥٦ / ٨٧ ـ ٨٨.

« ثم بعد ذلك يأخذ طست ماء ويضع فيه محلباً وكافوراً. ويقرأ قداس الطيب[٦]. ثـم يسكب على يد الإمام ملعقة من الطيب ويناول الطست للنجيب ليسكب على يد كلّ منهم ملعقة منه، فيدور عليهم به، ويقرأ عند المناولة هذه الآية، واسمها سطر الطيب:

« قوله تعالى: أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي، أفلا يؤمنون »[٧]. سبحان من أحيا الميت بأرض صرصـر بقـدرة مولانا العلي الأكبر. ا أكبر ا أكبر.

« وكذلك الحاضرون يتلونها عند التناول، ويغسلون وجوههم ثـم إن النقيـب يأخـذ مجمرة بخور وينهض قائماً ويقرأ القداس الثاني واسمه قداس البخور[٨].

« ثم يبخّر الإمام وكل الجالسين عن يمينه ويساره، ويناول النجيب المجمـرة ليبخـر الجماعة، وحينما يدور عليهم يتلو هذه السورة واسمها سطر البخور:

« اللهم صلّ وسلّم على سيدنا محمد المصطفى والحسن والحسين ابني علـي وعلـي زين العابدين وابنه محمد الباقر وابنه جعفر الصادق... إلى الحسن العسكري... صـلوات ا عليهم أجمعين.

« والمبخَرون يتلونها أيضاً ثم يأخذ النقيب بيده كأس خمر ويقوم قائماً ويقرأ القـداس الثالث واسمه قداس الأذان[٩].

---

(٦) سيأتي نصه بعد حين.
(٧) من سورة الأنبياء ٢١ / ٣٠.
(٨) سيأتي نصه بعد حين.
(٩) سيأتي نصه بعد حين.

« ثم يناول الإمام القدح ويملي كأساً أخرى، ويناولها للجالس على اليمنـى، وكأسـاً للجالس على اليسار، وعند المناولة يتلون:

« أشهد أن مولاي ومولاك أمير النحل علي بن أبي طالب الذي لا حال ولا زال ولا ينتقل من حال إلى حال. وأشهد بأن حجابه السيد محمد وبابه السيد سلمان، ولا منفصل بـين المعنى والاسم والباب.

« بعد ذلك يقول المناول للمتناول:

« خذ يا أخي هذه الكأس بيمينك واستعن بمولاك علي بن أبي طالب يدبرك ويعينـك. فيجيبه المتناول: « هات يا أخي ما في يمينك واستعن بربك وخالقك فهو يدبرك ويعينك على أمور دينك أثمر ا من هذا من ماله بحرمة محمد وآله ». ثم يقبلان أيادي بعضهما.

« ثم ينهض النقيب ويضع يديه على صدره ويقول:

« ا يمسيكم بالخير يا أخوان، ويصبحكم بالرضى يا أهل الإيمان، سامحونا من الغلط والسهيان، لأن الإنسان ما سمي إنساناً إلاّ لأجل أنه يخطئ وما تم الكمال إلاّ لمولانا على ذي الجلال وهو بكل شيء عليم ».

ثم يقبل الأرض، ويجلس. وبعده يتوجه الإمام نحو الجماعة قائلاً:

« ا يمسيكم بالخير يا أخوان ويصبحكم بالرضى يا أهل الإيمان، هـل ترضـوني خادماً لكم في هذا النهار المبارك على كيس صاحب العمل، بـارك ا عليـه؟ » ثـم يقبـل الأرض، وكذلك الجماعة ويقولون: « قبلناك شيخنا وسيدنا ».

ثم يقول الإمام:

« قد روى الخبر عن مولانا جعفر الصادق الصامت الناطق، الفاتق الرائق، أنه قـال في أوقات الصلاة: لا يجوز أخذ ولا عطا، ولا بيع ولا شرا، ولا حـديث ولا شوشـرة، ولا حرج ولا مرج، ولا حديث فوق الريحان إلاّ الصمت والاستماع وكلمة آمين. اعلموا يا أخوان من كانت على رأسه عمامة سوداء، أو بأصبعه كشتبان، أو في وسطه سكّين ذات حـدين[١٠]، فصلواته غير جائزة. وأكبر الـذنوب الخطأ فوق الريحـان، وما على الرسـول إلاّ الـبلاغ المبين ».

ثم يقبل الأرض ويقول: « هذه الطاعة ولكم يا أخوان ».

ثم يخر الحـاضرون ويقبلون الأرض ويرفعـون أيديهـم على رؤوسهم ويقولـون: « طاعتك تعالى يا شيخنا وسيدنا ». ثم يقرأ الإمام سورة التبرى، أو سورة الشتائم[١١]. ثم يمسح يده على صدره قائلاً للحاضرين: نتبرأ من هؤلاء الشياطين الخبثاء المارقين على فضل ع م س. وكذلك الجميع يقبلون أيادي بعضهم يميناً ويساراً. ثم يقرأ الإمام آيات مـن القـرآن وبعدها يتوجه نحو الجماعة يقول:

« اعلموا يا أخوان أن مثل هؤلاء (هذه الآيات) شواهد وآيات كثيرة تدلّ على معرفة العلي الكبير. اسألك يا أمير النحل يا علي يا عظيم بحرمة هؤلاء الشواهد والسور والمعـاجز والقدر، وبحرمة السيد محمد الذي هو من نور ذاتك انفطر بأن تحاف وتبارك لأصحاب هـذا الخير وهذا

---

(١٠) أصحاب العمامة هم شيوخ المسلمين، أصحاب الكشتبان هم أساقفة الكنيسة، وأصـحاب السـكين هـم الدروز، من قول حمزة: « ولا يمشي أحد منهم إلاّ ومعه شيء من السلاح وأقلّه سكّين » (تقليد الرضى رقم ٢١ من رسائل الحكمة، ص ٢١٠) والإسماعيلية، من قول ابن بطوطة عـنهم: « ولهـم سـكاكين مسمومة يضربون بها من بعثوا إلى قتله » (رحلة، ص ٧٦).

الإحسان وهذا الأثر، ويجعل محلّكم معمر وفرعكم أخضر وعدوكم مـدمر. يبـارك علـيكم مولاكم العلي المقتدر النافخ في الصور. اللهم صلّي وسلّم على سيدنا الخضر الأخضر ونبـي ا الاسكندر والملك جعفر الطيار والسلطان حبيب النجار وسيدي ميثم الثمار. ويقدس ويرحم روح سيدي الشيخ حسن الأسمر والشيخ ابراهيم بن قشمر والشيخ خليل منور والشيخ علي في الصنوبر ويجعلها مساة وليلة مباركة علينا وعليكم. يا أخوان يا من حضر بحرمـة العزيـز المقتدر، يا أمير النحل يا علي يا عظيم. »

ويتلو الإمام صلوات كثيرة وقداسات أخرى تقيم المجد والعبادة لعلي. وينتهي كل ذلك بقداس التمام أو قداس الاشارة(١٢)، ثم سورة الإشارة من كتاب المجموع.

وبعد الفراغ من كل هذا يأخذ الإمام بيده قدح الخمر ويقرأ خبراً عـن الحسـين بـن حمدان الخصيبي. ثم يأمر الجماعة بتلاوة سورة السجود من كتاب المجموع. ثم يأخذ الإمـام القدح الذي بيد الجالس عن يمينه ويمزجه مع الكأس الذي بيده، ويقول عند مزجه:

« أرأيت ثم أرأيت نعيماً وملكاً كبيراً عليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً ».

ثم ينشد الإمام هذه الترنيمة للخصيبي:

---

(١١) سيأتي نصها بعد حين.
(١٢) سيأتي نصه بعد حين.

حكـم ساقهـا إليـكم أخيكم عبد عبد لثـاني عشر بـدور
جنبلانيكـم سليـل خصيب يستقيها من فيض بحر الـزخور
من عيون التسنيم يسقى رحيقا سلسـليا مختمـا بعبـير.

ثم يشرب من الكأس قليلاً، ويناوله للجالس عن يمينه ويأخذ الكأس الآخر من الجالس عن شماله ويشرب منه قليلاً ويناوله إياه أيضاً. ويناول الكأس الذي معه إلى النقيب الخـادم، فتدور الكؤوس بينهم من واحد إلى آخر. وعند المناولة يقبل الواحد أيـدي الآخـر، ويقـول المناول للمتناول: « تفضل اشرب يا أخي وسيدي سر ع م س ». ثم يأخذ المتناول فيشـرب ويقول: « سقاك ا يا أخي وسيدي ». ويجيبه المناول: « هنّاك ا في شـرابك ومشـروبك ويبلّغك مقصودك ومطلوبك ».

ثم يقرأ الإمام سوراً من كتاب المجموع، ومن القرآن، ثـم دعـاء اليمـين ودعـاء الشمال[١٣]، ثم ترنيمات من شعر الخصيبي... ثم يقبل الأرض، وكذلك الجماعة. ثم ينهضون جميعاً ويقبلون أيادي بعضهم بعضاً يميناً ويساراً ومن يكون قريباً إلـيهم. وحينئـذ يطفئـون الشموع.

ويأتي صاحب العيد ويفرق الزكاة، وهي دراهم، للإمام وللنقيب ولجميع القارئين. ثـم يأخذ الإمام كتاب المجموع ويقرأ عليهم قليلاً، ويأمرهم بالركعة، فيركعون. وبعدها يأمر بتلاوة الفاتحة وهي:

« الفـاتحة يا أخوان في إبادة الدولـة العثمانيـة واسـتظهار الطائفـة الخصـيبية النصيرية... ». ويطلبون من ربهم لأجل إبادة حكّام المسلمين. ثم تمد المآكل ويأكل الجميـع. وأخيراً ينصرفون[١٤].

---

(١٣) سترى هذه الصلوات والأدعية في ما يلي.
(١٤) الباكورة السليمانية، ص ٣٤ ـ ٥٩.

ثالثاً: الصلوات والقداسات

يقيم النصيريون، أثناء الاحتفال بأعيادهم، صلوات كثيرة ومتنوعة، وهي قداسات، وتوسلات، وأدعية، وترانيم... نشر بعضها سليمان الاذني في « الباكورة السليمانية »(١)، ونشر بعضها الآخر « كتافاغو » مع ترجمتها الألمانية(٢). ويوجد قسم منها في مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ٦١٨٢(٣)، وقسم آخر في مخطوط رقم ٥١٨٨(٤). ونلاحظ في جميع هذه المصادر أخطاء لغوية ونحوية وإملائية عديدة، سنصلح بعضاً منها دون النيل من معناها.

١) القداسات النصيرية

إنّها كثيرة، نعطي أربعة منها. وهي تقال في الأعياد في المكان الذي نوهنا إليه في الصفحات السابقة. هذه الأربعة تشدد، بنوع خاص، على ألوهية علي، وتتوجه مباشرة إليه. وقد حدد كتاب تعليم الديانة

----

(١) كتاب الباكورة السليمانية، ص ٣٨ ـ ٥٩.

(٢) Catafago, ZDMG, II, pp. 388-394, année 1848.

(٣) في هذا المخطوط قسمان: القسم الأول في « كتاب تعليم الديانة النصيرية »، والقسم الثاني حيث بعض القداسات والصلوات واسمه « التوجيه » و « المشيخة ».

(٤) في هذا المخطوط أيضاً قسمان: قسم ترجمة فرنسية لتعليم الديانة، وقسم فيه بعض الصلوات والقداسات والخطب التي ألقاها علي في ألوهيته.

النصيرية « القداس » ومضمونه، بشكل سؤال وجواب، كما يلي:

س: ما هو القداس ؟ ج: هو تقديس الشراب، وشربه بسر النقباء والنجباء.

س: ما هو القربان؟ ج: هو الخبز الذي يقربه المؤمنون عـن أرواح أخـوانهم ويقـال لـه القداس[٥].

س: من هو الذي يقدس القداس ويقرب القربان للمؤمنين؟ ج: هو إمامهم وخطيبهم العظيم.

س: ما هو سر ا الأكبر؟ ج: هو سر اللحم والدم الذي قال المسيح عنه لتلاميذه عليه السلام: هذا لحمي ودمي، فكلوا واشربوا منه لأنه حياة الأبدية.

س: ما هو القداس الأول؟ ج: هو الذي يقال قبل النوروز.

س: ما هو القداس الثاني؟ ج: هو الذي يقال بعد النوروز.

س: ما هوالنوروز؟ ج: هو تقديس الشراب بالجام[٦].

س: قل لي ما هو النوروز؟ ج: اعلم أن النوروز هو هذا:

نوروز حـقّ مستفيد غـانم	متحقق بمولاي أكـرم هاشم
يوم أبـان ا فيـه ظهـوره	قبل الأعارب في قباب عاجم
وسما بها نحو السما فأبصروا	فيها مراجيحا برايـا حـازم
ولسلسـل فيه ظهـور مهيمنا	متـابع لقديمنـا المتقـادم
فاشرب من الخمر الزلال فانّه	يـوم تجلّى نـوره بغمـائم
يوم الغـدير قـد أشار محمد	بالقصد نحو إلـه رب عالم

س: ماذا يدعى الخمر المقدس الذي تشرب منه المؤمنون؟ ج: يدعى عبد النور.

س: لماذا يدعى عبد النور ؟ ج: لأن ا ظهر به. ولهذا روى عن سيدنا

----

(٥) ليس القربان من خبر قمح، كما عند المسيحيين، بل هو ورق الريحان.
(٦) الشراب بالجام هو الخمرة بالكأس.

أبي عبد ا الحسين الخصيبي الرأي المصيب، إذ كان يحضر بين يديه عبد النور كان يأخذ القدح في يمينه وينهل منه ثلاثة نهلات ويترنّم عليه قائلاً:

اللهم إن هذا عبدك عبد النور شخص حللته وكرمته وفضلته لأولئك العارفين بكل حلال طلقاً وحرمته على أعدائك الجاحدين المنكرين لك حرام نصاً اللهم مولاي كما حللته لنا أرزقنا به الأمن والأمان والصحة من الأسقام، وانف عنّا به الهم والأحزان...[٧].

القداس الأول

قداس الطيب لكل أخ حبيب

« أيها المؤمنون! انظروا إلى مقامكم هذا الذي أنتم به تجتمعون، وانزعوا الغلّ من قلوبكم والشك والحقد من صدوركم ليكمل لكم دينكم بمعرفة معينكم ويستجاب منكم دعاؤكم ويكرم مثواكم مولانا ومولاكم. اعلموا أن عليا بن أبي طالب قائم معكم وحاضر بينكم ويسمع ويرى ويعلم ما فوق السماوات السبع وما تحت الثرى وهو عليم بذات الصدور[٨] والعزيز الغفور.

« إياكم إياكم يا أخوان من الضحك والقهقهة في أوقات الصلاة مع الجهال، فإنها بئس الفعال وتقرب الآجال وتهبط صالح الأعمال، ولكن اصغوا واسمعوا لمقال السيد الإمام لأنه قائم فيكم كقيام الفرد الصمد العلي العلاّم.

(٧) كتاب تعليم الديانة النصيرية، سؤال ٧٦ ـ ٧٩، ٨٧ ـ ٩٢.
(٨) القرآن: ٣ / ١١٩ و١٥٤، ٥ / ٧، ٨ / ٤٣، ١١ / ٥، ٤١ / ٢٣، ٣٥ / ٣٨، ٣٩ / ٧، ٤٢ / ٢٤، ٥٧/ ٦، ٦٤ / ٤، ٦٧ / ١٣.

« إنّا مزجنا لكم هذا الطيب على هذه النية كما مزجت السماوات في السبعة الإماميـة في خالص عقد النفوس الجوهرية تنزيهاً للصورة البشرية المرئية الأنزعية. طيبوا بها أنفسكم الطاهرة الذكية من سائر الأفعال الردية. لقد خص بها من الميم للسين في كل وقت وحين اليا اليا فهو عليا إله له الدين الخالص إنما يدعون من دونه باطل وعبادة المخلوقات هي الـرأي العاطل لأنه تعالى عز شأنه في علو مكانه السميع العليم العلي العظيم ».

القداس الثاني

قداس البخور

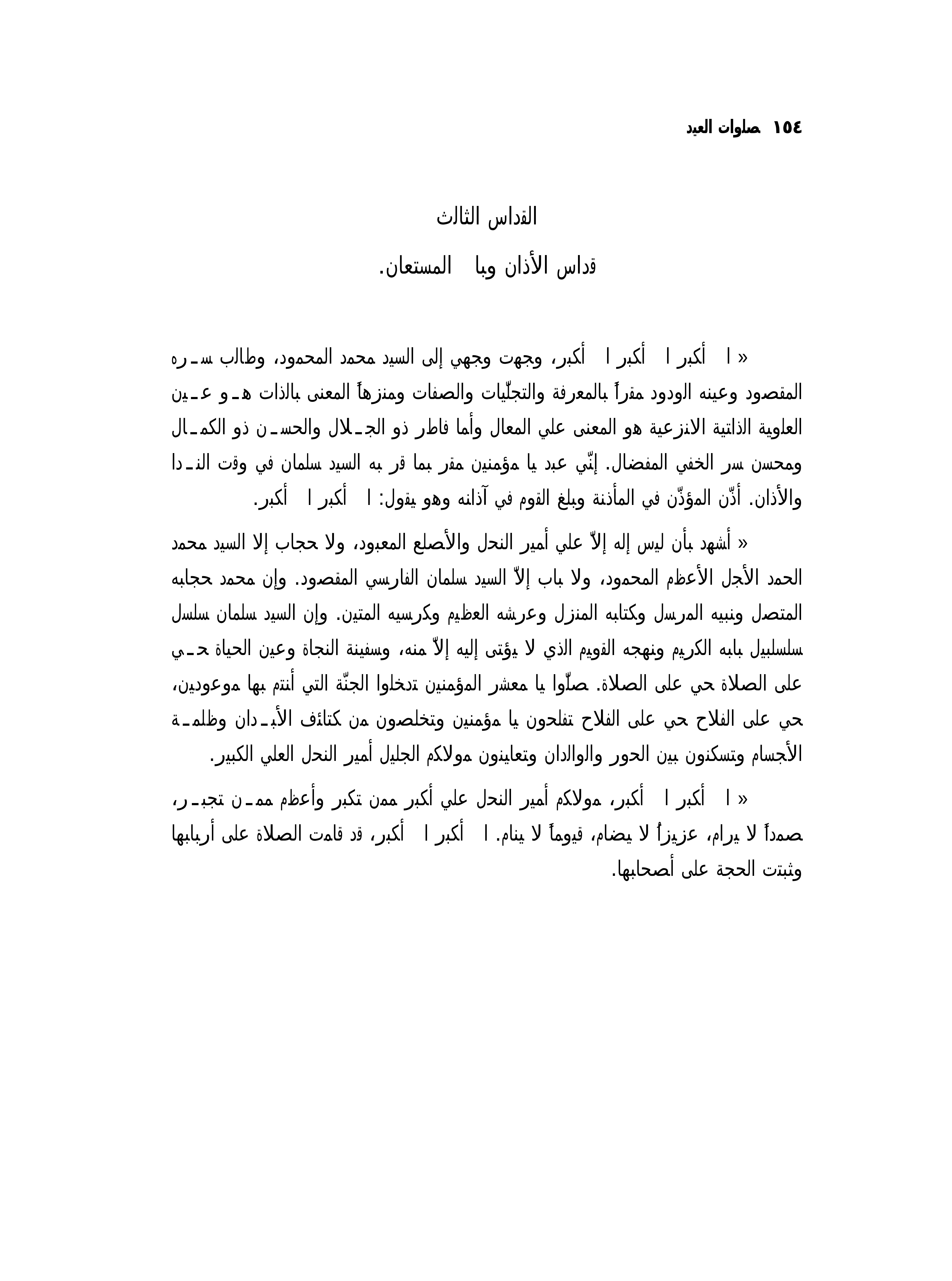
وروائح تدور في البيت المعمور في محلّ الهنا والفرح والسرور.

« إنّه كان شيخنا وسيدنا محمد بن سنان الزاهري علينا سلامه يقـوم إلـى الصـلاة الجامعة في كل يوم وليلة مرة أو مرتين ويأخذ بيده ياقوته حمراء تنزيهاً لفاطمـة الزهـراء، ويبخّر الأقداح وتتم الأفراح ويبخّر بها عبد النور في وقت الزينة والزهور.

« اعلموا يا مؤمنين أن النور محمد والليل سلمان. بخّروا أقداحكم وأنيروا مصـباحكم وقولوا بأجمعكم: الحمد ، الحمد الذي جعل لنا فضله تامم وسره كاتم، إنّه جـواد كـريم، علي عظيم. آمنوا وصدقوا يا مؤمنين، إن شخص عبد النور حلال لكم معكم حرام عليكم مـع غيركم[٩] ».

----

(٩) المقصود: إن الخمرة حلال للنصيريين مع بعضهم بعضاً، وحرام مع غيرهم.



القداس الثالث

قداس الأذان وبا المستعان.

« ا أكبر ا أكبر ا أكبر، وجهت وجهي إلى السيد محمد المحمود، وطالب سره المقصود وعينه الودود مقراً بالمعرفة والتجلّيات والصفات ومنزهاً المعنى بالذات هو عين العلوية الذاتية الانزعية هو المعنى علي المعال وأما فاطر ذو الجلال والحسن ذو الكمال ومحسن سر الخفي المفضال. إنّي عبد يا مؤمنين مقر بما قر به السيد سلمان في وقت الندا والأذان. أذّن المؤذّن في المأذنة وبلغ القوم في آذانه وهو يقول: ا أكبر ا أكبر.

« أشهد بأن ليس إله إلاّ علي أمير النحل والأصلع المعبود، ولا حجاب إلا السيد محمد الحمد الأجل الأعظم المحمود، ولا باب إلاّ السيد سلمان الفارسي المقصود. وإن محمد حجابه المتصل ونبيه المرسل وكتابه المنزل وعرشه العظيم وكرسيه المتين. وإن السيد سلمان سلسل سلسلبيل بابه الكريم ونهجه القويم الذي لا يؤتى إليه إلاّ منه، وسفينة النجاة وعين الحياة حي على الصلاة حي على الصلاة. صلّوا يا معشر المؤمنين تدخلوا الجنّة التي أنتم بها موعودين، حي على الفلاح حي على الفلاح تفلحون يا مؤمنين وتخلصون من كثائف الأبدان وظلمة الأجسام وتسكنون بين الحور والوالدان وتعاينون مولاكم الجليل أمير النحل العلي الكبير.

« ا أكبر ا أكبر، مولاكم أمير النحل علي أكبر ممن تكبر وأعظم ممن تجبر، صمداً لا يرام، عزيزاً لا يضام، قيوماً لا ينام. ا أكبر ا أكبر، قد قامت الصلاة على أربابها وثبتت الحجة على أصحابها.

« أسألك يا أمير النحل يا علي بن أبي طالب أن تقيمها وتديمها، كما دامتـا السـماء والأرض. واجعل السيد محمد ختامها وصيامها وصلاتها، والسيد سلمان سـلامها وزكاتهـا، والمقداد يمينها ومعينها، وأبو الدر شمالها وكمالها، والعالمين سبيلها، والمؤمنين دليلهـا إلـى الأبد. آمين ».

القداس الرابع

قـداس الإشـارة

« الحمد على التمام، عِلي نور الأنام، عِلي رب العزة، علي فالق الحبة، عِلي باري النسمة، عِلي ينبوع الحكمة، عِلي مفتاح الرحمة، عِلي سراج الظلمة، عِلي جبار الجبابرة، علي مبيد الأكاسرة، علي صاحب القباب الفاخرة، علي إمام المحراب، علي قالع الباب، علي مفرج الكربات، علي صاحب المعجزات، علي داحي الأرض، علي حبه فرض، علي نزهة الشيب، علي عالم الغيب، علي مالك الدنيا، علي صاحب الآخرة والأولى، علي شق الصخر، علي نور الفجر، علي نهر الخمر، علي أبو الحسن، علي نهر اللبن، علي معلّل العلـل، علـي مفنـي حركات الدول، علي نهر العسل، علي نهر الماء، علي رافع السماء، علي بديع الزمان، علـي رفيع الشان، علي كثير العجائب، علي رب المشارق والمغارب، علي حيدرة الأصلع، علـي البطين الأنزع، علي صاحب النون، علي السر المكنون، علي شجرة الزيتون، علي عالم مـا في الصدور، علي البحر المسجور، علي صاحب القدرة، علي شقّ الصـخرة، علـي سـورة البقرة، علي فارس الفوارس، علي محيي العظام الدوارس، علي منزل الكتاب، علـي مفـرق السحاب، علي رد الشمس، علي قابض على كل نفس، علي العزيز الجبار، علي قادر قهـار، علي ضارب بذو الفقار، علي حيدرة الكرار، علي جبار الأرض،

علي صاحب النوافل والفرض، علي أحد فرد، علي هابيل، علي شيت، علي يوسف، علي يوشع، علي آساف، علي شمعون الصفى.

« وإلى هذا المعنى نسبح ونقدس ونهلّل ونكبر ونمجد ونعظّم. إلى ما أشارت إليه الأولين، ودلّت على قدم معنويته الأنبياء والمرسلين. ونشير إلى ما أشار إليه شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصيبي، ونشير إلى ما أشار إليه جده محمد بن نصير العبدي البكري النميري، ونشير إلى ما أشار إليه سلمان الباب، ودلّ على معنويته السيد محمد الحجاب، في السبعة الأقباب، من هابيل الرضى إلى حيدرة أبي تراب.

« اعلموا يا أخواني إن إلهكم معنى المعاني، القديم الأحد الفرد الصمداني. بولايته نرتفع إلى جنان الرضى، وزيادة الأنوار. اعلموا أن هذه صلاتنا وحجنا وزكاتنا وإشارتنا وعبادتنا في سر سرنا وخالص يقيننا إلى علي بن أبي طالب الأنزع البطين الذي لا يتجزأ ولا يتبعض ولا ينثني في قسم، ولا يدخل في عدد، ولا يحول ولا يزول ولا تغيره الأزمنة والدهور، المكنّى بحيدرة أبي تراب الذي له ولعظم جلال هيبته وكبريا سنى برق لاهوته تخضعت له الرقاب، وذلّت له الأمور الشداد الصعاب. »

٢) سورة التبرى أوالشتائم

« استغفر ا العلي العظيم من كل ذنب عظيم من جميع الخطايا والبلايا والزلل، على نية الصلاة نصلّي إن شاء ا تعالى. أسألك يا أمير النحل، يا علي بن أبي طالب، أن تجعلها منّا ساعة إجابة وساعة

غفران، وساعة رضوان، وتقبلها بأحسن قبول، بحق السيد الرسول، وفاطمة البتول، ومحسن سر الخفي، والليل الساجي السدول، أن تقبلها منّا كما قبلتها من أوليائك الصالحين، وأنبيائـك المرسلين، وأهل طاعتك أجمعين من الأولين والآخرين. روى الخبر عن أبي شعيب محمد بن نصير العبدي البكري النميري أنّه قال: من أراد النجاة من حر النيران، فليقل:

« اللهم! العن فيئة أسست الظلم والطغيان الذين هم التسعة رهـط المفسـدين، الـذين أفسدوا وما أصلحوا بالدين، الذين هم إلى جهنم سائرين، وإليها ضالين، أولهم أبو بكر اللعين، وعمر ابن الخطاب الضد الأثيم، وعثمان بن عفّان الشيطان الرجيم، وطلحة وسـعد وسـعيد، وخالد بن الوليد، صاحب العمود الحديد، ومعاوية وابنه يزيد، والحجاج بـن يوسـف الثقفـي النكيد، وعبد الملك بن مروان البليد، وهارون الرشيد. خلّد عليهم اللعنة تخليداً ليوم الوعيـد، يوم يقال لجهنّم: هل امتلئت؟ فتقول: هل من مزيد؟[١٠].

« ثم إنك يا علي بن أبي طالب تفعل ما تشاء وتحكم بما تريـد، وأسـألك أن تنـزل سخطك وعذابك على إسحق الأحمر المخزول[١١]، وإسمعيل بن خلاّد الجهول، والعن الشـيخ أحمد البدوي، والشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ إبراهيم الدسوقي، والشـيخ محمـد المغربـي، والشبل المرجان، والشيخ عبد القادر الكيلاني، وكل يهودي ونصراني. والعن المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي.

----

(١٠) سورة ق ٥٠ / ٣٠.

(١١) إسحق الأحمر صاحب الفرقة « الإسحاقية » من جملة غلاة الشيعة. تميل « الى تقرير الشـركة فـي النبوة » بين علي ومحمد (الشهرستاني ١ / ١٨٨) وتُسمى أيضاً بـ« الأحمرية ». أما سـائر الأسـماء فهي من عشائر نصيرية...

« وانزل يا أمير النحل يا علي بن أبي طالب سخطك وعذابك على الجلند بن كركر، واسحق الأحمر، وعاقر الناقة قيدار، وحبيب العطّار. فأدخلهم في سقر، وما أدراك ما سقر، لا تبقي ولا تزر، لواحة للبشر، عليهم اللعنة تسعة عشر(١٢).

« والعن لعابي القرود، ومساكي الحيات السود، وجميع النصارى واليهود، وكل مـن يعتقد في علي بن أبي طالب آكلاً أو شارباً أو مولوداً أو ناكحاً. لعنهم ا . واجعل اللعنة على يوحنا مارون، البطرك الملعون(١٣)، وعلى كل من أكل خيرك، وعبد غيرك. وأبرئنـا مـنهم براءة تامة تبرئة اللحم عن العظم، بحرمة علي ومحمد وسلمان، وبفضل ع م س ».

٣) الأدعيـة النصيرية

دعـاء اليمين

« أسألك يا أمير النحل يا علي يا عظيم، بحق هذه الصـلاة والسـجود والزيـارات والحدود والبروق والرعود، وبنوح وهود، وبحق توراة موسى

----
(١٢) سورة المدثر ٧٤ / ٢٧ ـ ٣٠.
(١٣) « هذه اللعنة نراها أيضاً، إلى اليوم، عند الروم الأورثوذكس، في سوريا، واحـتفظ بهـا الملكـانيون. ورأيناها في مخطوطات عديدة... ويجب أن تكون قديمة أيضاً عند النصيريين الذين عرفوا المؤسسـات المارونية في جبل السماق قبل الجيل التاسع للميلاد... انظر مقالة:
H. Lammens, Etudes, Août, 1899, p. 475-476.

وإنجيل عيسى وقرآن محمد وزبور داود، وبحق صورتك صورة الوجود المرئية في الضياء والظل والممدود، وبحق يتيمك المقداد ابن الأسود الكندي، الذي قدت منه عالم الصفا قدود بعد قدود، وبنورك المشتق من باطن العامود[١٤] بأن تخاف وتبارك لأصحاب هذا الخيـر وهـذا الإحسان وهذا الجود، ويجعل خيره علينا وعليكم مورود، والشر عنّا وعنكم مبعداً مطـرود، ويهلك عنّا وعنكم شر الأوباش والضدود، ويرحم لنا ولكم من هو تحت التراب ملحود.

« اللهم صلّي وسلّم على سيدي الخضر الأخضر والملك جعفر الطيـار، والسـلطان حبيب النجار الذي نجر العود بالعود، والسلطان ابراهيم وولده محمود، ويقدس ويـرحم روح سيدي وأستاذي الشيخ حسن ماسك وطا العوجة والشـيخ حسـن الأجـرود، والشـيخ علـي الصوبري والشيخ علي بن ممدود، والشيخ سعد وأخيه الشيخ مسعود، وبالسفرقية الشيخ داود. ويقدس ويرحم أرواح جميع المؤمنين في أربع أركان الدنيا والحدود. علينا وعليكم السلام من علي الانزع المعبود. سلّموا تسلموا من جميع البلاء والنكود ».

دعـاء الشمال

« ابتدأتُ وتوسلتُ إليك يا أمير النحل، يا علي يا عظيم يا قديم الأيـام، يـا صـاحب العصر والزمان، بحق أربعة عشر مرتبة من مراتب السلام منها سبعة عدت للعـالم الكبيـر وسبعة أخرى عدت للعالم الصغير. بحقّ ما بينهما من التسبيح والتكبير والتعظـيم والتقـديس والتذكير، بشبر ومشبر

---

(١٤) « أي عامود الصبح الذي هو احمرار الشمس عند طلوعها وغروبها ».

وأشبير، بالاسكندر وأزدشير، بالجب والدلو وزليخة والصاع والعير، بأصحاب أهل الكهـف وكلبهم قطمير، بالمغارة والقنطرة والشب المسجى على السرير، وبحق من غـازى وحـارب وقاتل الجان في قرار البير، بأربع بيعات لمولانا العلي الكبير: بيعة دار الخيزران، وبيعـة أم سلمى، وبيعة رضوان تحت الشجرة، وبيعة خم يوم عيد الغدير، بأن تخاف وتبارك أصـحاب هذا الجود والاحسان والخير، ويدبر حالنا وحالكم بأحسن التدبير، ومهما أمسكتموه بأيديكم يقبل ويصير، ويتقبل عليكم الحنطة والشعير، والذرة والسمسم والقطن والحرير، ويقـدس ويـرحم روح سيدي الشيخ محمد الكبير والشيخ حيدر الكبير، والشيخ إبراهيم بضاش دامير، والشـيخ يوسف القصير، ويقدس أرواح جميع المؤمنين في أربع أقاطير ».

*****

بعد هذا الفصل الطويل في أعياد النصيريين واحتفالاتهم وصلواتهم وبعد ملاحظتنـا لهذا التنوع في المصادر، نشير إلى صعوبة معرفة انتماء النصيريين الديني. فهل هـم بقايـا مسيحيين انقطعوا عن الكنيسة بسبب الاضطهاد والقهر، كما يقول « لامنس »؟ أم هم بقايا من الوثنيين الفينيقيين، كما يقول « دوسو »؟ أم هم من متطرفي الشيعة الذين خرجوا على الإسلام السنّي والشيعي المعتدل معاً، كما يقول « ماسينيون »، و « الشهرستاني »، « والبغـدادي »، و « النوبختي »، وغيرهم من مؤلّفي الفرق؟ هذا ما سـنراه الآن. وسـنرى أيضـاً علاقـة النصيريين بمختلف الأديان والمذاهب التي عرفوها وعايشوا أصحابها وخضعوا لنفوذها.

*****

الفصل الثامن

النصيرية وسائر الأديان

أولاً : موقف النصيرية من الأديان عامة

ثانياً : النصيرية والإسلام

ثالثاً : النصيرية والدرزية

رابعاً : النصيرية والمسيحية

أولاً: موقف النصيرية من الأديان عامة

إذا كانت النصيرية، كما رأينا حتى الآن، تعتمد على بعض العقائد المسيحية والإسلام، وإذا كانت تعاليمها مزيجاً من القرآن والتوراة والإنجيل، ومن الغنوصـية والمانويـة، ومـن الوثنية القديمة، ومن عبدة الكواكب والنجوم، بحسب ما نقل إلينا منها الطبراني في « مجموع الأعياد »، فإن كل هذا لا يعني بأنّها كانت تقابل مجمل هذه الأديـان والمـذاهب بالتسـامح والقبول. فهي تختلف عنها بجوهر عقيدتها، حتى لو كانت هذه العقيدة تلم مجمل عناصرها من هنا وهناك. فموقف النصيريين من الأديان والشرائع السابقة هو موقـف عـداء ومناصـبة، وموقف نسخ لها وإلغاء.

في رأي النصيريين، إن ا ، عندما ظهر بعلي، ألغى كل ما تقدم من شرائع، ولم يبق منهـا إلاّ أسماؤها وأسماء أصحابها، ولم يلزم بهـا أحداً من النصيريين. وحجة ذلك هي أن « المقام العلوي » هو أكمل المقامات الإلهية السابقة. وهو، بالتالي، يغني عنها جميعها. قالوا:

« وعند ظهوره بأنزع بطين (أي عند ظهور ا بعلي)، وظهور اسـمه بالمحمديـة، نسخ سائر الشرائع المتقدمة... ولم يطالبنا إلاّ بما قامه لنا من حدود هذه الشريعة (النصيرية)، ولم يستعبدنا في الشرائع المتقدمة... وأما نحن فلم نطالب إلاّ بما نعرفه. وأما ما سـلف مـن المقامات ما بقى معنا منها إلاّ أساميها. وأما حدودها وشرائعها فلم يلزمنا بها،

إذا علمنا أن صاحبها واحد. ولو ألزمنا إقامة حدودها لوجب أن نصلّي مع النصارى، ونصوم بصومهم، ونقوم مع اليهود فيما هم فيه، ومع البراهيمية، وغيرهم من أصحاب الشرائع »[١].

وسبب تخطّي هذه الشرائع هو أن المقام الأخير أكمل من المقامات الماضية. فـ« إذا تحقّقت أن صاحب هذا المقام هو صاحب المقامات الماضية غنيت عن عبادتك للسبع أسـامي في وقت واحد... (لكن) إذا عبدت سبعة في وقت واحد لزمك أن تقيم لكل اسم منهـا معنـى ناطق حتى تصح دعواك »[٢].

والسبب أيضاً، في رأي النصيريين، إن الأمم، قبل موسى وقبل كل الشرائع، كانـت تعتمد على حكمة العقل وفطنة القلب. ولم تكن يوماً بحاجة إلى شريعة، فلذلك يمكن الاستغناء عن الشرائع الماضية وعن أصحابِها معاً. سأل سائل:

« أخبرني عن الذين كانوا قبل زمان موسى، لا كتاب لهم ولا رسول يأتيهم... أيـن كان لهم البصيرة، وكيف كانت لهمـ الحجة؟ كيف عرفـوا الحقّ والبـاطل؟... أجاب العالم: « بعقولهم وفطن قلوبهم وآيات ربهم »[٣].

ثم يعتبر النصيريون أن كل ما جاءت به الرسل والأنبياء من أديـان وشـرائع هـي صادقة وكاذبة في آن معاً. ولكن كان ذلك لحاجة الناس بحسب أوضاعهم وظروف حيـاتهم، تماماً كالثوب الذي تخيط منه عدة ألبسة لعدة مناسبات. وكل لباس منها يفيد بوقته، ولا يفيـد لوقت آخر. قال السائل:

----

(١) كتاب المناظرة، ص ١٠٧ ب، ١٠٨ ب.
(٢) نفس المرجع، ص ١٠٩ أ.
(٣) كتاب الأسوس، ص ٣٤ أ.

«... قد رأيت الولي والعدو يعبدون ا ويتضرعون إليه بكلّ شريعة مع كل قبيلـة، وكلّهم يبتهلون ويبكون خوفاً وطمعاً، ويرجون لقاه؛ فإن كانوا كلّهم مصيبين فكلّهم مخطئـون، لأنّهم يكفروا بعضهم في بعض. ففي ذلك الكفر المحض إذا كفر من كان على الحق، وإن قال قائل كلّهم على صدق.

« قال العالم: من قال ذلك؟... إن الأنبياء وكلاء ا ، يريد أن يعبد ا بكل لسان فـي كل جهة ترابيع الأرض، كما يعبد في ترابيع السماء بكل لسان آدمي كما يعبد بكل لسان ملكي على كل جهة. وكلّهم يبنون له بيوت يذكر فيها اسمه، ويعبد إلى أن يشاء ا ما يشـاء مـن تغيير وزيادة ونقصان، حتى لا أحد يعبد إلاّ الرب بقدرته؛ ويظن الجاهل أن تنـاقض ونفـى بغير علم، وأن الذي أرسل هؤلاء غير حكيم...

« ومثل ذلك مثل ثوب قطع منه رجل طيلساناً يتجمل به وينتفع منه، ثم خـاط منـه خائطاً جبة لينتفع منها، وهي خلاف الطيلسان، لا تصلح لما يصلح له الطيلسان، ولا أفضـل منه. ثم جعل له من الثوب نفسه سراويل... بمثل هذا يعيش الناس بعض من بعض...

« فإن ربنا خاق الخلق فعلم بصلحهم في كل زمان، فأرسل إليهم في كل زمـان نبيـاً يصلحهم ويبطل شريعة من كان قبله ويخرجهم من شريعة إلى شريعة حتى يتم الحكمة ويبلغ الهمة ويتم العلم والتقديم إلى آخر الأبد على انقطاع العال. كل ذلك يظهر فيهم قدرته، ويبـين آياته. ولو كان ديناً واحداً لكان غير حكيم، كما فصل صاحب الثوب... كذلك الخالق أظهـر فيهم قدرته ويبين آياته. ولـو كانت آية واحدة من رسول واحد لكان غير حكيم لمـا يصـلح العباد »[٤].

لكن، إذا كان النصيريون بالظهورات الإلهية الستة السابقة، ويعتبرونهـا ضـرورية للظهور الأخير في علي بن أبي طالب، فمعنى ذلك أنّهم يعتمدون في دينهم على سائر الأديان السابقة، ويأخذون بشرائعها وبأصحابها. علماً بأن الظهور الأخير جاء ليعتمد عليها وليلغيهـا في آن معاً. تماماً كما جاء على لسان المسيح: « أتيت لأكمل الناموس لا لألغيه »، ولكن اتمام الناموس السابق، في المسيحية كما في النصيرية، يقضي تصحيحه واكماله، لأن فيـه نقصـاً وضعفاً.

ولكن أيضاً، إذا كانت الدعوة النصيرية مغلقة، لا تسمح لأحد بالدخول إليها والاطّلاع عليها، وبالتالي، يكون عدد النصيريين، كما جاء في كتبهم أربعة وعشرين ألفاً، فمعنى ذلـك أيضاً أن كلّ الخوارج عن النصيرية هالكون لا محالة. وبالتالي، يكون هؤلاء كفرة وملحدين، ولا يستحقّون معرفة « سر الأسرار »، كما لا يستحقّون الانتماء إلى النصيرية، ولو أعجبتهم. فالمصيبة الكبرى هي أن لا يستطيع الإنسان الخارج عنهم أن يلبي فيه نداء صوت الحقّ. فهل ستفتح الأبواب يوماً؟

في كل حال، إن لم يفتح الحقّ مدخلاً إليه، فإن لنا بمعرفته كلّ عزاء. ونحن نكتفـي بالبحث عنه إذ فيه كل الجزاء.

*****

----

(٤) كتاب الاسوس، ص ٣١ ـ ٣٢.

ثانياً: النصيرية والإسلام

ليس من الصعب علينا معرفة العداء المستشرى بين النصيريين والمسلمين عامة، على مختلف شيعهم وفرقهم. ومن يتصفّح تاريخ النصيريين ومجمل تعاليمهم لن يصعب عليه لمس ذلك لمس اليد. « لقد كانوا دائماً أعداء للإسلام السنّي، دين قاهرينهم[١] فلازم القهر تاريخهم، وأفتى بعض الأئمة المسلمين بكفرهم، وحلّلوا دماءهم وأموالهم، وأوجبـوا ضـدهم الجهـاد المقدس، ومنعوا على المسلم الزواج بنسائهم. وذلك واضح في « فتاوي ابن تيمية »[٢] الـذي عنه ننقل:

قال «... في النصيرية القائلين باستحلال الخمر، وتناسخ الأرواح، وقدم العالم، وإنكار وجود البعث والنشور، والجنّة والنار في غير الحياة الدنيا، وإن الصلوات الخمس عبارة عـن خمس أسماء وهي: علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة. فذكر هؤلاء الخمسة يغنـيهم عـن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية شروط الصلاة وواجباتها. وإن الصوم عندهم عبارة عـن اسم ثلاثين رجلاً وثلاثين امرأة...

... وإن الذي خلق السموات والأرض هو علي بن أبي طالب، وهو عندهم الإله فـي السماء والإمام في الأرض. فكانت الحكمة في ظهور اللاهوت

----

(١) H. Lammens, Les Nosairis furent-ils chrétiens? dans Rev. de l'Orient chrétien, 1900, p. 16…

(٢) تقي الدين أحمد بن تيمية (+ ٧٢٨ هـ / ١٣٢٨ م)، يبدو معرفته بالنصيريين...

بهذا الناسوت، على رأيهم، إنه ليؤنس خلقه وعبيده ليعلّمهم كيف يعبدونه ويعرفونـه. وبـأن النصيري عندهم لا يصير نصيرياً مؤمناً يجالسونه ويشربون معه ويطلعونه على أسـرارهم ويزوجونه من نسائهم، حتى يخاطبه معلّمهم. وحقيقة الخطاب عندهم أنّهم يحلّفونه على كتمان دينهم ومعرفة مشايخه واكبار أهل مذهبه...

« فمن حقيقة الخطاب عندهم والدين أن يعلم أن علياً هو الرب، ومحمد هو الحجاب، وسلمان هو الباب، وذلك على الترتيب، لم يزل ولا يزال. ومـن شـعر بعـض فضـلائهم، المشهور عنه، قوله الملعون:

أشـهد أن لا إلـه إلاّ علي الأنـزع البطيـن
ولا حجـاب علـيه إلاّ محمد الصـادق الأمين
ولا طـريق إليـه إلاّ سلمـان ذو القـوة المتين.

وكذلك الخمسة الأيتام، والاثنا عشر نقيباً، وأسماؤهم معروفة عندهم في كتبهم الخبيثة، لا يزالون يظهرون مع الرب والحجاب والباب في كل كور ودور أبداً سـرمداً، وأن إبلـيس الأبالسة هو عمر بن الخطاب، ودونه في رتبة الإبليسية أبو بكر، ثم عثمان، رضي ا عنهم أجمعين ونزههم وأعلى رتبهم عن أقوال الملحدين وانتحال الغالين المفسدين، ولا يزالون فـي كل وقت ملعونين حيثما ذكروا.

« ومذاهبهم الفاسدة، شعب وتفاصيل، ترجع إلى هذه الأصول...

« وهذه الطريقة الملعونة استولت على جانب كبير من بلاد الشـام فهـم معروفـون مشهورون يتظاهرون بهذا المذهب. وقد حقّق أحوالهم كل من خالطهم وعرفهم مـن عقـلاء المسلمين وعلمائهم وعامة الناس أيضاً في هذا الزمان، لأن أحوالهم كانت مستورة عن كثيـر من الناس وقت استيلاء الافرنج

المخذولين على البلاد الساحلية. فلما كان أيام الإسلام[٣] انكشـف حـالهم وظهـر ضـلالهم. والابتلاء بهم كثير جداً والحالة هذه.

« وما حكم الجبن المعمول من أنفحة ذبيحتهم؟

« وما حكم أوانيهم وملابسهم أيضاً؟

« وهل يجوز دفنهم بين المسلمين، أم لا؟

« وهل يجوز استخلافهم في ثغور الإسلام وتسليمها إليهم، أم لا؟

« وهل يجب على ولي الأمر قطعهم واستخدام غيرهم من رجال المسـلمين الكفـاة؟ وهل يأثم إذا أخذ في طردهم واستخدام غيرهم؟ أم يجوز له التمهل، مع أنّه في عزمه ذلـك؟ فإذا استخدمهم، ثم قطعهم أو لم يقطع، هل يجوز صرف أموال بيت المال عليهم؟ وإذا صرفهم وتأخّر بعضهم بقية من معلومهم المسمى فأخره ولي الأمر عنه وصرفه علـى غيـره مـن المسلمين المستحقين أو أرضوه لذاك، هل يجوز له فعل ذلك على هذه الصورة، أم يجب عليه؟

« وهل دماء النصيرية المذكورين مباحة، وأموالهم حلال، أم لا؟

« وإذا جاهدهم ولي الأمر، أيده ا تعالى، لإخماد باطلهم وقطعهـم مـن حصـون المسلمين، وحذّر أهل الإسلام من مناكحتهم وأكل ذبائحهم، وأمرهم بالصوم والصلاة، ومنعهم من إظهار دينهم الباطل وهو بعينه من الكفر، هل ذلك أفضل وأكثر جـزاء مـن التصـدي والترصد لقتال التتار في بلادهم وهجم بلاد الصين وبلاد الزنج على أهلها، أم هذا أفضل؟

---

(٣) يعني: « لما عادت دولة الإسلام إلى هذه البلاد ». (عبد الرحمن ٤٤٧).

« وهل يعد مجاهد النصيرية المذكورين مرابطاً، ويكون أجره كأجر المـرابط فـي الثغور على ساحل البحر خشية قصد الافرنج، أم هذا أكثر جزاء؟

« وهل يجب على من عرف المذكورين ومذهبهم أن يشهر أمرهم ويساعد على إبطال باطلهم وإظهار الإسلام بينهم، فلعلّ أن ا ذريتهم وأولادهم مسلمين، أم يجـوز لـه التغافـل والاهمال؟

« وما أجر المجتهد على ذلك والمجاهد فيه والمرابط والعازم عليه؟

« وابسطوا القول في ذلك مثابين مؤيدين مأجورين.

« هؤلاء القوم الموصوفون المسمون بالنصيرية، هـم وسـائر أصـناف القرامطـة الباطنية، أكفر من اليهود والنصارى، بل وأكفر من كثير من المشركين. وضررهم على أمـة محمد أعظم من ضرر الكفّار المحاربين مثل كفّار الترك والافرنج وغيـرهم. فـإن هـؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بـا ولا برسوله ولا بكتابة، ولا بأمر ولا بنهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنّة ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد، ولا بملة من الملل السالفة، بل يأخذون كلام ا ورسوله المعروف عنـد المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها ويدعون بأنّها علم الباطنية...

« ليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الإلحاد في أسماء ا وآياته، وتحريف كلام ا ورسوله عن مواضعه. إذْ مقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام بكل طريق، مع التظـاهر بأن هذه الأمور حقائق يعرفونها...

« ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنّفة. فإذا كانت لهم مكنـة سفكوا دماء المسلمين، كما قتلوا مرة الحجاج وألقوهم في زمزم، وأخذوا الحجر الأسود وبقي معهم مدة، وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم

وأمرائهم وصدورهم من لا يحصى عددهم إلاّ ا تعالى. وصنّفوا كتباً كثيرة فيها... وصنّف علماء المسلمين كتباً من كشف أسرارهم وهتك أستارهم، وبينوا ما هـم عليـه مـن الكفـر والزندقة. وبالالحاد الذين هم فيه أكفر من اليهود والنصارى، ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام...

« ومن المعلوم عندهم (أي عند علماء المسلمين) أن السواحل الشامية إنّمـا اسـتولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائماً كلّ عدو للمسلمين. فهم مع النصارى على المسـلمين. ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار. ومن أعظم المصائب عندهم فـتح المسلمين الساحل وقهر النصارى. ومن أعظم أعيادهم إذا استولى ـ والعياذ با ـ النصارى على ثغور المسلمين. فإن ثغور المسلمين ما زالت بأيدي المسلمين حتى جزيرة قبرص فتحها المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفّان، فتحها معاوية بن أبي سفيان، إلى أن أتت المائة الرابعة، فان هؤلاء المحادين (أي المعادين) ورسوله كثروا حينئذ بالسواحل وغيرها. فاستولى النصارى بسببهم، ثم استولى على القدس وغيره ـ فإن أحوالهم كانت مـن أعظـم الأسباب (المؤدية إلى استيلاء النصارى على القدس والشام).

« ثم لما أقام ا ملوك الإسلام، كنور الدين الشهيد (نور الدين زنكـي (+ ١١٧٤ م) وصلاح الدين (+ ١١٩٣ م) وأتباعهما، وفتحوا الساحل من النصارى (الصليبيين) وممن كان بها منهم، فتحوا أيضاً أرض مصر، فإنّهم كانوا متولين عليها نحو مائتي سنة[٤]، واتّفقوا هـم والنصارى. فجاهدهم المسلمون حتى إنّهم فتحوا البلاد. ومن ذلك التـاريخ انتشـرت دعـوة الإسلام في البلاد المصرية والشامية. ثم إن التتار دخلوا بلاد المسلمين

---

(٤) يقصد الفاطميين الذين استولوا على مصر والمغرب.

وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين بمعاونتهم ومؤازرتهم، فإن منجم هلاكو سلطان التتار[5] الذي كان وزيره النصير الطوسي بالألموت، هو الذي أمر بقتـل الخليفـة وبولايـة هؤلاء.

« وشرح مقاصدهم يطول، كما قال العلماء فيهم: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض، وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بشيء من الأنبياء والمرسلين، لا بنوح ولا بـإبراهيم ولا موسى ولا عيسى، ولا محمد، ولا بشيء من كتب ا   المنزلة، ولا التوراة ولا الإنجيـل ولا القرآن. ولا يقرون بأن للعالم خالقاً خلقه، ولا بأن له ديناً أمر به، ولا أن له داراً يجـزى الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار.

« وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب المتفلسفة الطبيعية أو الالاهيين، فـإنّهم تـارة يبنونه على قول المتفلسفة وغرض المجوس الذين يعبدون الثور ويضحون إلـى درك الكفـر والرفض، ويحتجون لذلك من كلام النبوات... وقد دخل كثير من باطلهم علـى كثيـر مـن المسلمين... وفيه (في باطلهم) أيضاً جحد شرائعه (شرائع ا) ودينه، وجحد مـا جـاء بـه الأنبياء، والدعوى أنهم كانوا من جنسهم طالبين الرئاسة. فمنهم من أحسن في طلبها، ومـنهم من أساء حتى قتل... وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزكاة والصوم والحج ومن تحليل نكـاح ذوات المحارم وسائر الفرائض ما يطول وصفه.

« وفيهم إشارات ومخاطبات يعرف بها بعضهم بعضاً. وهم إذا كانوا في بلاد الإسلام التي يكثر فيها أهل الإيمان فقد يخفَون على من لا يعرفهم. وقد اتّفق علماء الإسلام علـى أن مثل هؤلاء لا تجوز مناكحتهم، ولا يجوز

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(5) هولاكو (+ ١٢٦٥ م) فاتح مغولي أخضع أمراء الفرس والإسماعيلية في ألموت ١٢٥٦ م، وقضى على الخلافة العباسية في بغداد ١٢٥٨ م واحتل سوريا...

أن ينكح الرجل مولاته منهم، ولا يتزوج منهم امرأة، ولا تباح ذبائحهم. وأما الجبن (فمختلف فيه بين المذاهب. منهم من ينجسه ومنهم من يسمح به ولكن على حذر). وأما أوانيهم وملابسهم... فلا تستعمل إلاّ بعد غسلها... ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين، ولا يصلّى على من مات منهم... وأما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم وجندهم فهو من الكبائر، بمنزلة من استخدام الذئاب لرعي الغنم، فإنهم من أغشّ الناس للمسلمين ولولاة أمرهم، ومن أحرص الناس على فساد الملّة والدولة، ومن أحرص الناس على تسليم الحصون إلى أعداء المسلمين...

« لكن دماؤهم وأموالهم مباحة، وإذا أظهروا التوبة، ففي قبولها منهم نزاع بين العلماء... ولا ريب أن جهاد هؤلاء من الحدود عليهم أعظم الطاعات وأكبر الواجبات... ولا يحلّ لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم، بل يفشون أخبارهم ويظهرونها ليعرف المسلمون حقّ حالهم... ولا يحلّ لأحد أن يعاونهم على بقائهم في الجند والمستخدمين. ولا يحلّ لأحد أن ينهي عن القيام عليهم بما أمر ا ورسوله. فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد في سبيل ا تعالى... »[٦].

بعد هذه الفتوى بوقت قصير مر الرحالة ابن بطوطة (++ ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) ببلاد الشام وأخبر عنهم، وقال:

« وأكثر أهل هذه السواحل هم الطائفة النصيرية الذين يعتقدون

---

(٦) تجد هذه الفتوى لابن تيمية في « مذاهب الإسلاميين » لعبد الرحمن بدوي ج ٢ ص ٤٤٥ ـ ٤٥٧. وفي: S. Guyard, J. A. 6°, XVIII, ….

أن علي بن أبي طالب إله. وهم لا يصلّون ولا يتطهرون ولا يصومون. وكان الملك الظـاهر (+ ١٢٢٦ م) ألزمهم بناء المساجد بقراهم. فبنوا بكلّ قرية مسجداً بعيداً عـن العمـارة، ولا يدخلونه ولا يعمرونه. وربما أوت إليه مواشيهم ودوابهم، وربما وصل الغريب إليهم، فينـزل بالمسجد ويؤذّن للصلاة، فيقولون له: لا تنهق! علفك يأتيك. وعددهم كثير »[٧].

ويخبر ابن بطوطة عنهم بأن الإمام « أمرهم بالتجهيز لقتـال المسـلمين وأن يبـدأوا بمدينة جبلة... فغدروا مدينة جبلة، وأهلها في صلاة الجمعة، فدخلوا الدور وهتكوا الحـريم. وثار المسلمون من مسجدهم فأخذوا السلاح وقتلوهم كيف شاؤوا... حتى قتلوا مـنهم نحـو عشرين ألفاً، وتحصن الباقون بالجبال، وراسلوا ملك الأمراء والتزموا أن يعطوه ديناراً من كل رأس إن هو حاول إبقاءهم... (ووصل) الخبر إلى الملك الناصر، وصدر جوابـه أن يحمـل عليهم بالسيف. فراجعه ملك الأمراء وألقى له أنّهم عمال المسلمين في حراثة الأرض، وأنهـم إن قتلوا ضعف المسلمون لذلك، فأمر بالإبقاء عليهم »[٨].

وفي الباكورة السليمانية إشارة واضحة إلـى العـداء المسـتحكم بـين النصـيريين والمسلمين. فالنصيريون، في صلواتهم « يطلبون من ربهم لأجل إبـادة حكّام المسلمين »[٩]، « وإذا دخلوا المسجد مع المسلمين فلا يتلون من الصلاة شيئاً، بل يخفضون ويرفعون مثلهم، ويشتمون أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم »[١٠]. وإذا مات شرفاء المسلمين الراسـخون فـي العلم

----

(٧) ابن بطوطة في رحلته، دار صادر، بيروت ١٩٦٤، ص ٧٩ ـ ٨٠.
(٨) نفس المرجع، ص ٨٠.
(٩) الباكورة السليمانية، ص ٥٣ ـ ٥٤.

« تحلّ أرواحهم في هياكل الحمير »[١١].

بيد أن نصيريي اليوم، وقد علّمهم التاريخ دروساً قاسية، وحطّم كيانهم السياسي، وفتك بمئات الألوف منهم، وقهر عزتهم، رجعوا إلى مبادئ « التقية » عندهم، وحفظـوا سـرهم، ليصونوا أنفسهم، فاستَجدوا من المسلمين فتوى بانتمائهم إلى الإسلام فجاء على لسان الحـاج أمين الحسيني بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٣٥٥ هـ ما يلي:

« إن هؤلاء العلويين مسلمون، وإنّه يجب على عامة المسلمين أن يتعاونوا معهم على البر والتقوى، ويتناهوا عن الإثم والعدوان، وأن يتناصروا جميعاً، ويتضافروا، ليكونوا قلبـاً واحداً، في نصرة الدين، ويداً واحدة في مصالح الدين، لأنّهم أخوان في الملّة، ولأن أصـولهم في الدين واحدة، ومصالحهم في الدين مشتركة، ويجب على كل مـنهم، بمقتضـى الأخـوة الإسلامية، أن يحب للآخر ما يحب لنفسه. وبا التوفيق » (عن جريدة الشعب الدمشـقية ٣١ تموز سنة ١٩٣٦)[١٢].

وتجاوب النصيريون مع هذه الفتوى المدهشة، وأعلنـوا إسـلامهم قـائلين: « نحـن الموقّعين، الشيوخ الروحيين المسلمين العلويين، دحضاً لما يشاع عن أن المسلمين العلـويين غير مسلمين، وبعد التداول بالرأي، والرجوع إلى النصوص الشرعية، قررنا البندين الآتيين:

أ ـ كل علوي هو مسلم، يعتقد بالشهادتين، ويقيم أركان الإسلام

----

(١٠) الباكورة السليمانية، ص ٨٢.
(١١) نفس المرجع، ص ٨١.
(١٢) منير الشريف، المسلمون العلويون من هم؟ وأين هم؟ ص ١٠٧.

الخمس.

٣ ـ كل علوي لا يعترف بإسلاميته، وينكر أن القرآن الشريف كتابه، وأن محمداً نبيه، فلا يعد بنظر الشرع علوياً، ولا يصح انتسابه للمسلمين العلويين... »

ويلي هذا البلاغ أسماء الشيوخ الموقّعين[١٣]. وكان ذلك في شهر تموز سنة ١٩٣٦. وفي شهر آذار سنة ١٩٨٠ أعلن الرفيق حافظ أسد انتماءه إلى الإسلام « منذ ثلاثين سنة »... ولكن البيانات والبلاغات لن تمحوا فتوى ابن تيمية وشهادة ابن بطوطة ووثائق عهد الانتداب.

ولن يقلّ انتماؤهم إلى الإسلام عن انتمائهم إلى العروبة. فهم، إن أعلنوا عروبتهم بالصراخ والضجيج، فلن يتمكّنوا من تغيير صفحات التاريخ. فانجذابهم إلى الفرس كان منذ نشأتهم، وكذلك كان عداؤهم للعرب. فالنصيريون « يظهرون انجذاباً للايرانيين أكثر مما يظهرونه للعرب والأتراك المحيطين بهم »[١٤]، و « قبلاً لم يقبلوا أحدا من الطوائف الغريبة الاّ إن كان من العجم »[١٥]، واليوم، كما بالأمس، يناصرون ثورة إيران...

وبالأمس القريب أيضاً، حذّر الملك فيصل عاهل السعودية أنور السادات من التعاون مع علويي سوريا، وذلك قبيل حرب حزيران سنة ١٩٦٧. وأعلن السادات هذا السر في خطاب ١ أيار سنة ١٩٧٩، وقال: « إن الألغام قد أزيلت يومها من هضبة الجولان والقنيطرة قبل دخول الإسرائيليين، وإن السلطة قد بادرت إلى إعدام الضابط الذي أعلن عن

---

(١٣) عن جريدة القبس ٢٧ تموز ١٩٣٦، انظر منير الشريف، ص ١٠٨.
(١٤) M. Ern. Chantre, Archives des Missions scientifiques, 1883, p. 228: 1897, p. 140.
(١٥) الباكورة السليمانية، ص ٨١.

سقوط الجولان قبل سقوطه... »[١٦].

يبدو، من هذه الشهادات، أن حظّ العروبة، عند النصيريون، لم يكن أحسن من حظّ الإسلام. كلا العروبة والإسلام مطعون به. لكن مصلحتهم تقضي اليوم بحمل ألوية متنوعة كألوان قوس القزح. فهم يحملون بحماس لواء الإسلام، ولواء العروبة، ولواء القضية الفلسطينية، ولواء محاربة العدو المشترك، ولواء الأردن والعراق، ولكن إلى حين.

لن نوجه إليهم أي لوم ولا أية تهمة، لأنهم شعب يريد البقاء فهم أقلّية مقهورة وسط أكثريات تضمر لهم الإبادة والزوال. ولئن حملوا كل هذه الألوية فلكي يحتاطوا للحياة. وطلب الحياة خير عظيم في كل حال. وقد شهد لذكائهم عدو لهم لدود، فقال: « ويتمتّعون في غالبيتهم بقسط وافر من الذكاء، وقد عرفوا كيف يتصرفون بمهارة، فباتوا يتمتّعون بنفوذ راجح في داخل الدولة والحزب والإدارة »[١٧].

*****

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(١٦) انظر الجرائد اللبنانية اليومية في ٢ أيار سنة ١٩٧٩.

(١٧) كمال جنبلاط، هذه وصيتي، ص ١١٥.

ثالثاً: النصيرية والدرزية

لم تسلم العلاقة بين النصيريين والدروز. فهم، على كونهما أقلّيتين مضـطهدتين مـن الأكثرية المسلمة، اضطهدوا بعضهم بعضاً منذ نشأتهم. وشر الاضطهاد هـو الـذي يتنـاول العقيدة والدين. هذا لن يستطيع التاريخ محو آثاره، لأنّه مسجل في الكتب المقدسة عند كليهما.

وفيما نحن نبين الخلاف بين المذهبين نقتصر على الخلاف في العقيدة، وما جاء فـي كتبهما.

كتب حمـزة بن علي بن أحمد (+ ٤١١ هـ) نبي الموحدين الـدروز كتـاباً سماه: « الرسالة الدامغة للفاسق. الرد على النصيري. لعنه المولى في كل كور ودور »[١]. جاء فيه: « ورد إلي كتاب ألّفه بعض النصيرية الكافرين بمولانا جلّ ذكره، المشركين بـه، الكـاذبين عليه، الغاوي للمؤمنين والمؤمنات، الطالب الشهوات البهيمية، وبرازة الطبيعية، ودينه ديـن النصيرية الدنية، فعليه وعليهم لعنة مولانا سبحانه، ولعنة الخنـازير[٢] العابـدين لإبلـيس[٣] وحزبه. وسماه: كتاب الحقائق وكشف

(١) رسالة رقم ١٥ من « رسائل الحكمة » جزء ٢، ص ١٦٣ ـ ١٧٥.
(٢) الخنازير كناية عن أهل التنزيل وأهل الظاهر، أهل السنّة.
(٣) إبليس هو صاحب التنزيل والظاهر، محمد.

المحجوب. فمن قبِلَ كتابه عبد إبليس، واعتقد التناسخ[٤]، وحلّل الفروج[٥]، واستحلّ الكـذب[٦] والبهتان. ونسبه إلى الموحدين الحقيقية. وحاشا دين مولانا عز وجلّ من المنكرات. وحاشـا الموحدين[٧] من الفاحشات. وحاشا لعبيد مولانا سبحانه أن ينسب إليهم شيء مـن الشـهوات البهيمية الدنية، والأقاويل الشركية...[٨].

« فلما قرأته وجب علي الاحتياط عليكم معشر الأخوان والحفظ لأديانكم، فكتبت هـذه الرسالة رداً على ما ألّفه هذا الفاسق النصيري، لعنه المولى، كيلا يدخل في أديانكم شبهة، ولا يقع عليكم تهمة.

« فأول ما قال هذا الفاسق النصيري، لعنه المولى، بأن جميع ما حرموه مـن القتـل والسرقة والكذب والبهتان والزنا واللياطة فهو مطلق للعارف والعارفة بمولانا جل ذكره.

« فقد كذّب بالتنزيل والتأويل[٩]، وحرف، وما جاز له أن يسرق مال الناس، ولا وسعة له في الدين أن يكذب إذ كان أصل دينه الكذب وأصل الكفر والشرك. والسدق[١٠] من الإيمان كالرأس من الجسد. والقتل فما يستحسنه أحد إلاّ أن يكون كافراً بنعمة مولانا، مشركاً به غيره.

« وأما قوله أنه يجب على المؤمن أن لا يمنع أخاه من ماله ولا من

---

(٤) يعتقد النصيريون بالتناسخ، فيما الدروز يعتقدون بالتقمص.
(٥) جاء ذلك في « فرق الشيعة » للنوبختي، ص ٧٨. انظر ص ٢٨ من البحث.
(٦) والدروز أيضاً يستحلّون الكذب، ولكن مع غيرهم.
(٧) الموحدون هم الدروز، وهو الاسم المفضل لهم وعندهم.
(٨) يكمل حمزة في عرض ما جاء في كتاب النصيري من تعاليم دنية، ويحذّر منها.
(٩) التنزيل هو شريعة القرآن ومحمد، والتأويل شريعة علي وشيعته.
(١٠) عادة ما تكتب هذه الكلمة بـ« السين » لا بـ« الصاد » لتناسب عدداً معيناً...

جاهه، وأن يظهر لأخيه المؤمن عياله، ولا يعترض عليهم فيما يجري بينهم، وإلاّ فـلا يـتم إيمانه.

« فقد كذب، لعنه ا ، وسرق الأول من مجالس الحكمة[١١] بقوله: لا يمنع أخاه مـن ماله ولا من جاهه، ويستر بذلك كفره وكذبه. وإلاّ فمن لا يغار على عياله فليس بمؤمن... إذ كان الجماع ليس هو من الدين...

« وأما قوله بأن يجب على المؤمنة لا تمنع أخاها فَرجها وأن تبذل فرجها له مباحـاً حيث يشاء، وأنّه لا يتم نكاح الباطن إلاّ بنكاح الظاهر، ونسبه إلى توحيد مولانا جلّ ذكره.

« فقد كذب على مولانا عز اسمه وأشرك به وألحد فيـه، وحـرف مقالـة أوليائـه الموحدين. فعليه وعلى من يعتقده لعنة اليهود والنصارى والمجوس. فطلب هذا الفاسق التهمة في أبدانكن، والفساد في أديانكن. ولو نظرتن، معاشر الموحدات، في الأديان المضلّة لبانـت لكن الحقائق، وامتنعتن عن الشهوات والبوائق، وتفكّرتن في المجالس الباطنيـة التأويليـة... فعلمنا بأنّه لم يكن لهذا الفاسق النصيري، لعنة المولى عليه، بغية غير الفساد في دين مولانـا جلّ ذكره ودين المؤمنين...[١٢].

« وأما قوله بأن أرواح النواصـب والأضـداد[١٣] ترجـع فـي الكـلاب والقـردة والخنازير... وبعضهم في الطير والبوم، وبعضهم ترجع إلى الامرأة التي تثكل ولـدها. فقـد كذّب على مولانا...[١٤].

----

(١١) مجالس الحكمة حيث يجتمع الموحدون ليقرأوا أسفار الحكمة المقدسة.
(١٢) يستفيض حمزة في الشتم بسبب تحليل النصيري فروج النساء لكل أخ في الدين.
(١٣) النواصب هم المسلمون السنّيون، والأضداد كل ملحد مشرك.
(١٤) يضحد حمزة نظرية التناسخ في الحيوانات ويكفّر القائلين بها...

ثم يتّهم حمزة النصيري الذي يعبد علياً ويعتبره إلهاً، ويقول: « لا يكون في الكفر أعظم من هذا... والكفر ما أعتقده الفاسق من العبادة في علي بن أبي طالب والجحود لمولانا جلّ ذكره...

« وأما قوله بأن محمد بن عبد الله هو الحجاب الأعظم.. فقد كذب في جميع ما قاله المنجوس النصيري، فما عرف الدين ولا الحجاب... وهذا قول من عقله سخيف ودينه ضعيف... ».

هذه الرسالة كافية للدلالة على ما بين الدروز والنصيريين من خلاف في التعاليم والدين. وهي تدلّ على معرفة متبادلة بين المذهبين، وعلى احتكاك مباشر بين الشعبين. وقد حدث هذا الاحتكاك في جبال السماق بالقرب من حلب، وفي بانياس الجنوبية ووادي التّيم. وكان نتيجة ذلك أن هجر الدروز جبال السماق تاركينها لأعدائهم، وأن هجر النصيريون جنوبي سوريا مخلين مواقعهم للدروز.

وفي مراحل لاحقة من التاريخ سيعود الخلاف بينهما ليظهر انتقاماً من الزمن الغابر. وسترى ذلك عند كلامنا على حملة ابراهيم باشا المصري، وعند تخلّي الحكم العلوي عن الجولان وبعض حوران للإسرائيليين، وأيضاً في دخول الجيوش السورية البعثية العلوية إلى لبنان وقتلهم زعيماً درزياً في معقله وعقر داره.

*****

رابعاً: النصيرية والمسيحية

حدث في أواخر القرن الماضي وأوائل الحالي جدال علمـي رصـين حـول نشـأة النصيريين وانتمائهم الديني. وحدث الجدال بين كاتبين كبيرين هما: الأب « هنري لامـنس » اليسوعي والباحث الشاب « البارون رينه دوسو ». الأول رأى في النصيريين بقايا نصـارى انقطعوا في جبالهم الوعرة عن الكنيسة الأم وعقائدها؛ والثاني رجع بهم إلى الوثنية ـ الفينيقية وعاداتها. وكان لكلٍّ منهما حججه وبراهينه. وجاء بعدهما، فـي أواسـط القـرن الحـالي، المستشرق « لويس ماسـينيون »، آخـذاً بنظريـات « الشهرسـتاني » و « النـوبختي » و«البغدادي»، ليردهم إلى الحظيرة الإسلامية، فاعتبرهم من « غلاة الشعية » ومن الإسلام(١).

----

(١) راجع في مجمل هذا الفصل:

R. Dussaud, Histoire et Religion des Nosairis, Ed. E. Bouillon, Paris 1900, XXXV-211 pp.

H. Lammens, Les Nosairis furent-ils chrétiens? Rev. de l'Orient Chrétien, Beyrouth 1900.

--- Les Nosairis, Notes sur leur Histoire et leur Religion, Etudes, Août 1899, n° 16.

--- Les Pays des Nosairis, Musée Belge, 1900…

--- Notes de Géographie syrienne, Mélanges de la Faculté Orientale, Beyrouth, 1906.

L. Massignon, Opera Minora, Liban 1960.

الشهرستاني، الملل والنحل ١ / ١٨٨ ـ ١٩٠.

النوبختي، فرق الشيعة ص ٧٨.

البغدادي، الفرق بين الفرق ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥…

نقف، في هذا الفصل الذي نعالج فيه الصلة بين النصيرية والمسيحية، على رأي الأب « لامنس »، الذي يقول فيه بصراحة ويؤكّد: « كما أن لبنان أصبح ملجأ الموازنة، هكذا صار في جبل السماق، إبان الفتح الإسلامي. إذ اعتنق سكّانه المسيحية »[٢]. ويقول أيضاً: « إنّهم يدينون كثيراً من الإنجيل، ولا شيء من القرآن »[٣].

وحججه على ذلك كثيرة. فهو عند « زيارة القسم الشمالي لهذه المنطقة (من سوريا)، كنّا ندهش من كثرة الخرائب المسيحية »[٤]. وفي جولته في البلاد النصيرية، استطاع اكتشاف ٥٩ أثراً مسيحياً[٥] من صلبان وكتابات وخرائب كنائس وقبور ونواميس...[٦].

ورأى أيضاً في عقيدة الثالوث الإلهي عند النصيريين تقارباً مع العقيدة المسيحية[٧]، وكذلك في عقيدة التجسد[٨]، وفي عدد النقباء الاثني عشر[٩] مع عدد رسل المسيح، وفي السقطة الأولى حيث هبطت النفوس الخيرة من السماء إلى الأرض وأضحت عرضة لأعمال الشر[١٠]...

وفي الاحتفالات الليتورجية أيضاً كان للأب « لامنس » رأي واضح فيما بين الممارسات المسيحية والنصيرية. فلفظة « قداس » هي، على السواء، نصيرية ومسيحية[١١]، وكذلك في استعمال الخمرة وتحليلها[١٢] وشربها وظهور ا فيها[١٣]، وفي استعمال البخور والشموع[١٤]...

----

(٢) Etudes, p. 470, v. 483.

(٣) Op. cit, p. 491.

(٤) Op. cit, p. 470.

(٥) Les Pays des Nosairis, 278-322.

(٦) Les Nosairis furent-ils chrétiens, 1-18.

(٧) Etudes, p. 470-483..

« أضف إلى ذلك روزنامة الأعياد المسيحية التي تحتلّ مكاناً هاماً، كعيـد المـيلاد، والغطاس، الفصح، وأحد الشعانين، والعنصرة، دون حساب أعياد القديسين »[١٥] كـ« عيـد القديسة بربارة، وأعياد القديس يوحنا فم الذهب، والقديسة كاترينا[١٦]، وعيد رأس السنة الـذي يعتبرونه ويحيطونه بكثير من الفخامة »[١٧].

و « يحمل النصيريون، برضى، أسماء مسيحية، مثل: متـى وجبريـل وسـبيريدون وكاترين وهيلانة، الخ؛ إنّها أسماء غير مستحبة لدى سائر الفرق الإسلامية »[١٨].

وعرف الأب « لامنس »، خلال رحلاته في البلاد النصيرية، أن النصيريين لا يكنّون ضد المسيحيين أية عداوة. فـ« أهل جبل السماق ليس عندهم علامة الإسلاميين المميزة، وفي كل فرقهم: بغض المسيحي. فالسنّة والشيعة يتباغضون، ولكـنّهم يجتمعـون ضـدنا. فيمـا النصيريون لا يغذّون ضدنا أية نظرة بغض. وقد سمعتهم مراراً يقولون: إنّهم يودون المـوت على دين المسيح أو على دين عيسى. وهم، في أيامنا هذه، يزورون معابـدنا، ويستشـيرون الكهنة المسيحيين، ويقبلون من أيديهم الماءِ والأشياء المباركة، كما اختبرت ذلك بنفسي »[١٩].

---

(٨) Etudes, p. 483.
(٩) Op. cit, p. 484.
(١٠) Op. cit, p. 486.
(١١) Op. cit, p. 490.
(١٢) Op. cit, p. 491.
(١٣) Op. cit, p. 491.
(١٤) Op. cit, p. 487-488.
(١٥) Op. cit, p. 491.
(١٦) يسمى النصيريون بناتهم اسم «كاترينا». انظر: Op. cit. p. 476, n°1
(١٧) Op. cit, p. 476.
(١٨) Op. cit, p. 491.
(١٩) Op. cit, p. 491-492.

ورأى « لامنس » أن اللعنة التي يطلقها النصيريون على يوحنّا مارون أول بطريرك على الموارنة (+ ٧٠٧ م)[٢٠]، ليست هي من صنعهم، لأن الروم الأورثوذكس والملكـانيين، في سوريا، أطلقوها قبلهم، منذ الجيل التاسع، وكتبهم مليئة بها، وذلك بسبب عصـبيتهم ضـد الموارنة أنصار المجمع الخلقيدوني المسكوني الرابع (٤٥١ م) الذي حرمت فيه عقيدة الطبيعة الواحدة[٢١]. فالأب « لامنس » يبرئ النصيريين من هذه اللعنة، لأن « المؤسسات المارونيـة في جبل السماق، حيث يتواجد النصيريون، لم تكن كثيرة (لتكون فاعلة)، ولم تكن قديمة العهد. ففي الأمر صدى بعيد لجدال بين الموازنة والملكانيين سابق للجيل التاسع »[٢٢].

مع هذا ينتقد الاب « لامنس » ما جاء في قول « رينان »: « أن النصيريين يعبدون كإله القديس مارون، شفيع الموارنة، الذي أصبح، كـ مار أنطون، صانع معجزات ذا شـهرة واسعة في معتقد جميع الفرق »[٢٣]. ويقول « لامنس » عن قول « رينان »: « مـن غيـر الممكن أن نرى مغالطات بهذا القدر في أسطر قليلة »[٢٤].

ويخلص الأب « لامنس » إلى القول: « إنّي أقر بأنّني لم أعرف إلاّ تفسـيراً واحـداً يرضي، وهو: إن النصيريين كانوا نصارى »[٢٥].

----

(٢٠) سورة الشتائم، انظر ص: ١٥٨ من هذا البحث.

(٢١) Etudes, p. 475.

(٢٢) Op. cit, p. 476.

(٢٣) E. Renan, Mission de Phénicie, 114.

(٢٤) Etudes, p. 475, n° 8.

(٢٥) Op. cit, p. 492.

لنا على رأي الأب « هنري لامنس » جملة ملاحظات:

١ ـ في كل ما كتب الأب « لامنس » عن النصيريين لا نجـد أي إشـارة إلـى أي مرجع نصيري. لم يعرف الاب « لامنس »، على ما يبدو، أي مخطوط أو كتاب للنصيريين. فهو لم يستشهد بواحد منها، على كثرتها ووجودها في المكتبة الوطنية بباريس. وهو لم يستق معلوماته عن النصيرية من كتب النصيريين، بل من كتب وضعها باحثون. فكـان مرجعـه الأساسي سليمان الأذني المرتد عن النصيرية. ومرجعه الثاني جولاته ورحلاتـه فـي بـلاد النصيريين، ورؤيته الخِرب المسيحية في مختلف قراهم، وأحاديثه معهم، وتصريحهم له بأنّهم نصارى وأصلهم نصراني... وغاب عن الأب « لامنس » أن التقية عندهم مذهب ومبدأ، بـه تنقلب الحقائق أكاذيب، والأكاذيب حقـائق، والصدق كذباً، والكذب صدقاً. علماً بأنّه عـرف ذلك، عند الباطنيين بوجه العموم، حيث « النفاق يسمو عندهم إلى مرتبة المبدأ »(٢٦)، وحيـث « إفشاء الحقيقة سم قاتل »(٢٧)...

٢ ـ ثم إن كثرة المعالم المسيحية في بلاد النصيريين قد لا يعني أن أصل النصيريين مسيحي؛ إذ قد تكون قرية مسيحية يهجر سكّانها عن بكرة أبيهم ويحلّ مكانَهم آخرون علـى غير دينهم، وتبقى فيها آثار وخِرب وكنائس وصلبان وأديار وكتابات هـي بمثابـة أطـلال مندرسة. قد لا يفهم الأب « لامنس »، بعقليته الأوروبية، أمر « التهجير » الذي حدث، فـي الشرق، مراراً وتكراراً. وما زال يحدث ويحدث في يومنا هذا... فماذا يقول مثلاً عن موارنة جبل سمعان وأفاميا في القديم. هل سكّان هاتين

----
(٢٦) انظر المرجع في صفحة ٣٦ من هذا البحث.
(٢٧) انظر فصل « التقية » ص ١٢٣ ـ ١٣٠ من هذا البحث.

المنطقتين اليوم هم موارنة مرتدون إلى الإسلام؟! وهل سكّان الدامور اليوم هم مسلمون فلسطينيون من أصل ماروني؟! وهل مهجرو النبعة هم موارنة من أصل شيعي؟! وهكذا... فقصة الهجرة والتهجير لن يفهمها الغربي بذهنيته الأوروبية، لأن هذا لم يحدث في الغرب ولم تحدث حروب دينية قصد الإبادة، ولم يحدث أن احتلّ محتلّ وبقي على أرض احتلّها. اللّهم سوى ما حدث مع عرب إسبانيا. وهذا أيضاً من مباهج الشرق وثمار أديانه!!!

٣ ـ هل يدلّنا الأب « لامنس » على مسيحي واحد شذّ في عقيدته مثل هذا الشذوذ، فاعتقد بالثالوث الإلهي مكوناً من علي ومحمد وسلمان، بدل الآب والابن والروح القدس! هل من مسيحي في الشرق، رغم شدة الاضطهاد عليه، احتفل، إلى جانب الميلاد والقيامة والعنصرة...، بأعياد الغدير والفطر والفراش...؟ مثل هذا الاضطهاد يجر إلى التعصب لا إلى الانفلات. ولئن اعتنق بعض المسيحيين، في زمن الفتوحات الإسلامية، دين الفاتحين، فإنّه من غير الممكن أن يتساهل الفاتحون بقبول شيء من تقاليد المغلوب على أمره وعقائده وطقوسه... ولئن حدث شيء من هذا فهو على صعيد فردي، أو في مجالات عادات الشعوب، لا أكثر...

٤ ـ ثم إن الأب « لامنس » يشهد على « عجمية » مؤسسي النصيرية، فيعتبر محمد بن نصير والخصيبي وغيرهما من أصل فارسي، ويعترف، مع سليمان الأذني، بأن معظم مؤسسي غلاة الشيعة من بلاد العجم، وبأن العجم ذهبوا بعيداً في تأليه علي بن أبي طالب... فكيف يعود « لامنس » عن هذه الرؤية ليرى للنصيريين أصلاً نصرانياً!!!

الحقّ يقال: إن النصيريين هم من متطرفي الشيعة. غدر بهم

الزمان، وقهرهم التاريخ، فانطووا على أنفسهم، وخشوا من الإبادة والفناء. حاربهم أعـداؤهم السنّيون، وقهرهم أبناء مذهبهم الشيعيون، وغدر بهـم جيـرانهم الإسـماعيليون، واسـتذلّهم الصليبيون، وانتقم منهم الأرمن والعثمانيون، وأذلّهم الفرنسيون... فهم، بالحقيقة، شعب قهر لم يعرفوا استقراراً في جبالهم الوعرة.

فـ« بكونهم شيعة دينية، بالمعنى الحصري، النصيريون هم من غلاة الشـيعة »[٢٨]. هذا رأي المستشرق « ماسينيون ». وهو رأي من قال قبله مثل الشهرستاني الذي بحث عنهم في فصل « الشيعة الغالية »[٢٩]، والأب « لامنس » نفسه يشهد لما للشهرسـتاني مـن دقّـة وصوابية في وصفهم[٣٠]. وهو أيضاً رأي البغدادي الذي يعتبرهم من الشيعة «الرافضة»[٣١]، ورأي النوبختي في اعتبارهم من « فرق الشيعة »[٣٢]... هذا في القديم. وأما اليـوم، فمحمـد أمين غالب الطويل[٣٣]، والشيخ عبد الرحمن خير[٣٤] ومنير الشريف[٣٥].. وغيرهم. هـؤلاء يعتبرون النصيريين من المسلمين، وعبد الرحمن بدوى من « مذاهب الإسلاميين »[٣٦].

كلّ هذه الآراء قد تكون مصيبة وقد تكون مخطئة. والحقيقة هي أن النصيرية نسـيج وحدها. لا هي هذه ولا هي تلك. هي أمة أسست لها ديناً وكياناً وأرضاً ودولةً وحدوداً. وهي اليوم تسعى إلى تمامها.

---

(٢٨) L. Massignon, Opera Minora, p. 619.
(٢٩) الشهرستاني ص ١٧٣.
(٣٠) H. Lammens, Etudes, p. 466.
(٣١) البغدادي ص ٢٥٠.
(٣٢) النوبختي ص ٧٨.
(٣٣) تاريخ العلويين (بمجمله).
(٣٤) تاريخ العلويين، المقدمة.
(٣٥) المسلمون العلويون من هم؟...
(٣٦) صفحة ٤٢٥: «النصيرية من غلاة الشيعة...».

الفصل التاسع

المجتمع النصيري

أولاً : الطوائف والعشائر النصيرية

ثانياً : المرأة والزواج عند النصيريين

ثالثاً : الحياة النصيرية وتقاليدها

أولاً: الطوائف والعشائر النصيرية

تجزئ الأمة النصيرية عشائر وقبائل، منها العربية ومنها الفارسـية، ومنهـا أيضـاً التركية والكردية والتتارية... وفي يومنا هذا يعاني النصيريون من كثرة تشعباتهم. وربما أدى انحسارهم في جبالهم بسبب قهر القاهرين، إلى خصومات وتحزبات فيما بينهم، وإلى تفـاوت عميق في العقيدة والتقاليد. بيد أنّهم، مع تشتّتهم الكثير، حافظوا على مجمل عقائدهم الأساسية. وهم، بالنسبة إلى خلافاتهم الدينية، لا يزيدون على أربع طوائف: الشـماليون، والكلازيـون، وعابدو الشفق، وعابدو الهوا.

« ١ ـ أما الشماليون، أو الشمسيون، فهم الذين يعتقدون في علي بن أبي طالب أنـه يظهر في قلب الشمس، و « هو العلي العظيم الكبير، يظهر يوم الرجعة البيضاء مـن عـين الشمس »[١]. ويقولون: « إن المعبود يرى ولكنّه ليس محدوداً... ويعنـون بـذلك: السـماء. ويقولون إن الكواكب منها تشرق، وفيها تغيب، وإنها ظاهرة، لكن لا يقـدر أحـد أن يحـدها بصورتها الأصلية إلاّ « الاسم » (أي محمد)[٢]. ولذلك دعي محمد « حجاب علي ومكانـه » كما رأينا سابقاً. فإذا كان محمد مكان علي يكون إذن هو السماء وعلي هو الشمس.

----

(١) مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٤٥٠ ص ١٢٦.
(٢) الباكورة السليمانية في تفسيرها على السورة ١١. ص ٩.

يستدلّ الشماليون على صحة معتقدهم من قول السورة السادسة: « يا مخترع شمس الضحى وخالق البدر المنير »، ويقولون: « ها إن البدر مخلوق »[٣]، وهم بذلك يوجهون انتقادهم إلى الكلازيين عبدة القمر. وفي رأيهم أيضاً « أن الشمس المذكورة في السورة الحادية عشرة هي كناية عن فاطمة بنت أسد المولود منها علي، لأنهم، كسائر النصيرية، يعتقدون أن فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت محمد هما « الاسم » أي محمد. وهو عندهم الشمس »[٤].

يعتقدون أيضاً بأن « المؤمنين، إذا خلصوا من هذه القمصان البشرية، ينتقلون إلى درب التبان، ويصيرون كواكب، ويرون السماء صفراء »[٥]. والملائكة عندهم « هم الكواكب، ودرب التبان الذي هو أنفس مؤمنيهم. هم يرون السماء صفراء، والبشر يرونها زرقاء »[٦].

ويتميزون أيضاً عن سواهم بأنّهم، حين تلاوة السورة الثامنة « يضعون اليد اليمنى على الصدر، ويجعلون باطن الإبهام على باطن الوسطى »[٧]. وهم لا يحلقون لحاهم، ولا وجوههم. وبعضهم يحرمون أكل القرع الأصفر، وشرب الدخان لا يجوز لأحد منهم، ولا الباميا ولا الفليفلة ولا البنادورة، ويحرمون لبس الأحمر على الرجال[٨]. ويفسرون مبدأ « الفرض اللازم والحق الواجب »، الذي سنراه عند الكلازيين، بـ« بذل العلم والمال »[٩].

---

(٣) الباكورة في تفسير السورة السادسة، ص ٢١.
(٤) الباكورة في تفسير السورة ١١، ص ٢٨.
(٥) نفس المرجع ص ٩ تفسير السورة الأولى.
(٦) نفس المرجع: تفسير السورة الأولى.
(٧) نفس المرجع ص ٢٥ تفسير الثامنة.
(٨) نفس المرجع ص ٥٧.
(٩) نفس المرجع ص ٥٩.

٣ ـ والكلازيون، نسبة إلى محمد الكلازي، شيخ جليل، ومؤلّف كتب وشاعر قصائد، فهم « عابدو القمر. ويستدلون على عبادته من قول السورة الأولى: « وطلعتك الزاهـرة ». ويقولون: إنه ظاهر، والسواد الذي في القمر هو ذات علي، وهو محجوب عن أعيننا، ونـراه الآن أسود، ومتى خلصنا من هذه القمصان فإنّنا نرتفع بأمانتنا إلى ما بين الكواكب، وحينئـذ نراه بنظرة الصفرة »[١٠].

ويقولون: « إن علي خلق القمر ليسكن فيه، كالرجل الذي يبني له بيتـاً ليسـكنه، أو يصنع كرسياً يجلس عليه، لأنهم يعتقدون بأن السواد الذي هو القمر هو المعبود، ولـه يـدان ورجلان وبدن، وعلى البدن رأس، وعلى الرأس تاج، وبيـده سـيف هـو ذو الفقـار »[١١]. ويفسرون قول السورة الحادية عشرة « وظهور علي من عين الشمس »، بأن القمر هو الذي يظهر من مطلع الشمس[١٢].

عند صلاتهم يبسطون الكف ناصبين الإبهام لتكون اليد على صـورة الهـلال عنـد ابتدائه[١٣]. إنهـم يحلقون لحاهم. وما حرم عند الشماليين هو حلال عندهم[١٤]. يأخذون بمبدأ « الفرض اللازم والحق الواجب »، وهو يعني: إذا حضر إمام منهم إلى إمام آخـر نظيـره، فالثاني ملتزم بأن يقدم حرمته للأول، ويحكمون على من يخالفه بعدم دخوله الجنّة[١٥].

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(١٠) الباكورة تفسير السورة الأولى ص ٩ ـ ١٠.
(١١) الباكورة تفسير السورة السادسة، ص ٢١.
(١٢) الباكورة تفسير السورة ١١، ص ٢٧.
(١٣) الباكورة تفسير السورة الثامنة، ص ٢٥.
(١٤) الباكورة ص ٥٨.
(١٥) الباكورة ص ٥٨ ـ ٥٩.

٣ ـ أما عابدو الشفق فيستدلون على عقيدتهم من قول السورة الأولـى: « يـا مـن أنوارك منك تشرق وفيك تغرب »، ويقولون: إن جميع الأنوار لم تظهر إلاّ مـن المشـرق، وترجع وتغيب في المغرب. فلذلك تراهم وقت صلواتهم يتوجهون نحو الشمس عند شـروقها وغروبها... ظانّين أن ذلك الإحمرار هو خالق الشمس، كقول سيدهم الشيخ علي الماخوسـي في الوراثة المتروكة لهم منه: والبدر أنواره من شمسه ظهرت، وشمسه من عـامود الشـبح موجدها »[١٦]. ويفهمون من قول السورة الحادية عشرة: « وظهور علي بن أبي طالب مـن عين الشمس »: إن الشفق يظهر من عين الشمس ويعتقدون أن ذلك الإحمـرار هـو خـالق الشمس[١٧]. صلواتهم كصلوات الشماليين...

٤ ـ وعابدو الهوا يستدلون على عبادته بقول السورة الأولى: « يا هو يـا هـو »، فيقرأون هذه اللفظة بفتح الهاء والواو، لكي ينتجون من ذلك عبـادتهم للهـواء »[١٨]. وفـي صلواتهم يضعون الكف على الصدر رافعين السبابة إلى خارج وواضعين باطن انملة الإبهـم على باطن الوسطى[١٩].

*****

وما سوى ذلك جميعهم متّفق. إلاّ أن الاضطهادات فرقت بينهم سياسياً. ولما لم يكـن لهم كتب مطبوعة ومنتشرة فيما بينهم لتتوحد عقيدتهم ويجتمعون على تفسير واحد لها، راحت كل طائفة منهم تعالج سرها كما تتخيل. فلذلك، شعر نصيريو اليوم بضرورة خلـق مجـالس دينية وسياسية معاً.

----

(١٦) الباكورة، ص ١٠.
(١٧) الباكورة، ص ٢٧ ـ ٢٨.
(١٨) الباكرة، ص ١٠.
(١٩) الباكورة، ص ٢٥.

أما العشائر والقبائل النصيرية فكثيرة جداً. وربما كل عيلة تفتخر بانتسابها إلى عشيرة وحدها، لكي يكون لها كيان مستقلّ وتقاليد خاصة بها دون سواها، ومزار معين، وشيخ يقـيم دينها. واشتهر في تاريخ النصيريين جملة عشائر، أهمها:

الخياطية، نسبة إلى علي الخياط الذي استقدم الأمير المكزون ملتمساً منه أن يسـاعده على إزالة مظالم الأكراد والإسماعيلية. سكن معظمهم في طرابلس وجنوبي النهر الكبير فـي سهول عكّار، « ضايقهم المسيحيون الموارنة مضايقة أدبية لم يشعروا بها حتـى ألجـأهوهم أخيراً للرحيل إلى شمالي نهر الكبير »[٢٠]. تفرعوا إلى « فقاورة » و« عبدية » و« بغدادية » و « صرامطة » و « عمامرة ». اشتهر منهم زمن الانتداب الفرنسي سليمان مرشد.

عشيرة بني علي، سكنت في قرية ست يللو، وحرف الصليب، وبيت ياشوط، وجبـل الوادي، وعين الشقاق، ومغسلة، وديروتان، والمعصرة... كان بينها وبين الكلبية والنواصـرة معارك أحرقت فيها مجمل قراهم. ثم عادوا وأحرقوا ونهبوا بدورهم مـا قـد حصـل عليـه الكلبيون. ولما كانت شديدة الساعد استولت على أراض كثيرة حتى جبلة التي عصت عليهم إذ كانت مركز الحكومة العثمانية.

عشيرة المهالبة. تسكن في قلعة المرسالية التي كانت تُسمى قلعة بلاطونس، وتُسـمى الآن أيضاً قلعة المهالبة، واستولوا على جبلة من يد الأتراك برئاسة زعيمهم علـي شـلهوم. وهي اليوم أصغر العشائر.

الحدادون. هم أصل العشائر. تنسب إلى المعلم محمد الحداد

- - - - - - - - - - - - - - - - -
(٢٠) محمد الطويل، تاريخ العلويين، ص ٣٥٩.

ابن الأمير محمود السنجاري ابن أخ الأمير حسن المكزون. حاربوا الإسـماعيليين ودامـت الحروب بينهم سجالاً حوالي مائة سنة. هم أكثر النصيريين علماً وتقدماً. يقطنون طرطـوس وبانياس وصافيتا.

عشيرة المتاورة أتت مع الأمير حسن المكزون سنة ٦٢٠ هجرية. ولها عدة فـروع: المتاورة والجواهرة والصوارمة والنميلاتية والدراوسة والعراجنة والمحارزة. « كان رئيسهم المحترم المرحوم الشيخ صالح العلي رئيس ثورة العلويين ضد الفرنسيين في سني ١٩١٩ - ١٩٢١ »[٢١].

عشيرة الدراوسة، رغم كونها من العشائر السنجارية، تحتوي على عدد كبير من أصل تركي. كانوا حلفاء العمامرة. استولوا على جبل دريوس.

المحارزة كانوا في البدء على اتفاق مع الاسماعيليين، إلا أنهم فيما بعد، اختلفوا حتى كادوا يفنون بعضهم بعضاً. وكانت قلاع القدموس والعليقة والمينقة تارة تكون معهم وطـوراً مع الإسماعيليين. يدعي المحارزة حصولهم على سيف الإمام الحسين وكتاب النسب.

الكلبية تنتسب إلى العشائر السنجارية التي أتت مع الأمير حسن المكزون. كـان أول نزولهم في « عين كلاب » في جب رملة منطقة مصياف، فتكنّوا بالكلبيين. ثم توسعوا شمالاً وغرباً وسمي الجبل باسمهم جبل الكلبية. يقطنون جبلة والحفة واللاذقية وصافيتا وطرطـوس والقرداحة. من رؤوسائهم اليوم: الأسد، وخير بك، وآل إسمعيل، ورسلان..

... ...

----
(٢١) منير الشريف، العلويين من هم؟..، ص ١٢٠.

ثانياً: المرأة والزواج عند النصيريين

أغرب تعاليم النصيريين نظرتهم في المـرأة. فهـم يعتقـدون أن: « الإنـاث هـن كالحيوانات مجردين عن وجود النفس الناطقة، وأن أنفاس النساء تمـوت كأجسـادهن »[١]. ولمس هذه العقيدة جنرال فرنسي فنقل لنا: « إن النساء محرومات كالحيوانات من نفس عاقلة. تموت نفوسهن كأجسادهن »[٢]. « لذلك، فعلى كل نصيرية، قبل قبولها مني الرجل، أن تغتسل وتتطهر وتستعد لقبول زرع الرجل الخالد »[٣].

هذه المرأة خلقت من أذناب الأبالسة[٤]، و « خلق عز وجلّ من معصية إبليس النساء المخالفات »[٥]. وقال الصادق « الشياطين من الامرأة »[٦]، وقال الباقر: « إن أصل كل شر النساء »[٧]. وعن جعفر قـوله: « إن الرجـال الضالين المضـلّين هـم صـور النسـاء الشياطين »[٨]...

وقال الصادق: « يرد الكافر في صورة الامرأة الكافرة، ولا ترد

----

(١) مخطوط المكتبة الملكية ببرلين، رقم ٤٢٩١ صفحة ٥٦.
(٢) Colonel P. Jacquot, L'Etat des Alaouites, 23.
(٣) L. Massignon, Opera Minora, p. 621.
(٤) الباكورة السليمانية، ص ٦١. انظر أيضاً المرجع السابق.
(٥) كتاب الهفت والاظلة، ص ٤٩.
(٦) نفس المرجع، ص ١٤٤.
(٧) نفس المرجع، ص ١٤٣.
(٨) نفس المرجع، ص ١٤٤.

الامرأة الكافرة في صورة الرجل الكافر... الكافرون ينحطون من درجة الرجال حتى يصيروا عامة نساء كافرات... إن أصل كل شر النساء... وقد قال النبي وأبلغ في القول وأوجز في المعنى حين نظر في النار فرأى أكثر أهلها نساء... والشياطين من الامرأة. وإن الإنسان إذا ارتقى في كفره وعتوه وتمرده وتناهى في ذلك، صار إبليسا، ورد في صورة امرأة... ألم تقرأ في القرآن قوله تعالى: « إن كيد الشيطان كان ضعيفاً »[٩]، وقال: « إن كيدكن عظيم »[١٠]، إذ هم صور النساء »[١١].

ثم إننا رأينا وضع المرأة من جهة مبدأ « الفرض اللازم والحقّ الواجب » الذي يقضي بأن يقدم الإمام لضيفه الكبير امرأته كهدية سارة. ومن ناحية تعليم الديانة فالأمر يوجب عدم تعليم النساء شيئاً من أمور الدين، « ولا يعلّمون نساءهم صلاتهم »[١٢]. وقد اتّهم حمزة بن علي بن أحمد أحد النصيريين بأنّه يعلّم الفواحش، فقال: « وأما قوله بأن يجب على المؤمنة لا تمنع أخاها فرجها وأن تبذل فرجها له مباحاً حيث يشاء، وأنّه لا يتم نكاح الباطن إلاّ بنكاح الظاهر... »[١٣]، « لأن الفرج مثل أئمة الكفر، والاحليل إذا دخل فرج الامرأة دليل على الباطن »[١٤]، ويتّهمه بالكذب والغواية، ويحذّر الموحدين من تعاليمه...

*****

----
(٩) سورة النساء ٤ / ٧٦.
(١٠) سورة يوسف ١٢ / ٢٨.
(١١) كتاب الهفت والاظلة، ص ١٢٦.
(١٢) الباكورة السليمانية، ص ٦١. فيها يستشهد الاذني بجملة مراجع.
(١٣) الرسالة في الرد على النصيري الفاسق، رقم ١٥ من « رسائل الحكمة »، ١٦٦.
(١٤) نفس المرجع، ص ١٦٧.

هذه المبادئ الدينية في وضع المرأة جرت معها عليها تعاسة في المجتمع النصـيري. فالمرأة، كما وصفها أحد النصيريين، « تعمل في البيت وفي الحقل. في الحقل تنكش الأرض، وتحصد الزرع، وتدرس الحصيد، وتحمل لزوجها ما يشتريه من أسواق المدينـة، وتمخـض اللبن، وتبيع السمن في أجرار تحملها على رأسها مسافة ساعات، كما تبيع بيض الدجاج التي تعني بها، وتبيع خضار الأرض، وفواكها. وتجمع الحطب، وتحملها رزماً على رأسها.

« وفي البيت تربي أولادها، وتهيئ لهم ولزوجها الطعام، وتداك (تحدل) سطح البيت طوال الشتاء، وتنظّف بيتها، وتأتي بالماء من الينابيع... وهكذا تراها ترزح تحت عبء ثقيل من الأعمال الشاقة التي لا تلبث معها حتى تهرم ويذوى شبابها وتفقد فرحها ومرحها، فلا تكاد تصل إلى سن الثلاثين حتى تصبح كأنّها أشرفت على الخمسين...

ويقول أيضاً: « والعلويات سافرات. ولكن نسوة بعض الرؤوساء والوجـوه ورجـال الدين يتحجبن كالنساء السنّيات في المدن حيث يخبئن زينتهن وملابسهن... »[١٥].

*****

أما زواج الفتاة فأمره عسير عليها. فهي تخضع لإرادة أبيها أو أخيها، ولـن تختـار زوجها بحرية. ويساوم على المهر مع الزوج، ومعظم الأحيان « يستأثر أولياء الفتاة بكامـل المهر، ولا تستفيد منه البتة »[١٦].

----

(١٥) انظر منير الشريف، العلويون من هم؟.. ص ١٨٦ ـ ١٨٧.
(١٦) نفس المرجع ص ١٨٠.

و « ربما تعطى البنت بديلة، أي أن يزوجها والدها من رجل، لقاء أخذ ابنته أو أخته لنفسه أو لولده. وفي هذه الحال... تغدو سلعة تجارية، للمقايضة »[١٧].

وعند تمام مراسيم الزواج عند شيخ القبيلة يكتب فيه صك باجراء النكاح، ويصافح الحاضرون العريس، دون العروس، ويدخل العريس غرفة عروسه، ويغلق وراءه الباب، ويتفرق القوم، تقوم العروس وتقبل يد العريس، وهو يعانقها... وفي صباح اليوم الثاني، تنشر العروس ثيابها بعد غسلها، إشارة إلى بكارتها، فتأتي نساء القبيلة لتتأكّد من ذلك، ولتشهد على دوام بكارتها حتى زواجها. وإذا ما ثبت، لا سمح ا ، فض بكارتها قبل زواجها، تذبح المسكينة على عتبة بابها. ولكن هذا أمر نادر...[١٨].

الحقيقة تُقال هي إن لا زواج ولا طلاق عند النصيريين. فكل ما أشرنا إليه هو من مؤثّرات الحضارة ومن مآثر مجتمع اليوم. فإنّني لم أجد في جميع المصادر التي اعتمدت عليها سطراً واحداً في موضوع الزواج وكيفيته. جلّ ما نعرف من تقاليد نصيرية صرفة، هو أن الزواج هو عقد سنوى، يختار في عيد من الأعياد المعينة لكل عشيرة، أحد الشباب زوجته لوقت محدد. ولئلا يقع بين الرجال خلاف، تغلق أبواب غرفة الاجتماع، وتطفأ الأنوار، ويقع كل رجل على امرأة ويخرج بها خارج الدار. هناك يعرف حظّه على نور مضاء. وعادة ما يقع المسكين على عجوز فيقضى عليه بها سنة كاملة، إلى أن توافي سنة ثانية ليعرف اختياراً جديداً بعد اختبار عسير.

---

(١٧) منير الشريف، ص ١٨١. (١٨) نفس المرجع، ص ١٨٤.

ثالثاً: الحياة النصيرية وتقاليدها

يتألّف المجتمع النصيري من ثلاث طبقات: الوجهاء السياسيون، والرؤوساء الدينيون، وعامة الشعب؛ أو: الزعماء، والمشايخ، والفلاحون أما النساء فهن طبعاً من عامة الشعب، مهما كان وضعها الاجتماعي... عدد النصيريين في العالم محدود، يبلغ ١١٩٠٠٠ يزاد ٥٠٠٠ من الأشراف. والمجموع ١٢٤ ألفاً من الرجال فقط، لأن النساء لا يحسبن ضمن النفوس الناطقة الخالدة[١].

أما المشايخ رجال الدين فهم القيمون وحدهم على الدين، وهم وحدهم العارفون به. يحترمهم الأشراف والفلاحون احتراماً بالغاً. يؤدون لهم حقوقهم كاملة. والمشيخة في الدين وراثية، ينقلها شيخ إلى بنيه بطريقة طبيعية. انعامات المشايخ كثيرة، وهكذا حقوقهم. فهم يستطيعون فرض ما يريدون على جماعاتهم، من إعدام، وتعذيب، ودفع المال... وغير ذلك[٢].

ويكون « لكل رئيس من رؤساء العلويين مضيفة (منزول) يستقبل فيها ضيوفه، ويجتمع إلى رجال عشيرته. له القول، وعليهم العمل. وهو ينظر في الخلافات التي تقع بين أفراد العشيرة، حقوقية أم جزائية، فيجتمع

----

(١) L. Massignon, Opera Minora, p. 620.

(٢) Col. P. Jacquot, L'Etat des Alaouites, 25.

الطرفان المتداعيان أمامه، ويحقّق في الدعوى (كحاكم) وأحكامه نافذة رضاء أم كرهـاً (فـي بعض الأحيان). والرئيس العادل النزيه يريح الحكومة من مراجعات أفراد عشيرته...

« وللرئيس رجال في عشيرته، يخصهم بعطفه ويقدمهم على سواهم...

« ولرؤوساء العلويين عادة جمع المال من رجال العشيرة كجعل سنوي يتناسب مـع قوة العشيرة وحاجة الرئيس. وهذا المال قد يكون ضرورياً للرئيس في بعض الأحيان، لانفاقه على مضيفته (منزوله)... ولإنفاقه في سبيل العشيرة... ولكن بعض الرؤوساء اعتاد فـرض المال... لينعم به، أو ليشتري عقاراً خاصاً يزيد به ثروته ».

ويأتي المـال الرئيس في مناسبات عدة أيضاً: في الولادة، وفي الأعياد، وفي الزواج « وإلاّ فلا يسمح له بالزواج »، وفي الدفن، وفي مواسم التبغ إذ يكون للرئيس « جعل علـى كل كيس من التبغ يبيعه الزراع من عشيرته إلى إدارة الحصر، ويضاعف الجعل إن كان البيع للمهربين »[٣].

والنصيريون، إجمالاً، معروفون بكرمهم، رغم فقرهم. « فهم يستقبلون ضيوفهم بلطف ووداعة، ويقدمون لهم الطعام والشراب، ويخصونهم بأحسن الغرف لنومهم وراحتهم، ويقدمون على خدمتهم، يؤانسونهم ويقصون عليهم أحسن القصص والروايات، ويسـمعونهم أغـانيهم الشعبية »[٤].

« وفي القرويين العلويين، نساء ورجالاً، عادة تقبيل الأيدي.

---

(٣) منير الشريف، العلويون من هم؟.. ص ١٣٠ ـ ١٣٢.
(٤) نفس المرجع، ص ١٣٣...

فالصغير يقبل يد الكبير. والقبلات تطبع على أيدي رؤساء العشائر ورجال الدين دوماً، حتى إن بعض العلويين يقبلون أيدي كبار الموظّفين دلالة على احترامهم لهم. وهذه العادة مستحكمة »[٥].

ولبس النصيريين ملون مزركش بالعموم، وهو يتنوع بالنسبة إلى طبقاتهم. فرجال الدين « يعممون بعمامة بيضاء على طربوش مغربي أو سدرى، أو يسترون طربوشهم السوري بكوفية بيضاء بدون عمامة[٦]. « وسائر الرجال يستعملون الكوفية والعقال الأسود. ويلبس القنباز، وعليه السترة والصدارة. وبعضهم يلبس الطربوش، وبعضهم يلفّ على طربوشه، أو لبادته، قطعة من القماش، ويلبس سروالاً أبيض، وقميصاً أبيض إلى ركبتيه، وعليه عباءة قصيرة مقلّمة »[٧]. « أما زينة الرجل العلوي القروي فهي عبارة عن قميص ملون، بارز من بين الصدار، وزهور توضع سوقها بين العقال والكوفية حول طرف الرأس »[٨].

والنساء تتحلّى بصف من القطع الذهبية تطوق به رأسها أو طربوشها أو طاقيتها من الإمام. أو يربط بعض قطع ذهبية في أعلى جبينها، وربط عقد من القطع الذهبية أو الذهب المصاغ حول جيدها. والفقيرات يكتفين بعقد من الخرز الملون. والقرط الذهبي من ضروريات الزينة عند العلوية، وكذلك الخواتم الذهبية أو الفضية أو النحاسية والأساور الفضية والزجاجية. وأكثر العلويات يتكحلن ويتعطرن في أيام الأفراح والأعياد. أما شعرهن فإنّهن يحتفظن به ويضفرنه عدة ضفائر ويرسلنه على ظهورهن، وبعضهن

----

(٥) منير الشريف، نفس المرجع، ص ١٣٩ ـ ١٤٠.
(٦) نفس المرجع، ص ١٤٣.
(٧) نفس المرجع، ص ١٤٢.
(٨) نفس المرجع، ص ١٤٤.

يربطن في منتهى الضفائر قطعاً من الذهب، ويتركن سوالفهن لتغطية آذانهن، وخصلتين مـن الشعر لستر طرفي جباتهن »[٩].

وطعام العلويين القرويين يميل إلى البساطة والتقشّف. فهم يضعونه في طبق من القش على الأرض ويجلسون حوله متربعين، ويأكلون بأيديهم... وعادة ما يكون مؤلّفاً من البرغـل والعدس والحمص، ومن بيض الدجاج المقلي أو المسلوق، ومن اللبن الخـاثر، والمتـبلات، والشنكليش، وفي أحسن حالاتهم من لحم الغنم.

« والعلويون لا يأكلون لحوم الأنثى الحيـوان، ولا الأرنـب، ولا السـمك المسـمى بالسلور، ولا لحم الجمال »[١٠]، ولا الحنكليس، ولا ما ذكرناه آنفاً عند بعض طوائفهم[١١].

أما نفسية النصيري فطريفة، وهي ميالة لأن تكون فطرية بدائية، فـ« العلوي حـذر، لا يطمئن إلى الناس بسهولة. وهو يسيء الظن كثيراً، لأن ذلك الماضي الأليم... جعله هكذا. والعلوي يرغب في النفع الذاتي، لأنه جد فقير. ومتى أفدته ينقاد إليك ويعمل ليجعلـك تعتقـد بإخلاصه لك... والعلوي قد سمع من آبائه الشيء الكثير عن سوء عمل السنّيين معه. فمتـى عرف أنّك سنّي فإنّه لا يصارحك كما يصارح المسيحي، لأن المسيحي كان ضعيفاً مثلـه... والعلوي أديب اللسان (وهو ميراث الخوف). وهو، إن لم ينل مطلوبه من الحكومة، لا يظهر انفعاله منها، ولكن يسجل ذلك عليها في ذهنه »[١٢].

----

(٩) منير الشريف، ص ١٤٤.
(١٠) نفس المرجع، ص ١٣٤ ـ ١٣٥.
(١١) ص ١٩٢ من هذا البحث.
(١٢) منير الشريف، ١٤٦ ـ ١٤٧.

أما الضمير الأدبي الديني عند النصيري فلنا عليه ملاحظات. فنحن لا نستطيع أن نجد له شرعة يسير بموجبها، ويحاسب ذاته عليها. إنّنا اعتدنا على نوع من الخلقية في هذا العالم المتحضر، ليس باستطاعتنا وجود مثلها عند النصيري. فالصدق والكذب، في عالمنا، أمـران يتنافيان؛ والشعور بالإثم، عند المؤمن، يتأكّل ضميره، وينغّص عليه العيش؛ ووخز الضمير، يعد عمل منكر، عند المتدينين، يربك صاحبه؛ وارتكاب الخطيئـة يطعـن فـي رحمـة ا ومحبته...

هذه أمور لا نبحث عنها عند النصيري. فالصدق والكذب عنده سيان، كلَونَي الأحمـر والأصفر بالنسبة لأعمى البصر. فمهما قلتَ للنصيري إنّك تكذب أو تصدق في القول، فإنّك لا تستطيع أن تزرع في ضميره أي شعور بالإثم. لهذا، يستطيع أن يعاهدك ألـف مـرة، وتصدق كلامه، ولكنّه، إن خالف عهده فلا لوم عليه، لأن هذه هي مصلحته... فإن لم تقل له: « أحلفك بأساس دينك، بسر عقد ع م س، أن تخبرني عن صحة أمر كذا، فلا يمكنه الكـذب بعد هذا »[١٣]، لا يمكنك أن تأخذ منه عهداً.

والذي يجعل على النصيري خطيئة ليس ناموساً ولا شريعةً مـن الضـمير ولا مـن ا ... بل الإنسان هو الذي يجعل النصيري عارفاً بخطيئته. بل قل: إن عين الآخرين هي التي تصير النصيري خاطئاً. فإنه لو كان يقوم بعمل سرقة أو قتل أو زنى ولم يره أحد، فإنه يبقى بريئاً تمام البراءة أمام ا وتجاه ضميره. فالآخرون هم الذين يزرعون الخطيئة في ضميره. لهذا، كان من الضروري أن يتبوأ المشايخ مكاناً وجيهاً في العشيرة ليردع أهليها بعضهم عن بعض، لأن ليس من رادع سوى الشيخ العالي المقام...

----

(١٣) الباكورة، ص ٨٣؛ انظر ص ٤٣ من هذا البحث.

ولكي يعرف الشيوخ نصيرياً صادقاً من نصـيري كـاذب اخترعـوا فـي بعـض المزارات[١٤] نافذة، وقالوا: إن الكاذب لا يمكنه اجتيازها زحفاً لأنها تضيق عليه. « وفعـلاً، فإن غير الصادق يأخذه الوهم فيعتقد أن تلك النافذة ضيقة، وإنّها يمكن أن تضغط عليه، فتكون نهاية حياته. وعندئذ، إما أن يعترف بعمله، أو أن يحكم عليه حسب العرف »[١٥].

فالاعتراف بالذنب يأتي النصيري من خارج، من خارج ضميره، من عيون الآخرين، من حكم المشايخ، من نوافذ المزارات...

(١٤) المزار بناء على اسم ولي أو نبي أو أحد الرجال الصالحين. أكثرها يقع في أعالي الجبـال والروابـي، تكتنفها أشجار مقدسة، بنوع إنه إذا ما أسقطت العواصف واحدة منها تترك في أرضها دون أن يمسـها أحد. تعلو المزار قبة مطلية بالكلس الأبيض. ولكل مزار خادم يعتني به ويعـيش مـن ريـع أوقافـه. وللمزارات حرمة، لا يقدم أحد على سرقة شيء منها أو من الأحطاب التي في جانبها. لا يحلـف علـى المزار أيماناً كاذبةً، لأن اليمين الكاذبة تؤدي إلى البلاء والرزايا وهـلاك الأسـرة بكاملهـا. والنـذور للمزارات كثيرة جداً، تنفق على رجال الدين والفقراء. يتحدث النصـيريون عـن مـزاراتهم بـاحترام. وينسبون إليها المعجزات. فهي، برأيهم، تمنع الأعداء من دخول قراهم، وأن الرصاص لا يـؤثر فيهـا، وأن من يسعى إليها من مسافة بعيدة لا يشعر بالتعب، وأن الماء تنبع منها، وأن الشـاب يعـرف قبـل الزواج من تكون امرأته، وإذا ما كانت امرأته بكراً أم زانيةً، وأنها تجعل البركة في البنين وفي الـزرع وفي مؤونة البيت. وبعض المزارات ذات اختصاص: منها يطب العيون، منها من يهب العاقر الحمـل، منها من يشفي من الأمراض المستعصية، ومنها من يغني ومن يفقر...

(١٥) منير الشريف، العلويون من هم؟.. ص ١٩٠ ـ ١٩١...

الفصل العاشر

من تاريخ النصيريين

أولاً : من نشأتهم حتى العثمانيين

ثانياً : في أيام الحكم العثماني

ثالثاً : في زمن الانتداب الفرنسي

رابعاً : الرؤيا البعيدة

أولاً: من نشأتهم حتى العثمانيين

نشأت الدعوة النصيرية في بغداد مع ابن نصير النميري باب الحسن العسكري (+ ٨٧٣ م). وهو أول من دعا ونظّم شؤونها. وهي إليه تنسب... وخلفه في رتبته البابية محمد بن جندب، ثم محمد الجنان الجنبلاني (+ ٩٠٠ م) الذي أنشأ طريقة خاصة بالتصوف، وفقهاً يتميز عن الفقه الجعفري. ثم انتقلت الرئاسة إلى عبد الله بن حمدان الخصيبي (+ ٩٦٨ م) الذي ساح في البلاد الإسلامية ونقل الدعوة إليها. وأسس فيها مركزين: مركز بغداد، برئاسة الشيخ علي بن الجسري، ومركز حلب، برئاسة محمد بن علي الجلّي.

لم يلبث مركز بغداد أن زال واندثر؛ فيما انتقل مركز حلب إلى اللاذقية، برئاسة أبي سعيد ميمون بن قاسم الطبراني (+ ١٠٣٥ م) الذي وضع كتباً عديدة في الدين...

لقد تشتّت النصيريون من مراكزهم هذه لكثرة الهجمات الإسلامية السنّية عليهم. فالذين كانوا في حلب هربوا إلى الجبال المجاورة، وكان جبل السماق أكثر استئهالاً بهم. عليه حطّوا رحالهم، وفيه وجدوا الدروز يكنّون لهم الشر، فأجلوهم منه، واستقروا فيه مدة طويلة. والذين كانوا في اللاذقية هربوا هم أيضاً من وجه الغزاة السنّيين واستقبلتهم الجبال المجاورة، المدعوة باسمهم، أي « جبال النصيرية ». في هذه الجبال

الجرد ذاق النصيريون طعم الظلم والقهر والجوع والأمراض، تاركين خلفهم مـدن السـاحل وخصب سهولها، كما ترك أخوانهم مدن الداخل وخيرات أرضها... ومع هذا، لم يبرح أمـل العودة إليها من نفوسهم، وهم يغذّون فيها، سراً، الثأر من الغزاة المسلمين.

*****

وجاء على النصيريين، أيام الصليبيين (١٠٩٦ ـ ١٢٩١ م)، عهد جديد. فعندما دخل هؤلاء بلاد الشرق، كان في نيتهم القضـاء على كل مسلم، من أيـة شيعة كان. وهكذا صار « بعد أن ترك الافرنج المعرة، تقدموا إلى لبنان، وقتلوا عددا كبيراً من النصيريين »[١]... إلاّ أنّهم، بعد معرفتهم لمختلف الطوائف الخارجة عن الإسلام، لم يلبثوا أن عاونوا بعضها، كمـا تعاونوا مع المسيحيين. فبنوا، في لبنان وجبال النصيرية، أكثر قلاعهم وحصونهم، فكان لهـم في بلاد العلويين حصن الأكراد وقلعة صهيون وحصن سليمان وبرج صافيتا وقلاع مصياف والقدموس والكهف والرصافة وبانياس... وذلك لمواجهة الجيـوش الإسـلامية مـن جهـة، ولاطمئنانهم من سكان هذه الصقاع من جهة ثانية.

واستفاد النصيريون من تحالفهم مع الصليبيين لينقضوا على أعدائهم التاريخيين وأبناء منطقتهم الإسماعيليين. فهدموا قراهم ومدنهم، وأحرقوا لهم بيوتهم ومزارعهم، وتعقّبوهم أينما رحلوا وأينما حلّوا... وجـاء لنجدتهـم الأمير حسن المكزون السنجاري (+ ١٢٤٠ م) آتيـاً من سنجار، ودخل جبـال النصيرية وأجلى منهـا الأكراد، وأسقط نفـوذ الاسماعيليين. بذلك « خلّصهم

----

(١) Barhebraeus, Chronique Syriaque, cité par Assemani, Bibl. Orient., II, 320.

وأنجدهم من تجاوزات الأكراد بعد الصليبيين »[٢]، ثم « أسقط نفوذ الإسماعيلية »[٣].

يعتبر الأمير حسن المكزون من أعظم مشايخ النصيريين المتـأخرين، ومـن أشـهر الأتقياء. كتب ديواناً وأشعاراً متفرقة في التصوف والدين بأسلوب رمزي. وهو مع معاصـره الشيخ منتجب الدين العاني عالمان في الدين، « لم ير العلويون من بعدهما من يماثلهمـا فـي العلم والتقوى ». واشتهر أيضاً بعدهما الشيخ حاتم الطوباني (+ ١٣٧٥ م) والشـيخ حسـن الاجرود المكنّى بأمير الجماعة والذي سعى في اتّحاد العلويين. ولكليهما كتب في الدين...

بعد وفاة الأمير السنجاري، عاد النصيريون لينحسروا في الجبال لكثرة المظالم عليهم من كل جانب. فتعرضوا لهجمات الأكراد والإسماعيليين والأيوبيين. هؤلاء كانوا أكثر ظلمـاً عليهم من سواهم، وكانوا متحمسين للقرآن، مشهورين بعداوتهم للشيعة عامة؛ فبعد تمركـزهم في دمشق (١١٨٦ ـ ١٢٦٠) وحلب (١١٨٣ ـ ١٢٦٠) واليمن (١١٧٣ ـ ١٢٢٩) ومصر حيث جاء صلاح الدين (١١٣٨ ـ ١١٩٣) يمد الضربة القاضية على جميع فلـول الشـيعة. فعزل الخليفة الفاطمي واعترف بسلطة الخليفة في بغداد، وانتصر على الزنكيين قرب حمص، واحتل سوريا والموصل، وهزم الصليبيين في حطّين (١١٨٧) وأسر ملك القدس، وفتح بيـت المقدس، ثم عقد هدنة من الافرنج وسالمهم.

قال المؤرخون في عهد صلاح الدين والأيوبيين عامة بأنه « لم تكن أراضي العلويين تتخلص من نكبة إلاّ تعقبها أخرى أعظم منها... حتى لم

----
(٢) محمد الطويل، تاريخ العلويين، ص ٣٠٦.
(٣) نفس المرجع، ص ٣٠٩.

يبقَ للعلويين أدنى استراحة في جبلهم »(٤).

*****

في السنة ١٣٠٥ م « قرر المماليك (١٢٥٣ ـ ١٥١٧) إبادة الشـيعة: « المتاولـة، والنصيرية، والدروز »(٥)، فتعقّبوهم في كل مكان، في كسروان من جبال لبنان، وفي سـهل البقاع، وساحل سوريا، وجبال النصيريين...

*****

في المرحلة الأولى هذه من تاريخ النصيريين وجدنا نشأتهم على أعقاب الشيعة الاثني عشرية الذين ختموا الإمامة بمحمد المهدي الإمام الثاني عشر، ونشأوا نشأة قوية باعتمـادهم على نظرية: إن ا لا يترك المؤمنين « هملاً » من مرجع يرجعون إليه، ومن حجة يستدلّون به في أمور الدين، ومن باب يكون واسطة بينهم وبين ا ... لكنّهم، بذلك، لم يسلموا، لا مـن الشيعة ولا من السنّيين، فاضطهدوا؛ وبعد استقرارهم في الجبال، لم يسلموا أيضـاً، لا مـن الأكراد ولا من الإسماعيليين.... وعندما دخل الصليبيون بلادهم نكبوا بهم أولاً ثم كانت فترة هدوء. ولما زاح صلاح الدين الصليبيين وجه إليهم ضربة قاسية. ولدى اسـتيلاء المماليـك اشتعلت بلادهم ومحاصيلهم... إنّها فترة اضطهاد مرير وقهر كبير وظلم مكين... لم يعرفـوا في أرضهم استقراراً، ولم يختبروا مع جيرانهم حناناً؛ فعاشوا الموت، وأكلهم الجوع، وفتـك بهم المرض، وتخطّاهم الزمان فنساهم كما هم.

----

(٤) منير الشريف، العلويون من هم؟..، ص ٤٤.

ثانياً: في أيام الحكم العثماني

في سنة ١٥١٦ قضى السلطان سليم العثماني على دولة المماليك، في موقعة مرج دابق بالقرب من حلب، وفتح سوريا ومصر. وخضعت له كل البلاد العربية. ومارس على النصيريين، بنوع خاص، شتّى العذابات والقهر، حتى « كانت أضرار الأتراك فوق كل حد »[1]. ولما دخل السلطان حلب أخذ من بعض العلماء السنّيين الفتوى المشهورة لقتال العلويين أو الكفرة. جاء في الفتوى استشهاده بالآية « قاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله »[2]. بعدها، « جمع عموم الأمراء والمشايخ العلويين بحجة أن يعطي لكل واحد منهم سلطة رسمية ويصادقهم على وظائفهم؛ فجاء الأمراء والمقدمون والمشايخ العلويون من كل جانب، حتى اجتمع إليه تسعة آلاف وأربعمائة رجلاً منهم، فقتلهم بموجب تلك الفتوى. ثم أمر بقتل العلويين باسم الدين »[3].

وهرب العلويون في الجبال، وكانت الجيوش العثمانية تتعقّبهم أينما رحلوا؛ حتى قتل في ذلك الوقت أربعون ألفاً[4]. وعمت البلوى علويي ديار بكر وماردين والأناضول والجبال والسواحل. والذين هربوا

----

(١) محمد الطويل، تاريخ العلويين، ص ٣٢٠.
(٢) سورة الحجرات ٤٩ / ٩.
(٣) محمد الطويل، المرجع المذكور، ص ٣٤٢.
(٤) نفس المرجع، ص ٣٤٤، تاريخ الدولة العثمانية لمحمد فريد بك، ص ٧٤، منير الشريف، العلويون من هم؟..، ص ١٠٢.

منهم إلى الجبال سماهم الأتراك « سوارك »، وتعني: المنفيين أو المساقين. ويوجـد اليـوم بعض العلويين في صهيون والعمرانية وصافيتا من يسمى بهذا الاسم... وزادت النكبة علـى النصيريين بأن تحالف الأتراك مع الإسماعيليين وملّكوهم القلاع المحصنة في منطقتهم، كمـا انقسمت العشائر النصيرية على نفسها، وتنافسوا على تحصيل المعاش، لضيق المنطقة التـي لجأوا إليها، ولكثرة عدد النازحين، حتى جرى بينهم قتال وشر، و « أصبح الأخ يقتـل أخـاه ليأكل ما عنده »(٥).

وشاع في ذلك الحين عن السلطان سليم « إنّه لم يثبت مقدرته الحربية إلاّ فـي محـو العلويين »(٦). وقيل في اللاذقية أيضاً: « لم يبقَ أثر من العلويين في اللاذقية سـوى مقـابر الأجداد »(٧). وذكرت مجلّة الصياد اللبنانية بأن العلويين إلى اليوم « يتحدثون في أوسـاطهم عن المأساة التي حلّت بهم أيام السلطان العثماني الذي أمر بإبادتهم... و أصدر فتوى بإحراق دمهم »(٨)... ومع هذا كله استطاع النصيريون البقاء، إذ « كانت مناعة جبل النصيرة الطبيعية سبباً في المحافظة على الموجودين فيه منهم »(٩).

وحوالي نهاية القرن الثامن عشر، وعلى أثر مقتل طبيب انكليزي في جبل النصيرية، استحضر سليمان باشا متسلّم ولاية طرابلس قوات كبيرة وغزا الجبل، وقتل من قتل، وهـرب من هرب، و « قبض على سبعين شخصاً

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(٥) تاريخ العلويين، ص ٣٩١.
(٦) تاريخ العلويين، ص ٣٤٤.
(٧) نفس المرجع.
(٨) نفس المرجع.
(٩) الصياد، العلويون، ٢٤ آذار ١٩٦٦ عدد ١١٢٣، ص ٢١.

من المشايخ وقتلهم ووضع في رؤوسهم التبن »[١٠]... ثم أعاد الكرة على الجبل بحجة أن فيه حركات ثورية، وقبض على خمسة وأربعين شخصاً وذبحهم.

وفي سنة ١٨٠٧ حدثت بين النصيريين والإسماعيليين مذبحة رهيبـة، وكـان ذلـك بخدعة ماكرة لا مثيل لها. إذ قام ثلاثمائة عيلة نصيرية تطلب اللجوء إلـى أميـر مصـياف الإسماعيلي بحجة خلاف مع أحد رؤسائهم الدينيين. قبِلَ الاسماعيلي طلبهم، وأسكنهم عنـده. وبعد مدة وجيزة، وفيما كان الرجال الإسماعيليون في الحقول يرعون الماشـية ويزرعـون أرضهم، انقض النصيريون عليهم، وقتلوا منهم ثلاثمائة رجلاً، ودخلوا البيـوت والحصـون، وجاء لمساعدتهم أخوانهم الذين نزلوا من الجبال... مما يثبت بلا ريب وجود مؤامرة مـدبرة مسبقاً. لكن، أن يبقى سر المؤامرة ثلاثة أشهر يستعد فيها النصـيريون للانقضـاض علـى أعدائهم، فهو ما يجعلنا نقدر مقدرة السرية والكتمان لشعب سري في كل شيء... وعلم باشـا الشام بالمكيدة فأتى على رأس خمسمائة من عساكره، وقضى على المكيديين...

وفي سنة ١٨٣٢ دخل إبراهيم باشا قائد القوات المصرية إلى بـلاد الشـام، وجـرد النصيريين من أسلحتهم، وتعقّبهم في الجبال، وهدم حصونهم « وقطع رؤوس رؤسائهم »[١١]، واستعان لاخضاعهم بأعداء جدد هم الموارنة والدروز الذين استقدمهم من جبال لبنان. وحصل بين النصيريين والدروز قتال شديد، إلاّ أن النصيريين قبضوا على خمسمائة درزي في وادي العيون وذبحوهم فوق حجرة واحدة مدورة، تسمى، إلى

----

(١٠) تاريخ العلويين، ص ٣٨٨.

(١١) P. Jacquot, L'Etat des Alaouites, p. 15.

يومنا هذا، بـ« حجرة الدم »، وهي بالقرب من المريقب... ولما خرج إبـراهيم باشـا مـن سوريا رجع النصيريون تحت سلطة زعمائهم المحلّيين، وعاد نصيريو الجبل يتناحرون فيمـا بينهم، ويعيشون الفساد، فهجموا على اللاذقية ونهبوها...

وفي سنة ١٨٤٧ حدث قتال بين عشيرتين مـنهم: الرسـلانيين والشمسـيين. وقـام إسماعيل خير بك أحد زعمائهم بالصلح فيما بين العشيرتين، كما قام بثورة عارمة ضد الحكم العثماني. إلاّ أن الحكومة عملت على إخمادها. ولكي تأمن شره عينته حاكمـاً علـى قضـاء صافيتا مقابل دفعه لها ٣٠٠ ألف فرنك. ولكنّه ما لبث أن قام بالثورة ثانية، فكان يختفي حيناً ويظهر حيناً آخر، إلى أن لجأ إلى خاله « علي الشلّة » في قرية « عين الكروم »، فغدر بـه خاله إرضاء للحكومة وطمعاً بمكافأة، فقتله وهو نائم وأرسل رأسه للحكومة. وكان « هواش » أكبر أولاده فتزعم عشيرته فخشيت منه الحكومة واستدعاه والي سوريا حمدي باشـا ١٨٥٥ إلى دمشق حيث اعتقله مع أسرته، ثم نفاه إلى جزيرة رودس، وبقي هناك حتى توفّي.

وهكذا استعادت الدولة التركية سلطتها على النصيريين. وقسِمت منذ ذلك الحين الجبل إلى قائمقاميات كما في سائر البلاد السورية. وكان تحت الحكم العثماني المباشر... فـافتقرت البلاد من الرجال والمال، ومن الزرع والمواشي، ودب الفقر والجـوع والمـرض، وقلّـت المحاصيل المعتمد عليها في البلاد كالكرمة والدخان...

« في سنة ١٨٧٠، كتب الخبير الروسي في اللاذقية ما يلي: إن مناطق النصـيريين هي من أتعس المناطق وأشقاها. ليس لهم لا عدالة ولا أمن »[١٢].

---

(١٢) المرجع السابق (الفرنسي) ص ١٦.

« وفي مدة ولاية راشد باشا على سوريا (١٨٦٦ م) تمرد أهالي الجبل على الحكومة، فأمر الباب العالي بإخماد هذا التمرد، فأخمده بغاية العنف، إذ شنق العصاة، وأحـرق بيـوت النصيرية.

« وهدأت الحال عشر سنوات ثم عاد النصيرية إلى الثورة، فأرسلت الدولـة العليـة حملة تحت قيادة الفريق عاكف باشا، قومندان موقع بيروت، فقبض على المتمـردين، ونفـى بعضهم إلى قلعة عكا، وشنق البعض الآخر.

« وبعد ذلك العهد عين للاذقية متصرف اسمه ضيا بك، من أصل شركسـي، ومـن رجال السلطان عبد الحميد. فبعد أن بقي في متصرفيته مدة وخبر أحوال البلاد، خيل إليـه أن يدا أجنبية تلعب بعواطف النصيرية، وأن وجود مدارس الأميركان في بعض أنحـاء الجبـال مضر بسياسة الدولة، وأن الدواء الوحيد هو اقفال تلك المدارس الصغيرة للاستعاضـة عنهـا بمدارس للحكومة. ثم خطر له - للفوز بهذا المشروع - ضرورة إدخال النصيرية في الدين الاسلامي بطريقة رسمية، وحينئذ يكون له الحق في منع انشاء المدارس الأجنبية بينهم. فسعى جهده في سبيل انجاز مشروعه، وهو يقصد غالباً كسب الشهرة ونيـل الحظـوة فـي نظـر (السلطان) عبد الحميد فاتخذ لذلك طريقة سهلة، وهي في حد ذاتها تلفيق ظاهري وذلـك إنـه اكتفى بأن أحضر إليه أكثر رؤساء النصيرية. وكتب بحضورهم مضبطة فـي مجلـس إدارة اللواء بأن جميع طوائف النصيرية دخلت عن رضا وطيبة خاطر في الدين الإسلامي الحنيف وإنهم لهذا القصد أرسلوا رؤساءهم ومشايخهم لكي ينوبوا عنهم بالاقرار والاعتراف بإسلامهم الرسمي لدى الحكومة، فوقّع هؤلاء المضبطة وانصرفوا. وبعد ذلك أقفلت الحكومة مـدارس الأميركان الصغيرة التي كان أكثرها عبارة عن بيوت حقيرة. ثم بنت الحكومة فـي سـواحل الجبل نحو أربعين

مدرسة صغيرة لتعليم أولاد النصيرية القراءة البسيطة لا غير »[١٣].

وفي سبيل الوصول إلى هذا الهدف عينت الدولة التركية مدحت باشا والياً على سوريا، وجعلته يهتم بالنصيريين، حتى سموه بـ« سيد الأحرار في الشرق »، لأنهم، في أيامه، تنفّسوا الصعداء. وذات يوم، جاء مدحت باشا إلى حماه، وطلب زعماء النصيريين من مقدمين ومشايخ، وكانوا نحو خمسمائة، فوقف بينهم، ووجه إليهم خطابه الشهير. جاء فيه:

« يا أمراء ومقدمين ومشايخ! لماذا تبقون تجاه الحكومة في موقع العصاة، وأنتم مصرون على عدم تأدية التكاليف الأميرية، وعلى عدم إيفاء الخدمة العسكرية، ولا تقبلون الأحكام القانونية، وأنتم مصرون على مخالفة الحكومة؟

« يا أولادي! أنتم لا تعترفون بعدالة الحكومة، لأنكم لم تروا في أعمالها شيئاً يدلّ على النيات الحسنة نحوكم، ولم تصادفوا قراراً لها في شؤونكم يوافق قواعد العدل؟

« أنتم لا تنقادون لأوامر الحكومة، لأن المأمورين الذين يذهبون لعندكم لا يعملون شيئاً إلاّ تذليل نفوسكم العزيزة، ولم تكونوا في نظرهم إلاّ غنيمة تُؤكل. ولم تشاهدوا في الحكومة أذناً تصغي لأنين شكواكم، وأنواحكم تذهب ضياعاً. وأنتم تعتقدون أن هذه هي الحكومة!

« أما السوريون فإنّهم يعتقدون أنّكم ذوو أخلاق تقتضي معاداتكم إلى الأبد، ويهتمون في اقناع الحكومة على ذلك.

---

(١٣) عن مقال في جريدة الأهرام نقله فريد وجدي في « دائرة معارف القرن العشرين »، ج ١٠ ص ٢٥٢. انظر « مذاهب الإسلاميين » ص ٤٩٩.

« بقيتم تجاه الحكومة في موقع العصاة، لأنه لا يوجد في جـبلكم مدرسـة تعلمكـم واجباتكم، ولا طريق يوصلكم لمراكز المدينة، ولا أثر يدلّكم إلى العمـران والرفاهيـة، ولـم تشاهدوا سوى المظالم والتعديات التي أوجدت فيكم المخالفة وخشونة الطبع.

« فلذلك بقيتم دائماً كالعصاة، وواظبتم على الممانعة والمخالفة، وهذا أمر طبيعي، فلا لوم عليكم!

« يا أولادي! أطمنكم، أنّي سأدفع عنكم تلك الأحوال الإدراية السـقيمة. وسـأجعلكم تستقلّون في الحكم بأنفسكم كما هي الحالة في جبل لبنان. وسأفتح لكـم طرقـاً تسـمح لكـم بالاشتراك في الحياة البشرية العمومية، وتكونون أنتم الحكّام على أنفسكم، وحينئذ تلقون أنفسكم في حضن أمكم الشفوقة الحكومة العثمانية »[١٤].

عند ذلك تحركت خواطر أشراف الشام، وأقاموا ضجة عظيمة بأن مدحت باشا يريـد إجهاد الحكومة والاستقلال عنها. ووالوا شكاياتهم للسلطان عبد الحميد الثاني. فنقل مدحت باشا إلى أزمير، واتّهمه بالخيانة لبلاده، ثم نُفي إلى الطائف ومات هناك مغدوراً به.

*****

---

(١٤) انظر خطاب مدحت باشا في « تاريخ العلويين » ص ٤٠١ ـ ٤٠٤.

ثالثاً: في زمن الانتداب الفرنسي

لم تدم أحوال النصيريين على هذه الحال، بل أخذت بالتردي والبلاء. فما إن أُعلنت الحرب العالمية الأولى، واستنفرت الجيوش من المتحاربين، حتى قامت الدولة العثمانية وأعدت رجالها وعتادها. وكان أول من ساقت إلى الحرب الرجالَ النصيريين. وساءت أحوال الجبال النصيرية جداً، بعد رحيل الرجال منها. فضعفت الزراعة وقلّ المحصول، وفرضت الدولة التركية على الحاصلات ثلاثة أعشارها، واحتكرت كل شيء في سبيل الجيوش، ومنعت الناس من شراء الخبز إلاّ من دائرة الاعاشة... و « جبل النصيرية الذي لم يكن، والحالة هذه، ليعطي حباً يكفي أهله، فقد بقي تحت خطر الجوع وخطر الحمى التيفوسية التي توسعت في أعالي الجبال وأسفرت عن وفاة مائة ألف نسمة فيه »[١].

ولما قضى الحلفاء على الدولة العثمانية، عملت هذه على طرد النصيريين من « أطنّة »، وعلى أخذ الأسلحة الحربية منهم، وعلى تشتيتهم، حتى لم يبقَ لهم فيها أثر. وعمت الفوضى في البلاد، وكثرت البلايا، واستغلّ الأرمن المنكوبون المناسبة، كما طمعوا بمحبة الفرنسيين لهم، فراحوا، بفضل تنظيمهم، ينتقمون و « يعتدون على كل من اسمه محمد أو أحمد، أو كل من كان متعمماً ولابس طربوش »[٢].

---

(١) تاريخ العلويين، ص ٤١٤.
(٢) المرجع نفسه، ص ٤١٩.

« وفي القطاع الساحلي من سوريا، الذي كان منذ أواسط تشرين الأول ١٩١٨ مسرحاً لمجهود فرنسي مرهق وقاس، فإن المهمة الأكثر الحاحاً أمام الفرنسيين كانت التخفيف من الجوع والبؤس بين الأهالي الذين أوصلتهم الحرب وسوء الحكم إلى حالة كئيبة تنذر بكارثة. وكان الإرساليات التي تتبع دولاً في حالة حرب مع تركيا قد منعت في السنة الأخيرة للحرب من مواصلة عملها في المدن والقرى المصابة، بل والمقفرة أحياناً كثيرة بسبب الجوع والأمراض[٣]... وكانت آثار هذه النكبات واضحة للعيان... »[٤].

وبعد هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ القاضية بتسريح كل القوات التركية واستسلامها الكامل وتسليمها مواقعها للجيوش الفرنسية، تألّفت جمعية علوية سمت نفسها « انتباه ملّي » بالتركية و « اليقظة القومية » بالعربية، وراحت تطالب بكيليكيا على أنّها من البلاد العلوية، ولا حقّ للأرمن بها. وقالوا: « إن كيليكيا هي من البلاد العربية من حيث التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والأساسات العرقية لسكانها »[٥]. وكان الكاتب في الجمعية العلوية، آنذاك، صاحب كتاب « تاريخ العلويين »، محمد أمين غالب الطويل[٦]. وكان ذلك في صيف ١٩١٩.

وفي ٢٨ آب سنة ١٩١٩ قام الشيخ صالح العلي بثورة عارمة ضد الفرنسيين وحلفائهم الاسماعيليين، وعاونه على ذلك الملك فيصل الذي كان ملكاً على دمشق آنذاك. وهاجم الشيخ صالح الاسماعيلية في القدموس

----

(٣) س. هـ. لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ص ١٠١.
(٤) جورج انطونيوس، يقظة العرب، ص ٣٤٥، في المرجع السابق...
(٥) تاريخ العلويين، ص ٤٢٤.
(٦) كثيراً ما نعتمد على هذا الكتاب لمعايشة صاحبه للأحداث وفاعليته فيها.

ومصياف ونهر الخوابي، ودمر بلادهم إلى أن تدخلت السلطات الفرنسية.

وفي ٢١/ آذار سنة ١٩٢٠ عاود النصيريون بقيادة الشيخ صـالح العلـي مهاجمـة القدموس، واستولوا عليها، وأعملوا فيها النهب والتخريب والقتل. وأمر الشيخ العلـي بجمـع كتب الاسماعيلية وأمر بإحراقها.

وفي ١٧/ نيسان سنة ١٩٢٠ قام الإسماعيليون بهجـوم معـاكس علـى القـدموس واستطاعوا استردادها...

وهكذا كان الحرب سجالاً بين الشيخ صالح العلي والنصـيريين مـن جهـة وبـين الفرنسيين والاسماعيليين حلفائهم من جهة ثانية. وكان أثر تصارعهم مع بعضـهم بعضـاً أن دمرت مدن وقرى كثيرة، مثل القدموس ومصياف والشيخ بدر والنيحا ووادي العيون والرستن وعفرزيتي وقلعة الخوابي وكاف الجوز ورأس الكتان وضهر مطر والعجمة والغازة والشـيخ علي طرزوا والحفّة وغيرها... وأحرقت المحاصيل، وأتلاف التبغ بنوع خـاص، وتشـردت عائلات، وهدمت البيوت من أساسها...

وفي ٦ آب سنة ١٩٢٠ كتب المفوض السامي الفرنسي فـي بيـروت إلـى وزيـر الخارجية الفرنسية آنذاك « ميللران » يقول له: « إن الأنصارية الموجودين في الجبال قبالـة الساحل، كلّهم يتكلّمون العربية، ويؤلّفون وحدة دينية هي، نظرياً، متّصلة بالإسـلام، ولكـن، عملياً، منفصلة عنه تماماً. ولا يجب أن نخلطهم مع المسلمين. إنهم جبليون متخلّفون، تحـت سلطة رؤسائهم الاقطاعيين »(٧).

وفي ٢٩ آب سنة ١٩٢٠ تقررت أراضي الدولة العلويـة، وعـين الكلونيـل نيجـر Nieger حاكماً عليها. وفي ٣١ منه و١ أيلول صدر من القومسيرية العليا

---

(٧) انظر Archives diplom. du ministère des Affaires Etrangères Française, No 125, p. 199.

في بيروت أمر يقضي بتسمية جبل النصيرية بـ« أراضي العلويين المستقلّة »، وتقرر لهـا شكل إداري خاص. وكان يدير شؤونها الكولونيل نيجر المذكور.

وفي ١ أيلول أيضاً من السنة نفسها، جاء رجل من علويي طرسوس وباشـر بنشـر جريدة اسمها « الصدى العلوي ».

وفي ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٠ وجه الشيخ صالح العلي حملـة لاحـتلال مصـياف الاسماعيلية، فحاصرها، وقامت فيها معارك طاحنة، ودام حصارها عشرة أيام. في هذه الأثناء كتب الكولونيل الفرنسي « جاكو »: « إن النصيريين والاسماعيليين شعبان ودينان، لا هؤلاء ولا أولئك مسلمون »[٨].

وفي ٢٩ تشرين الثـاني وجه الجنرال غُورو حملة ضد الشيخ صالح العلي عند قرية « عين القضيب » شرقي القدموس، ولكن دون جدوى. إلاّ أن الجيوش الفرنسية دخلت منطقة الشيخ بدر واحتلتها دون مقاومة، وراحت تعتقل الزعماء والمشايخ والأعيان، وقضت علـى بعضهم بالإعدام، وعلى بعضهم الآخر بالسجن المؤبد... فاضطر الشيخ صالح العلـي إلـى التوجه إلى الشمال إلى قرية « بشراغي » و « سـنديانا » و « جيبـول » و « الحمـام ». فتعقّبته الجيوش الفرنسية، ودارت بين الفريقين حرب سجال إلى أن انتهت بقيـام الفرنسـيين بهجوم كبير في ١٥/حزيران /١٩٢١ على « بشراغي » حصن الشيخ صالح، و « بسمالخ »، و « عقبة الزرزار » و « جبل النبي صالح ». وحاول الفرنسيون القبض على الشيخ، ولكـن الشيخ كان قد اختفى، وتشكلت محكمة أصدرت حكمها بإعدامه إذا ما قبضوا عليه؛ ولما يئسوا من القبض عليه أصدر الفرنسيون قراراً بالعفو عنه، وقّعه الجنرال غورو... فسلّم الشيخ نفسه حتى يجنّب بني قومه العذاب بسببه.

----
(٨) Col. P. Jacquot, L'Etat des Alaouites, 15.

عرف الشيخ مصلحة قومه فذهب لمقابلة الجنرال « بيوت » Billote في اللاذقية الذي أبلغه العفو شرط أن يقيم في منطقة لا يغادرها إلاّ بإذن السلطات الفرنسية. وعاد الشيخ إلى الجبل ليعتزل فيه. ولم يترك عزلته إلاّ بعد أن تحركت القضية الوطنية سنة ١٩٣٦ وما تلاها. وتوفّي الشيخ في ١٣ نيسان سنة ١٩٥٠...

بعد عزلة الشيخ ساد الجبل هدوء كبير ومديد، واستقرت فيه أحوال المعيشة، وابتدأت سياسة علوية جديدة مع المنتدبين...

ففي ٢١ تموز سنة ١٩٢٢ أخذت « الأراضي العلوية » اسم « دولة العلويين ». وكان حاكمها الأول الجنرال « بيوت » Billote(٩).

وفي ١٦ أيلول من السنة نفسها تعين للعلويين قضاة ومحاكم مذهبية، وأحدث لهم مرجع باسم « قاضي القضاة »، ويحكمون بحسب قوانين المذهب الجعفري مع بعض الفروق.

وابتدأ عهد جديد نتج عنه « رغبة، قد تكون غريزية، في الطلب من السلطة المنتدبة، بواسطة ممثليها، لأن تمدد وصايتها ومراقبتها، لكي يكون (للعلويين) الوقت الكافي والوسائل الكفيلة، ليحصلوا على قوة الإدارة والسياسة التي تنقصهم، وليفسح لهم المجال ليصلوا إلى درجة من التطور »(١٠).

وهكذا أصبحت « الدولة الجديدة ضمن الاتحاد السوري الفدرالي. وتعلّق النصيريين بسنّيي دمشق لا يمكن أن يدوم. لهذا كثرت الاعتراضات. وفي كانون الثاني سنة ١٩٢٤ رفض ممثلو النصيريين الجلوس في المجلس

----

(٩) Col. P. Jacquot, L'Etat des Alaouites, 16.

(١٠) Op. cit., p. 30.

الفدرالي. وفي ١ كانون الثاني سنة ١٩٢٥ أصدر الجنرال « ويغـان » Weygand قـراراً باستقلال « دولة العلويين »[١١].

وفي سنة ١٩٢٧ كانت « دولة العلويين » تتألّف من سنجقين:

أً ـ سنجق اللاذقية ويتضمن: مدينة اللاذقية، وجبلة، وبانياس، ومصياف، والحفّة، كأقضية. والأقضية تنقسم إلى مديريات[١٢]...

بً ـ وسنجق طرطوس ويشمل على: طرطوس، وصافيتا، وتل كلخ، كأقضية.

أما العلم العلوي فـ« أبيض مع شمس في الوسط صفراء، وأربع زوايا حمراء »[١٣].

وكان عدد سكّان الدولة آنذاك / ٢٧٨٠٠٠ نفس. موزعة كما يلي:

٢٨٥ ١٧٦ علوي	١٧٥٥١٤ في القرى ٧٧١ في المدن
١٤٨ ٠٢٥ سنّي	٠٣٠٠٨١ في المدن ٠٢٢٠٦٧ في القرى
٤٥٧ ٠٠٤ إسمعيلي	٠٠٢٨٥١ في القرى ٠٠١٦٠٦ في المدن
٤٤٤ ٠٤٤ مسيحي	٠٣٤٤٨٩ في القرى ٠٠٩٩٥٥ في المدن[١٤].

وكانت حدود الدولة العلوية تمتد في ما بين وادي النهر الكبير شمالاً حيـث تبتـدئ سهول حمص والسهول التي يرويها نهر العاصي، ثم تلال متلاصقة بعضها ببعض في علـو متوسط (حوالي ٩٠٠ متراً)، تمتد

----

(١١) Haurt, Hist. des Arabes, cité par Jacquot, 16.

(١٢) Col. P. Jacquot, L'Etat des Alaouites, p. 10.

(١٣) J. Weuleresse, Le Pays des Alaouites, t. I, 12.

(١٤) Co. Jacquot … p. 10.

إلى انطاكيا شمالاً، حيث تنخفض بسرعة ليمر فيها نهر العاصي... فتكـون حـدود « دولـة العلويين » إذن: من النهر الكبير جنوباً، والعاصي شرقاً وشمالاً، والبحر الأبـيض المتوسـط غرباً.

*****

ننقل عن مؤرخي هذه الفترة من تاريخ النصيريين ما يلي:

« حظيت بلاد العلويين، التي كانت قد نجحت بصعوبة فـي تجنّـب التـورط فـي اضطرابات ١٩٢٥ ـ ٢٧، بإدارة حكومية في الفترة ١٩٢٧ ـ ٣٥ أرقى من أية إدارة سبق أن عرفتها البلاد، وذلك رغم أن هذه السنوات شهدت كساداً اقتصادياً خطيراً.

« وقد احتفظ المسيو شوفلير Schaeffler بمنصب الحاكم طوال هذه المدة. وكانـت كل السلطات الفعلية في أيدي الموظفين الفرنسيين. وأفلح المجلس التمثيلي ـ كـان نصـف أعضائه، ثم ثلاثة أرباعهم بعد سنة ١٩٣٠، منتخبين ـ رغم طغيان الفظاظات الطائفية، فـي القيام بمهامه على نحو معقول. وقد سجل الاهتمام بالانتخابات زيادة ملحوظة في هذه الفترة، بوصفها مجالاً آخر للصراع فيما بين الطوائف[١٥]، وذلك رغم إن الجمهور العادي ظل علـى لا مبالاته تجاه أعمال المجلس.

« وفي سنة ١٩٣٤ أعيد تنظيم شؤون القضاء. ولقيت إعادة العمل بمونوبـول التبـغ تأييداً عاماً بعد سنوات من الانتاج الفائض والمواسم التي

---

(١٥) توزعت المقاعد في المجلس على النحو التـالي: ١٠ للعلـويين (النصـيريين)، و٢ للارثـوذكس، و١ للموارنة، و٣ للسنة، و١ للاسماعيليين.

لا سبيل إلى تصريفها. وفي مدينة اللاذقية تولى موظفون حكوميون مهام المجالس البلدي بعـد أن أثبت عدم كفاءته. وقد عبرت مجموعة صغيرة من المثقفين النصيريين عن استيائها من قلّة استخدام موظفين من العلويين بالمقارنة مع السنة أو المسيحيين. وبمعـزل عـن شـجارات وصراعات زعماء منطقة التلال من النصيريين، والنزاعات بينهم وملاك الأراضي السـنّة أو جيرانهم الاسماعيليين.

« فإن سياسات البلاد ظلّت على حالها من حيث توحد الأغلبية العلوية فـي موقـف انفصالي ومؤيد للانتداب في حين ظلّ السنة وأغلب المسيحيين[١٦] (وليس كلهـم) وحـدويين وذوي نزوع وطني سوري. ورغم الردات والانقسامات الهامشية فإن هذين الحزبين ظلاّ على حالهما وكانا يتنافسان في الاجتماعات والعرائض والوفود التي تؤم بيـروت كلّمـا سـنحت الفرص. وقد قدم الفرنسيون الدعم للحزب الانفصالي علناً، وثابروا علـى تأييـد « الـرب » (نصف الشرير ونصف المضحك) البدين والجاهل وصانع المعجزات سليمان المرشد. لكـن أحداً ما كان قادراً أن يتصور أن بلاداً صغيرة ومتأخرة بالكاد قادرة على الاكتفاء إلـى هـذا الحد ـ إلى جانب أن انتماءها لسوريا حقيقة صارخة ـ يمكن أن تحرز مستقبلاً معقولاً إلاّ إذا استمر الوجود والدعم الفرنسيين لمدة غير محدودة. »[١٧]

*****

لكن الدعم لم يستمر، ولن يستمر تأييد الفرنسيين للرب سليمان

----

(١٦) « كانت الطائفة المارونية الصغيرة الحجم، والمرسلون اليسوعيون انفصاليين بقوة ».
(١٧) س. هـ. لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ٢٦٥ ـ ٦.

المرشد. ودلّت على عدم الاستمرار هذا وثائق وعرائض رفعها زعماء علويـون، بعـد مـا شعروا، من جانب السلطات الفرنسية، بعزمها على ضم الـدولتين العلويـة والدرزيـة إلـى سوريا... وبالفعل « صدر، في ٢ و٥ كانون الأول سنة ١٩٣٦ مرسومان ينصان على إعادة ضم منطقتي الدروز والعلويين إلى سوريا »[١٨]. ولكن قبـل مشـروع الضـم هـذا، قـام الانفصاليون يرسلون الوفود تلو الوفود إلى بيروت. و « كان سليمان المرشد على رأس أحد الوفود التي أمت بيروت للاحتجاج »[١٩]، كما كان موقّعاً لـ« وثيقة تاريخية »، مـع بعـض الزعماء العلويين النافذين...

هذه الوثيقة رفعها زعماء النصيرية لرئيس الحكومة الفرنسية « ليون بلوم » Léon BLUM محفوظة تحت رقم ٣٥٤٧ بتاريخ ١٩٣٦/٦/١٥، في سـجلات وزارة الخارجيـة الفرنسية، وفي سجلات الحزب الاشتراكي الفرنسي صورة عنها. وننقلها حرفياً. وإليك نصها:

دولة ليون بلوم، رئيس الحكومة الفرنسية،

بمناسبة المفاوضات الجارية بين فرنسا وسوريا، نتشرف نحن زعماء ووجهاء الطائفة العلوية في سوريا أن نلفت نظركم ونظر حزبكم إلى النقاط التالية:

١ ـ إن الشعب العلوي الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة،

----

(١٨) نفس المرجع، ص ٢٧٨. انظر أيضاً ص ٣٠٧.
(١٩) نفس المرجع، ص ٢٦٦.

بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة في النفوس، هو شعب يختلف بمعتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم والسنّي. ولم يحدث في يوم من الأيام أن خضع لسلطة من الداخل.

٢ ـ إن الشعب العلوي يرفض أن يلحق بسوريا المسلمة، لأن الدين الإسلامي يعتبر دين الدولة الرسمي، والشعب العلوي، بالنسبة إلى الدين الإسلامي، يعتبر كافراً. لذا نلفت نظركم إلى ما ينتظر العلويين من مصير مخيف وفظيع في حالة ارغامهم على الالتحاق بسوريا عندما تتخلّص من مراقبة الانتداب ويصبح بإمكانها أن تطبق القوانين والأنظمة المستمدة من دينها.

٣ ـ إن منح سوريا استقلالها وإلغاء الانتداب يؤلّفان مثلاً طيباً للمبادئ الاشتراكية في سوريا، إلا أن الاستقلال المطلق يعني سيطرة بعض العائلات المسلمة على الشعب العلوي في كيليكيا واسكندرون وجبال النصيرية.

أما وجود برلمان وحكومة دستورية فلا يظهر الحرية الفردية. إن هذا الحكم البرلماني عبارة عن مظاهر كاذبة ليس لها أية قيمة، بل يخفي في الحقيقة نظاماً يسوده التعصب الديني على الأقلّيات. فهل يريد القادة الفرنسيون أن يسلّطوا المسلمين على الشعب العلوي ليلقوه في أحضان البؤس؟

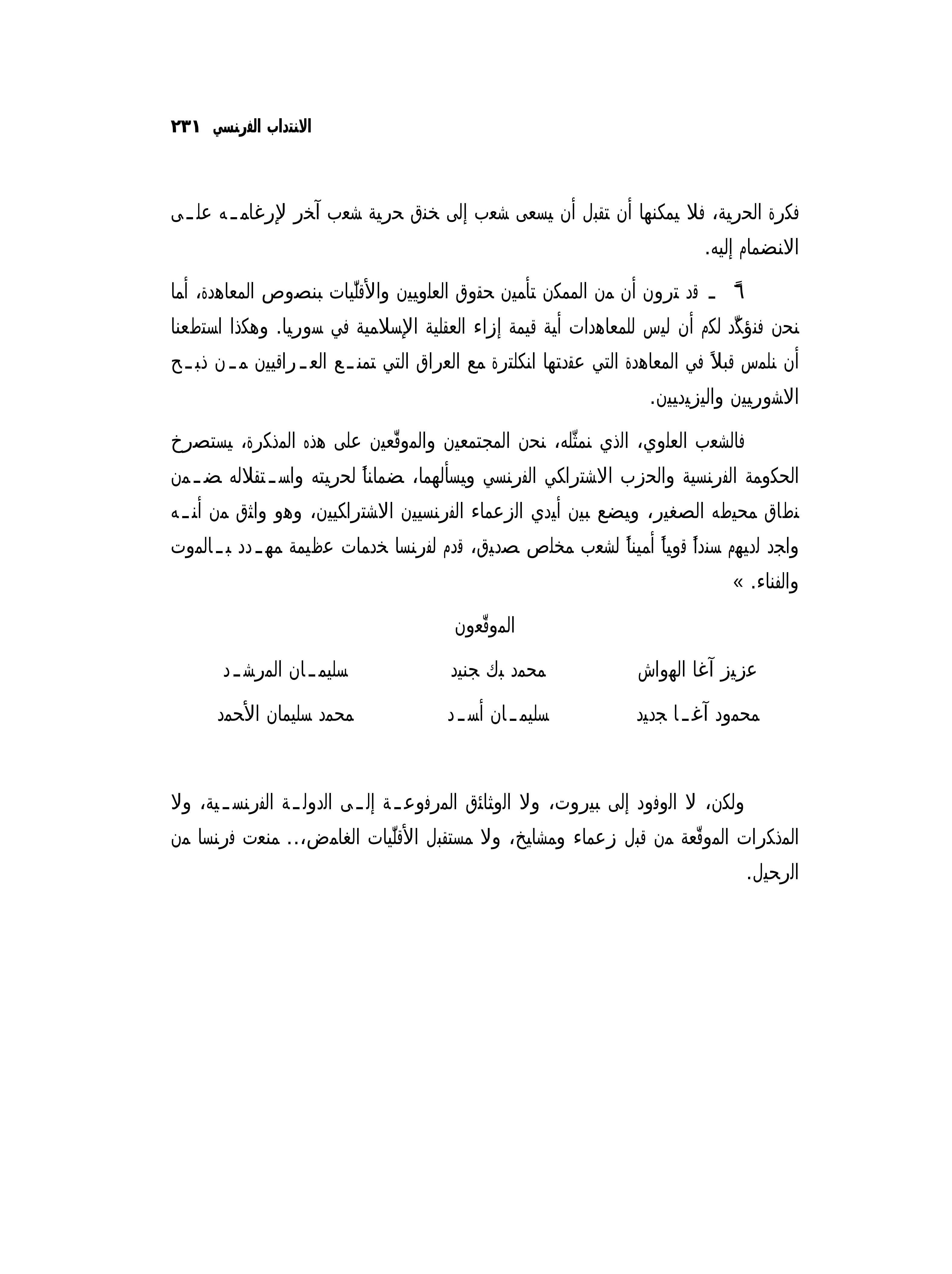
٤ ـ إن روح الحقد والتعصب التي غرزت جذورها في صدر المسلمين العرب نحو كل ما هو غير مسلم هي روح يغذّيها الدين الإسلامي على الدوام. فليس هناك أمل في أن تتبدل الوضعية. لذلك فإن الأقلّيات في سوريا تصبح في حالة إلغاء الانتداب معرضة لخطر الموت والفناء،

بغض النظر عن كون هذا الإلغاء يقضي على حرية الفكر والمعتقد.

وها إنّنا نلمس اليوم كيف أن مواطني دمشق المسلمين يرغمون اليهود القاطنين بين ظهرانيهم على توقيع وثيقة يتعهدون بها بعدم إرسال المواد الغذائية إلى أخوانهم اليهود المنكوبين في فلسطين. وحالة اليهود في فلسطين هي أقوى الأدلّة الواضحة الملموسة على عنف القضية الدينية التي عند العرب المسلمين لكل من لا ينتمي إلى الإسلام. فإن أولئك اليهود الطيبين الذين جاءوا إلى العرب المسلمين بالحضارة والسلام، ونثروا فوق أرض فلسطين الذهب والرفاه ولم يوقعوا الأذى بأحد ولم يأخذوا شيئاً بالقوة، ومع ذلك أعلن المسلمون ضدهم الحرب المقدسة، ولم يترددوا في أن يذبحوا أطفالهم ونساءهم بالرغم من وجود انكلترة في فلسطين وفرنسا في سوريا. لذلك فإن مصيراً أسود ينتظر اليهود والأقلّيات الأخرى في حالة إلغاء الانتداب وتوحيد سوريا المسلمة مع فلسطين المسلمة. هذا التوحيد هو الهدف الأعلى للعربي المسلم.

٥ - إننا نقدر نبل الشعور الذي يحملكم على الدفاع عن الشعب السوري وعلى الرغبة في تحقيق الاستقلال، ولكن سوريا لا تزال في الوقت الحاضر بعيدة عن الهدف الشريف الذي تسعون إليه، لأنها لا تزال خاضعة لروح الاقطاعية الدينية. ولا نظن أن الحكومة الفرنسية والحزب الاشتراكي الفرنسي يقبلون أن يمنح السوريون استقلالاً يكون معناه، عند تطبيقه، استعباد الشعب العلوي وتعريض الأقلّيات لخطر الموت والفناء.

أما طلب السوريين بضم الشعب العلوي إلى سوريا فمن المستحيل أن تقبلوا به، أو توافقوا عليه، لأن مبادئكم النبيلة، إذا كانت تؤيد



فكرة الحرية، فلا يمكنها أن تقبل أن يسعى شعب إلى خنق حرية شعب آخر لإرغامـه علـى الانضمام إليه.

٦ ـ قد ترون أن من الممكن تأمين حقوق العلويين والأقلّيات بنصوص المعاهدة، أما نحن فنؤكّد لكم أن ليس للمعاهدات أية قيمة إزاء العقلية الإسلامية في سوريا. وهكذا استطعنا أن نلمس قبلاً في المعاهدة التي عقدتها انكلترة مع العراق التي تمنـع العـراقيين مـن ذبـح الاشوريين واليزيديين.

فالشعب العلوي، الذي نمثّله، نحن المجتمعين والموقّعين على هذه المذكرة، يستصرخ الحكومة الفرنسية والحزب الاشتراكي الفرنسي ويسألهما، ضماناً لحريته واسـتقلاله ضـمن نطاق محيطه الصغير، ويضع بين أيدي الزعماء الفرنسيين الاشتراكيين، وهو واثق من أنـه واجد لديهم سنداً قوياً أميناً لشعب مخاص صديق، قدم لفرنسا خدمات عظيمة مهـدد بـالموت والفناء. »

الموقّعون

عزيز آغا الهواش	محمد بك جنيد	سليمـان المرشـد
محمود آغـا جديد	سليمـان أسـد	محمد سليمان الأحمد

ولكن، لا الوفود إلى بيروت، ولا الوثائق المرفوعـة إلـى الدولـة الفرنسـية، ولا المذكرات الموقّعة من قبل زعماء ومشايخ، ولا مستقبل الأقلّيات الغامض،.. منعت فرنسا من الرحيل.

ففي ١٩٣٦/١٢/٥ ضمت « دولة العلويين » إلى حكومة دمشق وصارت جزءاً مـن الدولة السورية بالقرار رقم ٢٧٤ ل. ع.[٢٠] الموقّع من المفوض السامي للجمهورية الفرنسية د. دى مرتل.

*****

ومع هذا؛ لم تخمد نار الانفصاليين، ولم تتوقّف الاضطرابات في البلاد العلوية... مما ألزم المفوض السامي أصدار أنظمة سياسية جديدة، تناسب الوضع المسـتجد. « واتّضـح أن باريس وافقت على توصياته القائلة بعودة المنطقتين الدرزية والعلويـة إلـى الحكـم الـذاتي والاحتفاظ بالقوات الفرنسية... وأصدر المفوض السامي في ٧ تموز (١٩٣٩) أنظمة أساسية جديدة ونصف انفصالية لمناطق اللاذقية وجبل الدروز، تكرس أوضاعها على نحو لا يختلف كثيراً عما كان سائداً قبل ١٩٣٦. وفي اليوم نفسه أرسل الرئيس الأتاسي برقية احتجاج إلـى باريس، واستقال من منصبه، وتوجه إلى منزله في حمص، وامتنع الوزراء عن التوجه إلـى مكاتبهم، في حين كانت دورة انعقاد المجلس في أيامها الأخيرة. وحين لم يجد المفوض السامي مخرجاً فإنّه نشر في ١٠ تموز مراسيم تتضمن تعليق العمل بالدستور السوري، وتعيين مجلس مكون من المدراء العامين للوزارات برئاسة بهيج الخطيب... »[٢١].

----

(٢٠) راجع نص القرار في كتاب « مراحل استقلال دولتي لبنان وسوريا »، جمع وجيه علم الدين، ص ٧٦ ـ ٧٧، بيروت ١٩٦٧.

(٢١) كان المفوض السامي آنذاك المسيو « بيو » Pueux. انظر س. هـ. لونغريغ، تاريخ سـوريا ولبنـان تحت الانتداب الفرنسي، ص ٢٩٦ ـ ٧.

رابعاً: الرؤيا البعيـدة

لم ينجح النصيريون الانفصاليون، فاستقلّت سوريا بكامل مناطقها ودويلاتها. وما لـم يتحقّق في دورة ما من التاريخ قد يتحقّق في دورة أخرى. وما لم يتوصل إليه سليمان المرشد وسليمان الأسد... قد يتوصل إليه أبناؤهما وأحفادهما. وإذا كان سليمان المرشد اسـتطاع أن يدخل برلمان الشام نائباً سنة ١٩٣٧، فإن أحفاده سيدخلون إلى مناصب وزارية ورئاسية أعظم شأناً. عمل سليمان المرشد للاستقلال علناً، فباءت مساعيه بالفشل، وسيعمل أحفاده سراً، بخفاء وخفر. ذاك حصن قلاعه وشحن النفوس في الجبل، وهـؤلاء عـززوا القواعـد وصـمموا للاستقلال بعمق وفي اتجاهين: في اتجاه أول عملوا لكل سـوريا باسـم العروبـة والبعـث والإسلام، وفي اتجاه ثانٍ حقّقوا في مناطقهم العمران والاقتصاد والمرافئ البحريـة والجويـة والطرقات وسكك الحديد ودور العلم والجامعات ومصارف المال. في الاتجـاه الأول نظمـوا جيشاً مقاتلاً ضد إسرائيل، وفي الثاني سيطروا هم على الجيش والمؤسسات العسكرية وقيـادة الطيران والقوات الخاصة والحرس الجمهوري والاستخبارات...

نام سليمان المرشد وسليمان الأسد بأمل تحقيق حلم لم يستطيعا تحقيقه. وجاء أبناؤهما حالِمين بتحقيق أمل يوم تتدلّى قطوفه. رقدا تاركين لأبنائهما وصية من صلب المعتقد: العمل بالتقية والكتمان، الصبر على

المكاره وطول الاناة، الاستفادة من الأقربين والأبعدين، الاتجاه نحو الغرب والشرق، القتال مع إسرائيل وضد إسرائيل، الدفاع عن العروبة وقضاياها والانتفاع من آبار نفطها وأموالهـا... وحدهم أبناء السليمانَين يستطيعون أن يسيروا باتجاهين معاكسين في آن معاً. يعرفون وحدهم وقت الهدوء والاستكانة ووقت اليقظة والعنف. في وقت الاستكانة نظّمـوا القـوى وعقـدوا الاجتماعات تلو الاجتماعات، وفي وقت اليقظة نادوا بمجتمع عروبي إسلامي أمثل... وكـل خطوة كانت متينة أمينة. والكل يصبو، ومن سحيق التاريخ يصبو، نحو الوجود والحقّ بالحياة والاستقلال بالجبل المقهور.

وتمكّنا من الحصول على مقررات سرية في اجتماعات متتالية. فكان:

اجتماع القرداحة[1]

« في عام ١٩٦٠ تنادى مشايخ النصيرية لعقد اجتماع في قرية القرداحة يحضره كبار الضباط النصيرية، وعلى رأسهم كل من محمد عمران ومحمد نبهان وصلاح جديـد وحـافظ أسد. وكان الهدف الرئيسي من هذا الاجتماع التداول والاتفاق على كيفية انخـراط الضـباط النصيريين في صفوف حزب البعث لاستغلاله وجعله سلّماً للوصول إلى الحكم. وفي نهايـة الاجتماع اتّخذت القرارات التالية:

أً ـ منح عمران رتبة « البابية » وتكليفه بالتخطيط للمنظمات العسكرية وكيفية توزيعها على المنظمات الوطنية لاستغلالها والتستّر بها.

بً ـ الموافقة على بقاء عمران في صفوف الوحدويين[2] من ناحية الظاهر.

---

(١) رفعنا هذه المقررات سنة ١٩٧٥ للمراجع المختصة بـ« كتاب سري »، وقع بين أيدي بعـض الجرائـد والمجلات فنشرته وفي بعض الكتب المنشورة...

(٢) الوحدويون هم الذين وافقوا على وحدة مصر وسوريا ١٩٥٨ ـ ١٩٦١.

٣ ـ التغرير بالضباط الدروز والاسماعيلية للتعاون معهم.

٤ ـ منح عزت جديد رتبة « نقيب » في المذهب.

٥ ـ الموافقة على احلال ابراهيم ماخوص محلّ والده في رتبته الدينية.

٦ ـ تكليف المشايخ لدعوة أبناء الطائفة للتضامن والتعاون وتشجيعهم للانخراط في الجيش.

اجتماع حمص

عقد بعد ١٨ تموز سنة ١٩٦٣ لدراسة النتائج المتأتية عن الدور الذي لعبه محمد نبهان في حوادث ١٨ تموز وأدى إلى تسريح أكثر من ٤٠٠ ضابط من أنصار عبد الناصر. وضم الاجتماع عدداً أكبر من المشايخ بالإضافة إلى كل من الضباط الآتية أسماؤهم: عزت جديد، محمد عمران، حافظ أسد، إبراهيم ماخوص. وفي نهاية الاجتماع اُتّخذت القرارات التالية:

١ ـ ترفيع محمد نبهان إلى رتبة « نجيب » تقديراً لدوره الفعال في ١٨ تموز.

٢ ـ منح محمد عمران الوشاح البابي الأقدس وتكليفه بمتابعة نشاطه في حقل الناصريين.

٣ ـ إعادة النظر بالتخطيط الموضوع بشأن انضمام المزيد من أبناء الطائفة المثقفين إلى حزب البعث والدخول باسم الحزب في الكليات العسكرية ومؤسسات الجيش.

٤ ـ التخطيط البعيد لتأسيس الدولة النصيرية وجعل عاصمتها حمص.

٥ ـ تكليف صلاح جديد بقيادة وتوجيه العناصر النصيرية في الجيش ومنحه أرفع رتبة عسكرية « مقدم ».

٦ ـ مواصلة نزوح النصيرية من كافة قرى الريف إلى المدن وخاصة حمص واللاذقية وطرطوس.

٧ ـ منح حافظ أسد رتبة « نجيب »، وهي تلي رتبة جديد.

٨ ـ منح عزت جديد وعلي حماد رتبة « المختص ».

٩ ـ السعي لاستئصال العناصر الدرزية والإسماعيلية الموجودين في صفوف الجيش والعمل على احلال العناصر النصيرية محلّهم.

١٠ ـ تسليم القيادة المدنية السياسية إلى إبراهيم ماخوص واعداده ليكون رئيساً لوزراء الدولة النصيرية المنشودة.

في هذه الأثناء بعثت مجلّة الصياد مندوبها إلى المناطق العلوية وكتب فيها تقريراً بعنوان: « العلويون. هؤلاء يحكمون سورية اليوم! »، جاء في التقرير: « العلويون يحكمون سورية اليوم بوجههم الحقيقي بعد أن تستّروا طويلاً وراء حزب البعث. قال صلاح جديد لأمين الحافظ في اجتماع مجلس الثورة: « إن الكتل الاقليمية، وبالذات كتلة العلويين هي المضمون ولاؤها للحكم القائم في سورية؛ فوجودها أساسي لحمايتكم ». وكان الكلام موجهاً بالطبع لسائر أعضاء حزب البعث وحكومة الحافظ. ـ وقِيل البعث بالحقيقة المرة لـيحكم... وتطورت الأيام.. وحدث ما حدث.. وظهر العلويون فجأة في المقدمة.. إنهم يحكمون سورية اليوم... »[٣].

... وتوالت الاجتماعات

... فكان اجتماع في « جب الجراح » بتاريخ ٣٠ كانون الثاني سنة

(٣) مجلة الصياد، عدد ١١٢٣ في ١٩٦٦/٣/٢٤، ص ١٨ ـ ٢١.

١٩٦٨ تقرر القضاء على الطائفة الإسلامية قضاء مبرماً، وتوجيه الضربة القاضية للـدروز والمسيحية، ثم إلغاء التعليم الديني الإسلامي والمسيحي، ومصادرة المدارس الخاصـة لكـلا الطائفتين حتى يسهل الانحلال الخلقي.

وكان اجتماع آخر في « صبورة » بتاريخ ١٤ نيسان سنة ١٩٦٨، وآخر في دمشـق بتاريخ ٣ أيار من السنة نفسها، وآخر في بيت النجيب حافظ أسد ضم كلاً من المقدم صـلاح جديد وابراهيم ماخوص وشفيق عبدو والشيخ علي ضحية والشيخ أحمد سلمان الأحمد والشيخ سليمان العلي وأسعد تقلا وعلي نعيسة ومحمد الفاضل وزكي الأرسوزي وأنيس خيـر بـك وعزت جديد وسهيل حسن وغيرهم...

... « والمؤامرة الجهنّمية »

نفّذ النصيريون ما جاء في هذه المقررات تنفيذاً دقيقاً. ولا يكون لنا مجال للشك إذا ما عرفنا ما دار وما قيل حول حرب الجولان. وننقل للقارئ ما جاء في الصحافة آنـذاك مـن معلومات رسمية أكّدت صحتها:

جاء في « الحوادث » ما يلي[٤]: «... وذات يوم، قالها الدكتور سامي الجندي أمـام عدد كبير من الناس، ملء فمه، في دار السفارة بباريس، حرفياً: لن يجرؤوا على لمس ظفـر صغير من أظافر خالد (أخيه

----

(٤) مجلة الحوادث البيروتية، عدد ٦٠٨ في ١٩٦٨/٧/٥.

المحبوس بتهمة قتل سيدة)، وإذا فعلوا، فلكل حادث حديث... » وصمت الدكتور الجندي قليلاً، ثم فجر القنبلة:

« في أيار ١٩٦٧، قبل حرب حزيران بأقل من أسبوعين، تلقّيت إشارة رسمية من وزارة الخارجية في دمشق تطلب منّي مقابلة أبا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية الذي كان يزور باريس آنذاك. إنني أحتفظ بتلك الإشارة الرسمية، وبما هو أخطر منها: انّني أحتفظ بسجل كامل للمقابلة ذاتها، ولما قيل فيها. وسأله أحد الحاضرين مذهولاً: هل تعني أنّك قابلت أبا ايبان في باريس في أيار الماضي وعشية الحرب؟ وقال سامي الجندي بهدوء: نفّذت أمراً من دولتي واجتمعت إليه ساعة ونصف، ولدي تسجيل كامل عن المقابلة... قال لي ايبان: إن القوات الإسرائيلية لن تصل إلى أبعد من القنيطرة حتى ولو كانت الطريق إلى دمشق مفتوحة... ».

وأكّد محمد أنور السادات بعد في ١ أيار سنة ١٩٧٩ ما جاء في هذه المعلومات إذ قال: « إن الألغام قد أُزيلت يومها من هضبة الجولان والقنيطرة قبل دخول الإسرائيليين، وإن السلطة قد بادرت إلى إعدام الضابط الذي أعلن عن سقوط الجولان قبل سقوطه ».

وأكّدت « الحوادث » معلوماتها هذه من حكومة دمشق نفسها، فقالت: « لقد تبرعت حكومة دمشق مشكورة، فأكّدت خلال الأسبوع الماضي المعلومات التي كانت « الحوادث » قد نشرتها في العدد قبل الماضي عن قصة سامي الجندي، والتي يمكن تلخيصها بأن سفير سوريا السابق في باريس كان قد ذكر في مجتمع خاص، بأن حكومته كلّفته خلال الأسبوع الذي سبق عدوان ٥ حزيران بمقابلة وزير الخارجية الإسرائيلية أبا ايبان في باريس، وأنّه قابله فعلاً لمدة ساعة ونصف »[5].

وجاء أيضاً في « الحوادث »[٦] تحت عنوان: « المؤامرة الجهنمية وضع خطوطهـا أبا ايبان وينفّذها صلاح جديد في سوريا:

« نحن مضطرون اليوم، للعودة إلى معلومات خطيرة كانت « الحوادث » قد نشرتها في العدد ٥١٨ بتاريخ ١٤ تشرين الأول عام ١٩٦٦ أي قبل حرب حزيران بحـوالي تسـعة أشهر، نقلاً عن مصادر عليمة في باريس:

« جاء في هذه المعلومات يومها:

« إن الحكم الحالي في دمشق قد سحب الأسلحة من غير العلويين في الجيش السوري، لا على مستوى الضابط فقط، بل على مستوى الجنود أيضاً. وإن ذلك جرى في معظم الكتائب التي يتألّف منها الجيش السوري.

« وقالت المعلومات: إن هذا الوضع في الجيش السوري هو مقدمة لتشجيع العلـويين المسيطرين على الحكم للانسحاب بقواتهم، بعد فترة قليلة من بـدء الهجـوم الأردنـي علـى سوريا... وتقضي الخطة بانكفاء العلويين إلى الأراضي التي تشكّل قاعـدة دولـة العلـويين القديمة، التي حاول الفرنسيون اقامتها أيام الانتداب، وهي تمتد من شمال لبنان إلى اللاذقية ».

... وفي سوريا (المستفيدون) هم « العاملون على تحقيق حلم إقامة الدولـة العلويـة، المتنكرون في ثياب حزب البعث والثورية الاشتراكية، والمتغرغرون صباح مساء بشـعارات حرب التحرير الشعبية ».

*****

----

(٥) « الحوادث »، عدد ٦١٠، ١٩٦٨/٧/١٩.
(٦) « الحوداث »، عدد ٦١٤، ١٩٦٨/٨/١٦.

ويبقى الحرب اللبنانية الفلسطينية والدور السوري فيها. الذين عاشوا هذه الحرب يعرفون جيداً من هم الأبطال ومن هم اللعب... الأبطال هم: يهود مخططون، أميريكيون وروس مباركون، نصيريون منفذون؛ واللعب هم: فلسطينيون منكربون، لبنانيون مسترخون، وأموال عربية. وكانت الحرب لأسباب واهية، فقيل إنها: حرب أهلية، وحرب طائفية، ويمين ويسار، وتغيير نظام...

والحقيقة هي إن اليهود يريدون مبرراً لوجودهم العنصري؛ والنصيريين يريدون رفع القهر عنهم وإقامة وجود مستقل لهم طالموا حلموا به؛ واللبنانيين يبغون رفع يد المتآمرون عليهم وتنطيف بلادهم من الطارئين؛ والفلسطينيين يطعنون في الصدر والظهر ومن كل ناح... من النصيريين والعرب، ومن الغرب والشرق، وقليلاً من الإسرائيليين... وكان لبنان معهم أرحب أرضاً واستقبالاً؛ والمسيحيون فيه أكثر شعوراً بحالتهم، والمسلمون أكثر نكبةً فيهم، والدروز أكثر بطشاً بهم... والضحايا من كل ملّة..

والنصيريون دخلوا لبنان، ساعدوا الفلسطينيين ثم ضربوهم، وضربوا الموارنة ثم ساعدوهم ثم ضربوهم وسيساعدونهم، وتركوا المسلمين وشأنهم طمعاً بمال الدول الإسلامية، وارتدوا عن الجولان مبروكاً لإسرائيل، أرادوا الوحدة مع الأردن فاستمهل الأردن لعلّ في الأمر منكراً، واتّجهوا إلى العراق فكان شرهم عليه مستطيراً... وفي كل حال هم من إسرائيل على اطمئنان، ومن أميركا وكمب دافد على تفاهم. هم خير المنفّذين لحرب تدوم وحروب تكثر وتكثر في المحيط الإسلامي كلّه. وستكون مكافأتهم دولة لن تقهر.

*****

ملحق

كتاب المجموع

السورة الأولى واسمها: الأول

قد أفلح من أصبح بولاية الأجلح. استفتح بأنّي عبد، استفتحت بأول إجابتي بحب قدس معنوية أمير النحل علي بن أبي طالب المكنّى بحيدرة أبي تراب، فيه استفتحت وفيه استنجحت وبذكره أفوز، وفيه أنجو، وإليه ألجأ، وفيه تباركت، وفيه استعنت، وفيه بدأت، وفيـه ختمـت بصحة الدين واثبات اليقين.

قال السيد أبو شعيب محمد بن نصير ليحيى بن معين السامري: يا يحيى إذا نزلت بك نزلة بالحياة، ودهت بك دهية بالممات، فادع دعوة عالية خالصة مخلّصة تقية بيضاء علويـة، طاهرة زكية مشعشعة نورانية تخلّصك من هذه القمصان البشرية اللحمية الدمويـة، وتلحقـك بالهياكل النورانية، فقل فيك تباركت يا دليلاً بدلّته، يا ظاهراً بقدرته، يا باطناً بحكمته، يا مجيباً ذاته بذاته، يا مخاطباً اسمه بصفاته، يا هو يا كلّ يا قديم يا أزل لم تزل، يا معلّل العلـل، يـا مفني حركات الدول، يا غاية الغايات، يا منهي النهايات، يا عالماً بأسرار الخفيات، يا حاضر يا موجود، يا ظاهر يا مقصود، يا باطناً بغير غمود، يا من أنوارك منك تشرق وفيك تغـرب ومنك بدت وإليك تعود، يا من جعل لكلّ نور ظهوراً ولكل ظهور اسماً ولكل اسم مكاناً ولكل مكان مقاماً ولكل مقام باباً يرشد الباب منه إليه ويدخل الباب منه إليه،

وأنت يا أمير النحل يا علي بن أبي طالب الدليل عليه والكل أنت هو يا هو يا هو يـا من لا يعلم ما هو إلاّ هو. وأسألك بمسائل السين سلكون سلكاً سلك سالك سلك بما سـألك بـه السائلون وبمرشد المرشدين،

وبعلي زين الدين والعابدين، أن تؤلّف ما بين قلوبنا وقلوب أخواننا المـؤمنين، علـى البـر والتقوى والتقويم والعلم والدين، نذكر حضرتك الطاهرة وقدرتك الباهرة، ورحمتـك الشـاملة والفرض اللازم والحقّ الواجب هي أسرار وتذكار، وجلال وافتخار، وعز وانتصار، وطلعتك الزاهرة، وقبابك الفاخرة، وقبة العلى وتاج الهدى، والدين القيم، والصراط المسـتقيم، ومـن عرف باطنه وظاهره فاز ونجا والذي قد عرفنا به سيدنا سلسل سلمان يتلى وقـد دلّنـا إليـه وأرشدنا إليه شيخنا وسيدنا وتاج رؤوسنا وقدوة ديننا، وقرة أعيننا، السيد أبو عبد ا الحسين بن حمدان الخصيبي قدس العلي روحه لأن مقامه مقام الصفا، ومحلّه الصدق والوفا، بسم ا وبا وسر السيد أبي عبد ا العارف معرفة ا سر تذكاره الصالح سره أسعده ا . انتهت.

السورة الثّانية واسمها وتقديسة ابن الولي

أحسن ما يرى النائم في منامه وهو يسمع الحس ولم ير الشخص وهو ينادي ويقول: لبيك لبيك يا أمير النحل يا علي بن أبي طالب، يا رغبة كل راغب، يا قديم بـاللاهوت، يـا معدن الملكوت، أنت إلهنا باطناً، وإمامنا ظاهراً، يا من ظهرت فيما أبطنت، وأبطنـت فيمـا ظهرت، بالاستتار، واستترت بالظهور، وظهرت بالذاتيـة، وتعاليـت بالعلويـة، واحتجـت بالمحمدية، ودعوت من نفسك بنفسك، أنت يا أمير النحل يا علي أشرق نورك وابزغ سفورك، وسطح ضياؤك وتعظّمت آلاؤك، وجلّ ثناؤك، بأن تأمنني من شر مسوخياتك لنـا ولجميـع أخواننا المؤمنين من

شر الفسخ والنسخ والمسخ والوسخ والرسخ والقشّ والقشّاش، إنك على ذلك قدير سر الـ ولي ابن الولي أبي الحسين محمد بن علي الجلي، علينا من ذكره السلام سره أسعده ا . انتهت.

السورة الثّالثة واسمها تقديسة أبي سعيد

أسألك يا مالك الملك يا أمير النحل يا علي يا وهاب، يا أزلي يا تواب، يا داحي الباب. أسألك بالخمسة المصطفية، والستة التجلّية، وبالسبعة الكواكب الدرية، وبالثمانية حمالة العرش القوية، وبالتسعة المحمدية، وبالعشرة الدجاجات الذكية، وبالأحد عشر مطالع البابية وبـ الاثني عشر سطر الإمامية، بحقّهم عندك يا غاية الكلية، يا أمير النحل يا صاحب الدولة العلية، يا من أنت الأحد واسمك الواحد وبابك الوحدانية، يا من ظهرت في السبع القباب الذاتية، بأن تجعـ ل قلوبنا وجوارحنا ثابتة على معرفتك الزكية، وخلّصنا من هذه الهياكـ ل الناسـ وتية، ولبسـ نا القمصان النورانية، بين الكواكب السماوية، نذكر حضرة شيخنا وسيدنا الأجلّ الأكبر الشـ اب التقي أبي سعيد الميمون بن قاسم الطبراني العارف معرفة ا المكتف عما حرم الذي أخذ حقّه بيده من قفا أبي دهية وعلي ابن دهية. لعنة ا وعلى أبي سعيد السلام ورحمة ا سر أبـ ي سعيد الشاب التقي الحر الميمون بن قاسم الطبراني سره أسعده ا .

السورة الرابعة واسمها النسبة

أحسن توفيقي با وطريقي وأحسن سمعي واستماعي من شيخي

وسيدي ومرشدي المنعم ا علي كما أنعم عليه بمعرفة ع م س وهي بشـهادة أن لا إلـه إلاّ علي بن أبي طالب الأصلع الأنزع المعبود، ولا حجاب إلاّ السيد محمد المحمود، ولا باب إلاّ السيد سلمان الفارسي المقصود، وهذا ما سمعته من شيخي وسيدي وغايتي ومعتمدي ومهديتي إلى طريق النجاة، ومورردني إلى ينبوع الحياة، ومعتق رقبتي من رقّ العبودية، بمعرفة كنـه الذات العالية، السيد الفاضل والطود العظيم عمي وشيخي وسيدي وتاج رأسي ووالدي الحقيقي أحمد وقد ألقى إلي هذا السر العظيم في سنة كذا وكذا من شهر كذا ويوم كذا منه وسمع أحمد من إبراهيم وسمع إبراهيم من قاسم وسمع قاسم من علي وسمع علي من أحمد وسمع أحمد من خضر وسمع خضر من سلمان وسمع سلمان من صبح وسمع صبح من يوسف وسمع يوسف من جبرائيل وسمع جبرائيل من معلّى وسمع معلّى من ياسين وسمع ياسين من عيسى وسـمع عيسى من محمد وسمع محمد من هدا محمد وسمع هدا محمد من رضى أحمد وسمع رضـى أحمد من صفندي وسمع صفندي من بلاذري أسد وسمع بلاذري أسد من حسـان الرشـيقي وسمع حسان الرشيقي من محمد وسمع محمد من مرهف مصر وسمع مرهف مصر من عقد جبرائيل وسمع عقد جبرائيل من عبد ا الجوغلي وسمع عبد ا الجـوغلي مـن إسـماعيل اللفاف وسمع اسماعيل اللفاف من جعفر الوراق وسمع جعفر الوراق من أحمد الطراز وسمع أحمد الطراز من أبي الحسين محمد بن علي الجلي وسمع أبو الحسين محمد بن علي الجلّـي من السيد أبي عبد ا الحسين بن حمدان الخصيبي وسمع السيد أبو عبد ا الحسين الخصيبي من شيخه وسيده أبي محمد عبد ا بن محمد الجنان الجنبلان من محمد بن جنـدب وسـمع محمد بن جندب من السيد أبي شعيب محمد بن نصير العبدي البكري النميري

الذي هو باب الحسن الآخر العسكري منه السلام وإليه التسليم ومن محمد بن نصير أقام النسب والدين وتعالى مولانا الحسن العسكري عما يقول الضالّون ونطق الظالمون علواً كبيراً. سر الدين وسر أخوتنا الجلّيين أين ما كان منهم مكين. بسرهم أسعدهم الله أجمعين وأشهد بأن الحسن الآخر العسكري هو الأول وهو الآخر وهو الباطن والظاهر وهو على كل شيء قدير.

السورة الخامسة واسمها الفتح

إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فسبح بحمد ربك واستغفره انّه كان تواباً. أشهد بأن مولاي أمير النحل علي اخترع السيد محمد من نور ذاته، وسماه اسم ونفسه وعرشه وكرسيه وصفاته، متّصل به ولا منفصل عنه، ولا متّصل به بحقيقة الاتّصال، ولا منفصل عنه في مباعدة الانفصال، متّصل به بالنور، منفصل عنه بمشاهدة الظهور، فهو منه كحس النفس من النفس أو كشعاع الشمس من القرص أو كدوي الماء من الماء أو كالفتق من الرتق أو كلمع البرق من البرق أو كالنظرة من الناظر أو كالحركة من الكون. فإن شاء علي بن أبي طالب بالظهور أظهره وإن شاء الله بالمغيب غيبه تحت تلألئ نوره.

وأشهد بأن السيد محمد خلق السيد سلمان من نور نوره وجعله بابه وحامل كتابه فهو سلسل وسلسبيل، وهو جابر وجبرائيل، وهو الهدى واليقين. وهو بالحقيقة رب العالمين.

وأشهد بأن السيد سلمان خلق الخمسة الأيتام الكرام. فأولهم اليتيم الأكبر والكوكب الأزهر والمسك الاذفر والياقوت الأحمر والزمرد

الأخضر، المقداد بن أسود الكندي، وأبو الذر الغفاري، وعبد ا بـن رواحـة الأنصـاري، وعثمان بن مظعون النجاشي، وقنبر بن كادان الدوسي، هم عبيد مولانا أمير المؤمنين لـ ذكره الجلال والتعظيم، وهم خلقوا هذا العالم من مشرق الشمس إلى مغربها وقبلتها وشمالها وبرها وبحرها وسهلها وجبلها ما حاطت الخضراء، وحوت الغبراء، من جابلقا إلى جابرصا، إلـى مراصد الأحقاف إلى جبل قاف، إلى ما حاطت به قبة الفلك الدوار إلى مدينة السـيد محمـد السامرة التي اجتمع فيها المؤمنون واتّفقوا على رأي السيد أبـي عبـد ا ولا يشـكّون، ولا يشركون، ولا في سر علي بن أبي طالب يبيحون ولا يخرقون له حجاباً ولا يدخلون إليـه إلاّ من باب اجعل المؤمنين مؤمنين ومطمئنّين ومؤيـدين مجبـورين علـى أعـدائهم وأعـدائنا منصورين، واجعلنا بجملتهم مؤمنين ومطمئنّين مستورين مجبـورين علـى أعـدائنا وأعدائهم منصورين. بسر الفتح ومن فتح الفتح ومن كان الفتح على يده اليمين بسـر سـيدنا محمد وفاطر والحسن والحسين ومحسن سر الخفي وأشخاص الصلوة وعدة العارفين علينا من ذكرهم السلام صلوة ا عليهم أجمعين.

السورة السادسة واسمها السجود

ا أكبر ا أكبر ا أكبر، السجود، للرب العلي الأنزع المعبود، يا سيدي يا محمد يا فاطر يا نور المعنى العظيم، وحجابه الكريم، بك استعنت أعِني بهذا الدار وبك اسـتجرت، أجرني من عذاب النار، يا عزيز يا جبار، يا قادر يا قاهر يا خالق الليل والنهـار، ا نـور السماوات والأرض وهو العلي الكبير، إليه نقصد ونشير، عز وجلّ

للباب قصدت، وللاسم سجدت، وللمعنى عبدت وسجدت وسجد وجهي الفاني البالي لوجه علي الحي الدائم الباقي.

يا علي يا كبير، يا علي يا كبير، يا أكبر من كل كبير، يا مخترع شـمس الضـحى وخالق البدر المنير، يا علي اك العزة، يا علي اك الوحدة، يا علي اك الملك، يـا علـي لـك الكبرياء، يا علي اك الإشارة، يا علي اك الطاعة، يا علي اك الشفاعة، يا علي اك الفطرة، يا علي اك القدرة، يا علي أنت سورة البقرة. أمانك يا علي أمانك من سخطك وعذابك من بعـد رضوانك آمنت بعجزك ومعجزك. وجللت يا أمير النحل عن العجـز أن يقـع بـك. آمنـت وصدقت بباطنك وظاهرك وظاهرك امامي ووصية وباطنك معنوي لاهوت. يا هو يا هو معز من أعزك وذكرك وأفردك، يا هو يا هو يا مذل من أذلّك وأنكرك وجحدك. يـا حاضـر يـا موجود يا غيباً لا يدرك، يا أمير النحل يا علي يا عظيم.

السورة السابعة واسمها السلام

سجدت وسلّمت ووجهت وجهي لفاطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنـا مـن المشركين. بدء السلام من المعنى القديم، على الاسم العظيم. وسلّم الاسم العظيم على البـاب الكريم. وسلّم الباب الكريم على الخمسة الأيتام أركان الدنيا والدين. السلام علـى الأبـواب. السلام على الأيتام. السلام على النقبا، السلام على النجبا، السلام على المختصين، السلام على الممتحنين، السلام على المقربين، السلام على الكروبين، السلام على الروحانيين، السلام على المقدسين، السلام على السائحين،

السلام على المستمعين، السلام على اللاّحقين. فهم أهل المراتب يتقدس عالم الصفاء أجمعين. السلام على من اتّبع الهدى، واهتدى وخشى من عواقب الردا، واطاع الملك العالـي الأعلـى، وأقر بربوبية محمد المصطفى. السلام على المائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي. أولهم باب وآخرهم لاحق. السلام عليكم يا عباد ا الصالحين، جمع ا الصالحين. جمع ا شملنا، وشَملكم في جنّة النعيم بين الكواكب السمائيين.

السورة الثّامنة واسمها الإشارة

سبحان إله خضعت له الرقاب، وذلّت له الأمور الشداد الصعاب، فقد ارتفـع القصـد والإشارة من السيد محمد المصطفى في يوم عيد الغدير خم الذي شرفه وفضله عند ا مقـام عظيم أنا عبد من المشيرين إليك يا أمير النحل يا علي يا عظيم يا أزلّي يا قديم يا بـارئ يـا حكيم. أسألك بحقّ الدعوة التي دعا بها السيد محمد وهو خارج من باب مكّة وراكب المطيـة البيضاء، وهو ينادي ويقول: الجهاد الجهاد، الحراب الحراب في سبيل ا . وهذه إشارتي إليك يا نور النور، يا فالق الصخور، وزاجر البحور، ومدبر الأمور، بأن تسكّن المؤمنين في جنّتك العليا، التي رضوان خازنها، ويا فوز عبد رجالها. فإذا بالندى من قبل من العلا مـن جانـب الطور الأيمن ومن الشجرة المباركة ينادي ويقول: يا حبيبي يا محمد. أي عبد دعـاني بهـذه الدعوة بصفو قلبه وخالص يقينه نهار الخميس النصف من نيسان أو عشية الجمعـة أو ليلـة النصف من شعبان أو في خمس

ليال من شهر رمضان أو يوم القداس أو ليلة الميلاد أو يوم عيد الغدير إلاّ وجعلته من أمتي، وسكّنته جنّتي، وأسقيه بكأس رحمتي، وأجعله من المؤمنين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. رفعت إشارتي بسر العين العلوية، بسر الميم المحمدية، بسر السين السلسلية، بسر ع م س أول دعائنا نشير لمعنانا ونقول بسم ا الرحمن الرحيم، وآخر دعائنا نشكر من هدانا ونقول: الحق الحمد رب العالمين.

السورة التّاسعة واسمها العين العلوية

بسر العين العلوية الذاتية الظاهرة الأنزعية، بسر الميم المحمدية، الهاشمية الملكوتية الحجابية القرصية النورانية، بسر السين السلسلية الجبرائيلية السلمانية البابية البكرية النميرية النصيرية. بسر ع م س.

السورة العاشرة واسمها العقد

أشهد أن ا حق وقوله حق وأن الحق المبين علي بن أبي طالب الأنزع البطين، والنار مثوى للكافرين، والجنة روضة للمؤمنين، والماء من تحت العرش يطوف وفوق العرش رب العالمين، وحمالة العرش الثمانية الكرام الذين هم إليه مقربون. عدتي في شدتي وعدة كافة المؤمنين، سر عقد ع م س.

السورة الحادية عشرة واسمها الشّهادة. والعامة تسميها الجبل

شهد ا أنّه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط. لا إله إلا هـو العزيـز الحكيم، إن الدين عند ا الإسلام. ربنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرسول فاكتبنا مع الشـاهدين، بشهادة ع م س اشهد علّي أيها الحجاب العظيم، اشهد علّي أيها الباب الكريم، اشهد علّـي يـا سيدي المقداد اليمين، اشهد علّي يا سيدي أبو الذر الشمال، اشهد علّي يا عبد ا ، اشهد علي يا عثمان، اشهد علّي يا قنبر بن كادان، اشهد علّي يا نقيب، اشهد علّي يا نجيب، اشهد علّي يـا مختص، اشهد علي يا مخلّص، اشهد علّي يا ممتحن ويا مقرب ويا كروبي ويا روحاني ويـا مقدس ويا سائح ويا مستمع ويا لاحق.

اشهدوا علي يا أهل المراتب ويا عالم الصفاء أجمعين.

أني أشهد بأن ليس إلهاً إلاّ عِلي بن أبي طالب الأصلع المعبود، ولا حجاب إلاّ السـيد محمد المحمود، ولا باب إلا السيد سلمان الفارسي المقصود، وأكبر الملائكة الخمسة الأيتـام، ولا رأي إلاّ رأي شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصيبي الذي شرع الأديان، فـي سـائر البلدان.

أشهد بأن الصورة المرئية التي ظهرت في البشرية، هي الغاية الكلية، وهي الظـاهرة بالنورانية، وليس إله سواها وهي علي بن أبي طالب وإنّه لم يحط ولم يحصر ولم يدرك ولـم يبصر، أشهد بأنّي نصيري الدين، جندبي الرأي، جنبلاني الطريقة، خصيبي المـذهب، جلّـي المقال، ميموني الفقه. وأقر في الرجعة البيضاء، والكرة الزهراء، وفي كشف الغطاء،

وجلا العماء، وإظهار ما كتم وإعلان ما خفي وظهور علي بن أبي طالب من عين الشـمس، قابض على كل نفس، الأسد من تحته، وذو الفقار بيده، والملائكة خلفه والسيد سلمان بين يديه، والماء ينبع من بين قدميه، والسيد محمد ينادي ويقول: هذا مولاكم علي بن أبي طالب فاعرفوه وسبحوه وعظّموه وكبروه، هذا خالقكم ورازقكم فلا تنكروه،

اشهدوا علي يا أسيادي، إن هذا ديني واعتقادي، وعليه اعتمادي، وبه أحيـا وعليـه أموت، وعلي بن أبي طالب حي لا يموت، بيده القدرة والجبروت، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولائك كان عنه مسؤولاً علينا من ذكرهم السلام. تمت.

السورة الثّانية عشرة واسمها الإمامية

اشهدن علي أيها النجوم الزاهرة، والكواكب النائرة، والأفـلاك الـدائرة، بـأن هـذه الصورة المرئية المعاينة الناظرة، هي علي بن أبي طالب القديم الأحد الفرد الصمد، الـذي لا يتجزأ ولا يتبعض ولا ينقسم ولا يدخل في عدد، فهو إلهي وإلهكم، وإلهكـم وإلهـي إمـامي وإمامكم، وإمامكم وإمامي إمام الأئمة، وسراج الظلمة، حيدرة أبو تراب الظـاهر بالأصـلع، الباطن بالأنزع، الظاهر من عين الشمس، القابض على كل نفس، الذي له ولعظم جلال هيبته، ولكبرياء سنى برق لاهوته، تخضعت له الأرقاب، وذلّت له الأمور الصعاب، سر إلـه فـي السماء وهو إمام في الأرض سر إمام كل إمام سر علي بن أبي طالب قديم الزمان سر حجابه السيد محمد وبابه السيد سلمان باب الهدى والإيمان علينا من ذكرهم الرضى والسلام.

السورة الثّالثة عشرة واسمها المسافرة

سبح ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم. أصبحنا وسبحنا وأصبح الملك ، وسبح الملك ، بسم ا وبا ، وسر السيد أبـي عبـد ا ، سـر الشـيخ وأولاده المختصين، الشاربين من بحر ع م س، فهم واحد وخمسون. منهم سبعة عشر عراقي، وسبعة عشر شامي، وسبعة عشر مخفي، وهم واقفون على باب مدينة حران يأخذون بالحقّ، ويعطون بالحقّ، ومن يتدين بديانتهم ويعبد عبادتهم وفّقه ا إلى معرفته ومن لا يتدين بديانتهم ولا يعبد عبادتهم فعليه لعنة ا بسر الشيخ وأولاده المختصين بسرهم أسعدهم ا أجمعين.

السورة الرابعة عشرة واسمها البيت المعمور

والطور وكتاب مسطور في رقّ منشور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر المسجور بسر طالب وعقيل وجعفر الطيار هم أخوة علي بن أبي طالب نور من نور وجوهر من جوهر وعلي بن أبي طالب منزه عن الأخوة والأخوات والأبـاء والأمهـات أحـداً أبـداً موجود، باطن بغير غمود، سر البيت وسقف البيت وأرض البيت وأربع أركان البيـت، أمـا البيت فهو السيد محمد وسقف البيت أبو طالب وأرض البيت فاطمة بنت أسد وأربـع أركـان البيت هم محمد وفاطر والحسن والحسين سر الزاوية الغامضة الخفية التي هي فـي نصـف البيت هي محسن سر الخفي سر صاحب البيت العلوي الشريف الهاشمي الذي هشّم القـرون وكسر الأصنام، علينا من ذكره الرضى والسلام.

السورة الخامسة عشرة واسمها الحجابية

سر الحجاب العظيم، سر الباب الكريم، سر سيدي المقداد اليمين، سر سيدي أبي الذر الشمال، سر الملكين الكريمين الطاهرين، هما الحسن والحسين، سر الوليين هما نوفل بن حارثة وأبو برزة سر الصفّي وعالم الصفى، سر كل كوكب في السماء سر قدس العلي وسكّانه. علينا من ذكرهم الرضى والسلام. تم.

السورة السادسة عشرة واسمها النقيبية

فنقّبوا في البلاد هل من محيص. نذكر أسامي السادة النقباء الذين اختارهم السيد محمد من السبعين رجلاً في ليلة العقبة في وادي منى، أولهم أبو الهيثم مالك بن التيهان الأشهلي، والبراء بن معرور الأنصاري، والمنذر بن لوذان بن كنّاس الساعدي، ورافع بن مالك العجلاني، والأسد بن الحصين الأشهلي، وعباس بن عبادة الأنصاري، وعبادة بن صامت النوفلي، وعبد ا بن عمر بن حزام الأنصاري، وسالم بن عمير الخزرجي، وأبي بن كعب، ورافع بن ورقة، وبلال بن رياح الشنوى، سر نقيب النقبا، ونجيب النجبا، سيدنا محمد بن سنان الزاهري. علينا من ذكرهم الرضى والسلام.

*****

المصـادر والمراجع

١) كتاب المجموع، تجده في « الباكورة » (رقم ١٣) وفـي « تـاريخ النصـيريين وديـنهم » لـ ـ R. DUSSAND (رقم ١٥) وفي Journal of American Oriental Society, vol. 8. (رقـم ١٤). يتألّف من ستّ عشرة سورة. وهو كتاب صلاة النصيريين المقـدس، وكتـاب الـنظم الدينيـة. وهـو دستورهم. « هو حجر الأساس في الدين يتضمن كل العقيدة ». لا نملـك علـى تأليفـه ومؤلّفـه أيـة معلومات. بل هناك رواية شائعة تنسبه إلى النبي محمد الذي أوحاه إلـى النصـيريين دون المسـلمين، وسلّمه إلى النقباء الاثني عشر والنجباء الأربعة والعشرين ليلة العقبة في وادي منا قرب مكّـة (انظـر سورة ١٦).

٢) كتاب الاسوس رقم ١٤٤٩ من المكتبة الوطنية في باريس. وهو « كتاب معرفة حكمة سليمان بن داوود عليه السلام. إنه أساس كل شيء في معرفته... » (ص ٢). علّق أحد الأخصام عليه: « هذا الكتاب في عقائد الملة النصيرية عليهم لعنة رب البرية من الكتب المنهوية من بلادهم ».

٣) كتاب الصراط، تأليف المفضل بن عمر، « رواه الشيخ أبو الحسن محمد الهدري، قـال: رويـت عـن الشيخ الفاضل الثقة أبي الحسن محمد بن علي الجلّي، يرويه عن سيدنا أبي عبد ا الحسين بن حمـدان الخصيبي، عن محمد بن منصور البغدادي... ». مخطوط رقم ١٤٤٩ ص ٨٦ ـ ١٨٢.

٤) كتاب الأصيفر، تصنيف الإمام العالم المحقّق المدقّق أبي عبد ا محمد بن شعبة الحراني. مخطوط رقم ١٤٥٠ من المكتبة الوطنية في باريس، ص ٢ ـ ٤٢. يتكلّم على ا وظهوراته...

٥) رسالة التوحيد، رواها شيخي وسيدي أبو محمد علي بن عيسى الجسري، رقم ١٤٥٠ من صـفحة ٤٢ حتى ٤٩.

٦) مسائل أبي عبد ا بن هارون الصائغ، عن شيخه أبي عبد ا الحسين بن حمدان الخصيبي. فيها يسأل بن هارون شيخه الخصيبي عن بعض مسائل التوحيد. رقم ١٤٥٠ من صفحة ٤٩ أ حتى ٥٣ ب.

٧) رسالة دون عنوان لابن هارون الصائغ، رقم ١٤٥٠ ص ١٧٧ أ ـ ١٧٩ ب. فيها « من عبد الاسـم بالحقيقة فقد عبد المعنى... وذلك إن الرجل اسمه اسم لنفسه ومعنى لنفسه من غير فصل بين المعنـى واسمه. فمن عرف هذا القول فقد عبد الاسم بحقيقة المعنى لأن المعنى باطن اسمه وهو فوقه ».

٨) مناظرة السيد الفاضل العلامة الشيخ يوسف ابن العجوز الحلبي المعروف بالنشّابي قـدس ا روحـه يذكر التوحيد المشعشع من نور البيت الشعيبي الجليل الشامخ معدن الأصل والشرف البـاذخ »، رقـم ١٤٥٠ ورقة ٦٨ أ ـ ١٥٥ ب.

٩) شرح الإمام وما يوجب عليه وما يلزمه في منصبه وما يكون الإمام مترتب عليه في كل شـيء مـع الناس وما وصفه في هذه الرواية ». رقم ١٤٥٠ ورقة ١٥٥ ـ ١٦٧.

١٠) رسالة البيان لأهل العقول والافهام ومن طلب الهدى إلى معرفة الرحمن. رقم ١٤٥٠ من ورقة ٥٣ ب ـ ٦٧ ب. فيها عن الاسم والباب والأيتام وجميع أهل المراتب في العالم العلـوي والسـفلي وكيـف ترتيبهم في ملكوت ا ... » (ص ٥٤ أ).

١١) كتاب تعليم ديانة النصيرية، رقم ٥١٨٨ من المكتبة الوطنية في باريس؛ ورقم ٦١٨٢ من المكتبة نفسها. في نهاية هذا المخطوط يوجد كتاب « المشيخة » وكتاب « التوجيه »، فيهما قداس الطيب، وقداس البخور، وقداس الاذان، وقداس الإشارة... والأعياد...

١٢) كتاب مجموع الأعياد والدلالات والأخبار المبهرات، وما فيها من الدلائل والعلامات، جلّ مظهرها عن الآباء والأمهات، والأخوة والأخوات. تأليف الأجل الأجمل، معدن الجود والتوحيد، والفضل والتأييد، الشاب الثقة أبو سعيد، ميمون بن القاسم الطبراني، قدس ا روحه ونور ضريحه ». رقم ٤٢٩٢ من المكتبة الملكية ببرلين...

*****

١٣) كتاب الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية، تأليف سليمان أفندي الأذني، طبع في بيروت ١٨٦٣، ١١٩ صفحة. نقل معظمه إلى الانكليزية E.Salisbury (رقم ١٤) الذي ينقل عن « فان ديك » قوله عنه: « هذا الكتاب وضعه نصيري خامرته الشكوك في ديانته، فارتد عنها ليصير يهودياً ثم مسلماً ثم أرثوذكسياً ثم بروتستانتياً. أُخذ كجندي إلى أدنة ثم إلى الشام حيث أطلق سبيله. أتى بيروت وكتب كتابه. ثم ذهب إلى اللاذقية وعاد إلى وطنه الأصلي، وهناك أماتوه بشر ميتة، بإحراقه حياً ».

وكتب M. Geofroy إلى R. Dussaud في ٢٥ آذار سنة ١٨٩٨: أرسل إليك هذا الكتاب بعد عناء البحث عنه. ويمكنك الاعتماد عليه، لأنه، بعد استقصاء المعلومات عنه، رأيت أن كل ما قيل فيه صحيح.

وقال نصيري خبير في شؤون الدين: « إن كتاب الباكورة صحيح إلى أبعد حدود الدقة، وكامل على الإطلاق. ان كنت تملكه بمجمله دون تحريف لم يعد لك بغيره حاجة. إن كاتبه كان شيخاً نصيرياً في بلدة في ضواحي انطاكيا، يعرف الديانة جيداً… اغتيل في طرسوس على أيدي نصيريين ».

١٤) E. SALISBURY, The Book of Sulaimân's First Ripe Fruit, Disclosing the Mysteries of the Nusairian Religion…, in Journal of the American Oriental Society, t. VIII, p. 227-308.

١٥) R. DUSSAUD, Histoire et Religion des Nosairis, Paris 1900, Lib. E. Bouillon, 213pp.

١٦) H. LAMMENS, Les Nosairis, notes sur leur histoire et leur religion, in Etudes, Paris 1899, pp. 461-494.

١٧) H. LAMMENS, Au Pays des Nosairis, in Revue de l'Orient Chrétien, Paris 1899, pp. 572-590, et 1900, pp. 99-117; 303-318; 423-444; 1901, p. 33; 1902, p. 442, 1903, p. 149…

١٨) H. LAMMENS, Les Nosairis furent-ils chrétiens? A Propos d'un livre récent, in Revue de l'Orient Chrétien, 1900, pp. 1-18.

١٩) H. LAMMENS, Le Pays des Nosairis, Itinéraire et Notes archéologiques, in Musée Belge, t. IV, 1900, pp. 277-323.

٢٠) H. LAMMENS, Notes de Géographie syrienne, in Mélanges de la Faculté Orientale de l'Université Saint-Joseph, I, 1906, pp. 271-283.

٢١) L. MASSIGNON, Les Nusayris, in Opera Minora, t. I. 1960, Dar Al-Maaref-Liban, pp. 619-649.

حيث يوجد لائحة مفصلة بالمصادر والمراجع النصيرية.

٢٢) L. MASSIGNON, Nosairi, in Encycl. de l'Islam.

٢٣) Journal Asiatique, t. XIV, pp. 190-261. Voir les années: 1848, pp. 162-166; p. 150; 1876; 1871; 1876; 1879; 1915; 1921.

حيث يوجد في هذه الأعداد تحليل لكتاب مجموع الأعياد، وللباكورة السليمانية، ولفتوى ابـن تيميـة، وللاشعارالنصيرية، ولبعض مؤلّفات الطبراني، ولائحة مفصلة للكتب النصيرية جمع « كاتافاغو »...

٢٤) Jacque WEULERESSE, Le Pays des Alaouites, 2 t., Toura 1940.

٢٥) Lieutenant Colonel Paul JACQUOT, L'Etat des Alaouites, Terre d'art de souvenirs et mystère. Guide touristique. Imp. Catholique, Beyrouth 1929.

٢٦) Pierre May, L'Alaouite, ses croyances, ses mœurs Les cheikhs, les lois de la tribu et les chefs. Introduction de Monsieur le Gouverneur SCHOEFFLER, délégué du Haut-commissaire auprès du Gouvernement de Lattaquié… 80 pp.

٢٧) Munîr Mushâbih Mûsä, Etude sociologique de Alaouites ou Nusaīris, thèse de doctorat dactyle. Paris, 1958, en 2 vol.

٢٨) Antoine AUDO, Zaki al-Arsouzi, un arabe face à la modernité, thèse de doctorat de 3ème cycle, Univ. de Paris III, Sorbonne Nouvelle, Juin 1979. Sous la direction de Mr. A. Miquel.

٢٩) Jean LAPIERRE, Le Mandat français en Syrie, Paris 1937.

٣٠) مذاهب الإسلاميين تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي، الجزء الثاني: الإسماعيلية، القرامطة، النصيرية، الدروز. دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٢، ص ٤٢٣ ـ ٥٠٦. صودر هذا الجزء من الأسواق.

٣١) محمد أمين غالب الطويل، تاريخ العلويين، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٦، ٤٨٨ ص.

٣٢) محمد محمود سليمان، المجتمع العلوي في القرن العشرين، تذكرة مطبوعة على الآلة الكاتبة، مقدمـة في كلية الآداب بدمشق سنة ١٩٥٦، ١٠١٣ صفحة.

٣٣) منير الشريف، المسلمون العلويون، من هم؟ وأين هم؟ الطبعـة الثالثـة ١٩٦١، المطبعـة العموميـة بدمشق، ٢٥٨ صفحة.

٣٤) كتاب الهفت والأظلة المنسوب إلى المفضل بن عمر الجعفي، حقّقه وقدم له عارف تامر والأب أ. عبده خليفه اليسوعي، دار المشرق بيروت ١٩٦٩، ٢١٣...

٣٥) تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ستيفن هاملي لونغريـغ، دار الحقيقـة بيـروت، ١٩٧٨ ترجمة بيار عقل، ٤٦٢ صفحة.

٣٦) كمال جنبلاط، هذه وصيتي، مؤسسة « الوطن العربي »، منقول من الفرنسية إلـى العربيـة، ١٩٧٨، ١٥٨ صفحة.

٣٧) رسائل الحكمة، سنة ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م ستّة أجزاء في ثلاثة مجلّدات. ٨٦٣ صفحة. بيروت.

مواضيع الكتاب